جَوَاهِرُ الأَنفَاس وَذَخائِر الأَرْمَاس

في مناقب الحبيب الإمام

علي بن حسن بن عبد اللّٰه العطاس

تأليف

الشيخ الهمام عبد الله بن احمد باسودان

١١٧٨--١٢٦٦هـ

إعتنى به

احمد بن عمر بن طالب العطاس

غفرالله له ولوالديه آمين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وبه نستعين ، على أمور الدنيا والدين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وعلى من تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فهذا كتاب جواهر الأنفاس وذخائر الأرماس في مناقب الإمام العلامة الحبيب علي بن حسن العطاس تأليف العالم العلامة أعجوبة الزمان الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان ، فقد من الله علينا بالحصول على الكتاب المذكور وقرآئته ومراجعته وتصحيح ما أمكن تصحيحه من تصحيف في المخطوطات أوسبق قلم ، كما تم عمل مراجعة الآيات وترقيمها وفهرس للمواضيع الواردة فيه ، وترجمة مؤجزة للمؤلف ، وقد تحصلت على عدة مخطوطات من الكتاب المذكور وكالتالي :

١- مخطوطة بقلم السيد علي بن حامد بن محسن بن حامد بن محسن بن علي بن حسين العطاس تاريخ الفراغ من نساختها الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٤١هـ كتبها لإسم سيدي الوالد محمد بن أحمد بن عبد الله العطاس .

٢- مخطوطة بقلم السيد سالم بن محمد بن عبد الله بن سالم بن عمر العطاس تاريخ الفراغ من نساختها الثاني من شهر شعبان سنة ١٣٤٤هـ كتبها لإسم سيدي الجد أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس .

٣- مخطوطة بقلم سيدي الوالد عمر بن أحمد العطاس كتبها لعله في العقد الرابع من القرن الرابع عشر .

٤- مخطوطة بقلم السيد محسن بن سالم بن محمد العطاس تاريخ الفراغ من نساختها ١٤٠٦/١١/٢ هـ

وقد كان اعتمادي في النقل كأساس على المخطوطة التي بقلم السيد علي بن حامد العطاس والمراجعة على المخطوطات الأخرى في حالة وجود اختلاف في النقل أواشكال بينما المخطوطات المذكورة كلها متطابقة إلا فيما ندر ، وقد قمت بطباعته للمرة الأولى وكان الفراغ منها سلخ ربيع الأول سنة ١٤٢٢هـ وأعدت المراجعة والتصحيح مرة ثانية وكان الفراغ منها في ١٤٣٤/١٢/١٧هـ فالحمد لله الذي يسر وأعان ، فأسأل الله الكريم أن ينفعنا بأسرارهم وعلومهم ويفيض علينا ما أفاضهم عليهم وأن يعود ذلك النفع علينا وعلى والدينا وأولادنا وكل من له حق علينا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين .

أحمد بن عمر بن طالب العطاس

الأحساء : ١٤٣٤/١٢/١٧هـ

ترجمة وجيزة للمؤلف

هو الشيخ عبد الله بن احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن باسودان ، وينتهي نسبه إلى الشيخ عمر بن محمد بن أبي النشوات من ذرية المقداد بن الأسود الكندي الصحابي .

مولده ببادية وادي دوعن عام ١١٧٨ هـ بمكان يعرف بالصوت فوق جبال دوعن .

جده أباالنشوات كان يسكن قرية غيل أبي سودان المسماة اليوم بغيل عمر بقرب ساه الشهيرة في بادية حضرموت الجنوبية على مسافة نحو يومين للقوافل من تريم على إحدى الطرق المسلوكة إلى الشحر ، وفي منتصف القرن السابع كان الشيخ عمر بن محمد بن أبي النشوات يتردد إلى دوعن لأغراض إقتصادية ، فأثمر تردده إتصاله بالشيخ الصوفي سعيد بن عيسى العمودي صاحب قيدون وعليه تتلمذ متصوفا وإذا بالرغبة في إستيطان وادي دوعن تملأ فكره للقرب من شيخه المذكور فصار يرغب جده أبا النشوات في سكنى دوعن حتى وافقه على الإنتقال بأسرته وسكنوا قرية الشرق في ضاحية الخريبة ، وبها دفن الشيخ أبو النشوات ، وفي دوعن إشتهر هؤلاء المشايخ الكنديون بآل باسودان نسبة إلى موطنهم القديم تمييزا لهم عن غيرهم من الناس ، ثم مازال الإشتهار يزداد حتى صار علما عليهم .

نشأة وبداية حياة المؤلف العلمية :

كانت نشأته بمدينة الخريبة متربيا على سنن أبيه ، وقد تتلمذ في أول أمره على الشيخ عبد الله بن احمد بافارس باقيس متفقها بعد حفظه

للقرآن الكريم وقد أسفرت سنين مداومته على طلب العلم متلقيا على شيوخ دوعن وغيرهم في حضرموت الداخل متلقيا من علومهم ، ومن أشهرهم وأجلهم السادات الأفاضل والعلماء والأوليا ، فمنهم : الحبيب حامد بن عمر المنفر ، والعلامة الحبيب عمر بن سقاف السقاف ، والعلامة الحبيب شيخ بن محمد الجفري صاحب مليبار ، والعلامة الحبيب احمد بن عمر بن سميط ، والعلامة الحبيب الحسن بن صالح البحر ، والعلامة الحبيب جعفر بن محمد العطاس ، والعلامة الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر ، والعلامة الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر ، والعلامة الحبيب حسن بن عبد الله الحداد ، والعلامة الحبيب احمد بن حسن بن عبد الله الحداد ، وغيرهم من علماء اليمن والحرمين .

وإذا كانت تلمذته لهؤلاء الشيوخ لها صبغتها الصوفية فإن شيخ فتحه في علوم الشريعة والحقيقة وغيرهما العلامة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار مولى جلاجل ، كما عليه مهر في كافة العلوم الظاهرة والباطنة حتى علوم اللغة والبلاغة ودراسة الأدب والشعر . وأصبح واحدا من العلماء السبعة الذين تفتخر بهم حضرموت لجمعهم بين العلم والثقافة والصدارة والتصوف والتدريس والتأليف والإصلاح الإجتماعي وهم :

الحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد (تريم)
الشيخ عبد الله بن سعد بن سمير (خلع راشد)
الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب (تريم)
الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى (مسيلة آل شيخ)
الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه (تريم)

الشيخ عبد الله بن احمد باسودان (الخريبة دوعن)

الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر (مسيلة آل شيخ) حيث كان لكل من هؤلاء الأعيان المذكورين دور بارز في مكافحة الظلم ونصر الضعيف وإصلاح ذات البين .

وإذا كان قد بكر إشراقه وظهوره واتساعه في عديد من العلوم المتنوعة فقد كان نابغا موهوبا ، ومن غير شك وقد أصبح عالما من العلماء وشيخا من الشيوخ أن يأذن له أساتذته بالتدريس والإفتاء وإرشاد الخلائق فكانت له مشيخته العلمية وزعامته الصوفية ، وله مريدوه الصوفيون الكثيرون ، كما له تلاميذه العلميون من كافة الأجناس والطبقات كجموع لاحصر لهم ، فكم عديد تخرج عليه في أنواع العلوم العقلية والنقلية ، ويكفيك من ألوانهم ابنه الشيخ محمد بن عبد الله ، والعلامة الشيخ حسن بن فارس باقيس .

وقد كان رحمه الله ملازما لشيخه الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار مولى جلاجل لزوم الظل لصاحبه حتى لَقَحَ ولَقَّحْ . قال رضي الله عنه في بعض إجازاته لبعض مريديه :

لنا الأخذ التام والتعلق العام عن أشياخ كثيرين ، وأئمة معتبرين وأكثرهم من السادة العلويين ، فقد إتصلت واجتمعت وانتفعت وارتفعت بكثير من أئمتهم وأعيانهم ممن يربوا الإيمان في قلب الناظر إليهم من حقيقة إيمانهم ، وكانت معرفتي لأكثر ممن إتصلت بهم بواسطة سيدي وإمامي ومقوم أود إيماني وإسلامي أحد محارم الولاية ، الكاشفين عن مخدراتها ، وبدور الهداية الطالعين في سماء بيناتها ، الشيخ الحبيب عمر بن عبد

الرحمن البار مولى جلاجل ، فقد صحبته مدة مديدة ، وقرأت عليه كتبا عديدة ، وألبسني ولقنني وعني بي ولاحظني ، وصحبته في أغلب زياراته لوادي ابن راشد حضرموت ، وفي رحلته إلى الحرمين عن طريق البحر ، وقد وافته المنية أثناء الطريق وكنت إلى جانبه وذلك عام ١٢١٢ هـ وتم دفنه فوق ساحل البحر في محل يقال له (جلاجل)

وإذا كان المؤلف رحمه الله عميق النزعة العلوية فلاعجبا اندماجه في العلويين حتى كان صورة مصغرة من صورهم الرائعة هيئة وسكينة وطريقة وسيرة ونسكا وعلوما وتصوفا وعبادة وزهدا وورعا واستقامة وذوقا ومشربا ، كمتأثر شديد التأثر بحياتهم العلمية والدينية والصوفية .

وقد أخذ عنه الحبيب العارف بالله عيدروس بن عمر الحبشي ، ومماقاله في كتابه عقد اليوقيت بعد أن عدد مشايخه من السادة العلويين قال : وممن اخذنا عنهم من غيرهم من ذوي الإيقان وأجدر من يقدم منهم أولا لسعته علما وعرفانا وعملا وهو الثامن عشر من أشياخي ، الشيخ المحقق في علوم الشريعة والعرفان ، العلوي طريقة ، المقدادي نسبة ، أبو محمد عبد الله بن احمد بن عبد الله باسودان رضي الله عنه وأرضاه ، فقد زار بي والدي إليه عام ١٢٤٩ هـ وأنا قبل سن التمييز ، وقرأت عليه درسا في متن الزبد ، وبعد ذلك إتصلت به عدة مرات قرأت عليه فيها مجموعة كتبه : فيض الأسرار ، وحدائق الأرواح ، ولوامع الأنوار ، وكتب لي إجازة في كل كتاب منها ولقنني وألبسني ، آخرزيارة كانت عام ١٢٦٥ هـ

ومن إتصل بهم وتتلمذ عليهم المؤلف رحمه الله الحبيب صالح بن عبد الله العطاس صاحب عمد ، قال الحبيب صالح رحمه الله : لوجود روابط المودة والمحبة بين والدي والشيخ عبد الله باسودان أخذني الوالد من عمد إلى الخريبة في سن مبكرة وسلمني للشيخ المذكور وأقمت عنده في بيته أنهل من علومه ، وذات ليلة رأيت رؤيا منامية مع الشيخ عبد الله وكأن الشيخ يقول للحبيب صالح : من أفضل أنتم أهل البيت أم نحن أهل العلم ؟ فأجبته : أنتم بنا ونحن بالله ثم بكم ، فقال له الشيخ هذا هو رباطنا بكم يا أهل البيت ونر جو الله أن يحقق ذلك . وبعد وفاة الشيخ عبد الله باسودان رثاه الحبيب صالح بقصيدة طويلة مطلعها :

حمدا على مر القضا والحلو من رب النفوس

إلى أن قال :

سلمانا ذي مننا صدقا كقول العيدروس

ومن إتصل بالمؤلف رحمه الله الحبيب أبوبكر بن عبد الله العطاس ، وقد ذكر الحبيب احمد بن حسن العطاس في مجموع كلامه أنه ذات مرة كان في مجلس الحبيب أبي بكر وقدظهر حينذاك كتاب المشرع الروي وكتاب فيض الأسرار للشيخ عبد الله باسودان ، فاستشاره في إستنساخ أحد الكتابين فقاله له : فيض الأسرار ، لأن المشرع مابايقع في ضبرة من فيض الأسرار ، لكن الأجرة غالية هي حوالي ثمانية ريال ، فقال الحبيب احمد بن حسن ماهي كثيرة ، قال له ابن طلوب : نعم ماهي كثيرة ماهي كثيرة بارك الله فيك .

وفي مدينة الخريبة قضى نحبه واختاره الله إلى جواره ليلة الثلاثاء السابع من جماد الأولى سنة ١٢٦٦ هـ وعلى جدثه بتربتها قبة عظيمة تفد إليها الوفود لزيارته ، رحمه الله رحمة الأبرار وأسكنه الجنة دار القرار ولاحرمنا من بركاته وأسراره . وقد ترك لنا هذا الشيخ الجليل رحمه الله ثروة مابعدها ثروة تجدها أولا في مريديه فمنهم الكثير وصنفوا الكتب الكثيرة في كل علم نوير ، ثم تجدها ثانية في مؤلفاته الكثيرة ومنها :

١ – ذخيرة المعاد شرح راتب الإمام الحداد .

٢ – لوامع الأنوار شرح رشفات الأبرار .

٣ – زيتونة اللقاح شرح ضوء المصباح .

٤ – فيض الأسرار شرح سلسلة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار

٥ – حدائق الأرواح في بيان طرق الهدى والصلاح .

٦ – تعريف طريق التيقظ والإنتباه لما يقع في مسائل الكفاءة من الإشتباه

٧ – تنفيس الخواطر بشرح خطبة الحبيب طاهر .

٨ – الفتوحات العرشية شرح الخطبة الطاهرية .

٩ – لمحات اللحاظ ومنحة الإيقاظ .

١٠- بهجة النفوس في ترجمة الشيخ محمد بامشموس

١١- ثبت الأسانيد .

١٢ – كشح المذام الرعونية عن طغام الديار الدوعنية .

١٣ – عدة المسافر وعمدة الحاج والمعتمر والزائر .

١٤ – جواهر الأنفاس في مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس (هذا الذي بين أيدينا)

كما له وصايا ومكاتبات وإجازات ضخمة وكلها فياضة بألوان العلوم والمعارف والمشارب عدى ديوانه الضخم بظاهريته القريضية والحمينية .

من صور منثوره قوله في أوائل إجازة مطولة لتلميذه العلامة السيد الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي مع جماعة كما في العقد الفريد :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمدلله الذي جعل بداية الهداية بعد سابق العناية سراجا في القلب يزهر ، فينفسح له الصدر وينشرح به الفؤاد ويتنور ، وذلك بعد أن يتنقى من رذائل الأخلاق ويتطهر ، ويتحلى بحلي التقوى والورع وكل خلق حميد أسر ، وأشهد أن لآ إله إلا الله وحده لاشريك له شهادة تعد ليوم القيامة وتدخر ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله عظيم الخلق ورفيع القدر وشفيع المحشر ، وعلى آله الذين قيل أنهم الكوثر الذي أعطيه خير البشر ، وعلى أصحابه الذين تتضوع بذكرهم الآفاق وتتعطر . أمابعد فإنه لما كان نور الهداية لذوي الخصوصيات من أهل البيت المطهر ، ينصب إلى سرائرهم كانصباب الماء إذا تحدر ، وذلك كناية عن الإسراع ، واستعارة للإنجاع ، والإشارة إلى العلو واليفاع ، وأمارة على كمال الإتساع والإتباع . فلما كانت عناصرهم مجبولة على هذه الأخلاق ، وقناطر سيرهم متأصلة للعبور إلى الأسرار التي لاتنال لغيرهم ولاتطاق ، واشتهروا بذلك في سائر النواحي والآفاق ، وكان من أعلى وسائلهم وأسنى شمائلهم تحقيق العبودية ، وإخلاص القصد في القول والفعل والنية ، اقتضى ذلك منهم حسن الظن في سائر البرية ، موزعا في

حق كل إنسان بمايقتضيه حاله ، ومايشير إليه مثاله . ولما كانوا بهذه المثابه ، وأخص هذا الشان وأربابه ، وورثة الداعي إليه صلوات الله وسلامه عليه بالرحم والقرابة ، إلتمس من الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن احمد بن عبد الله باسودان عفا الله عنهم ، السادة الأعلام ، الأجلة الأقمار، الأهلة الطالعون في سماء المجد الرفيع ، الغنيون بكمال الذات والصفات عن الذكر والتسميع ، الجامعون للعلوم والأعمال ، والمقامات والأحوال ، سيدي العلامة الحبيب الملاحظ بالتربية والتهذيب ، ضياء الإسلام عمر بن محمد ابن الشيخ الملاذ القطب الحبيب عمر بن زين بن سميط باعلوي ، وسيدي رضيع ألبان العلوم الشرعية والأدبية ، الكارع من مناهل أذواقها الروية ، بالفطنة الزكية ، الحبيب العلامة احمد ابن الحبيب الإمام عبدالله بن أبي بكر بن سالم عيديد باعلوي ، والسيد المسربل بنور العلم الغشي ، الوارث لأبيه المحقق ، وعمه البحر المتدفق ، المنشيء ، الحبيب العلامة عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي باعلوي ، زادهم الله معرفة في علوم الدين ، ورقيا في مقامات اليقين ، ولاحرمنا بركات سلفهم في الدارين . سألني المذكورون الإجازة والوصية الوارد بهما السنة بعد القرآن ، فأجبتهم إمتثالا لأمرهم وتوصلا إلى دعائهم وذكرهم ، وإن كنت لست أهلا بأن أجاز فضلا عن أن أجيز ، ولكن مع حسن الظن وإتباع الأثر لايعثر صاحبه وقد يعثر ، والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب . فأقول : قد أجزت سادتي المذكورين في جميع مايصح لي روايته ، وتليق بحالي درايته ، من علم المعقول والمنقول من الفروع والأصول ، على الوجه السائغ المقبول بالدليل والمدلول ، كما أجازني بذلك أئمة الشريعة والطريقة النافذة

بصائرهم إلى ذوق الحقيقة ودرتهم اليتيمة ، مجلي ميادين السباق في علوم المعارف والأخلاق بالهمة العظيمة ، جامع الأسرار الحبيب عمر بن عبد الرحمن ابن القطب الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي ، نفعنا الله بهم وألحقنا بحزبهم ، فقد لازمته وترددت عليه وأخذت عنه وقرأت عليه كتبا عدبدة في الفقه والتصوف والأدب ، وزرت معه وفي ضمنه جماعة من ساداتنا آل أبي علوي الظاهرين المسلكين على طريق أسلافهم الكرام ، الأئمة الأعلام ، كسيدي إمام تريم في وقته الظاهر فيها بهديه وسمته ، الإمام الجامع الشيخ الحبيب حامد ابن الشيخ عمرحامد ابن الشيخ عمربن احمد المنفر باعلوي ، والشيخ الإمام الحبيب احمد ابن الشيخ احمد ابن الشيخ الحبيب الحسن ابن القطب الأستاذ الشيخ عبدالله بن علوي الحداد باعلوي ، وغيرهما من الأعيان التريميين كالشيخ الإمام الحبيب حسين ابن العارف بالله تعالى عبد الله بن سهل جمل الليل باعلوي ، ومنهم سيدي الإمام الغوث عمر بن سقاف بن محمد السقاف باعلوي .

ومن لاحظه بنظره الفائق وشم من روائح نظره ورعايته عيونا من الرقائق والحقائق ، الشيخ القطب الحبيب عمر بن زين بن سميط باعلوي . فقد زاره مرات وأخذ عنه وألبسه وكنت في صحبته في بعضها ، وقال فيه السيد عمر بن عبد الرحمن البار : علمه ورى عقله . وقد أقبل عليه ساداتنا المذكورون وعنوا به وبجلوه لما يرون من تأهله وتفننه في العلوم ، لاسيما علوم الأثر فإنه رحل لها إلى جهات شتى ، وأخذ عن بدورها ، وزاحم ركب صدورها ، فممن أخذ عنه الإمام المحقق المتفنن القاضي احمد بن محمد قاطن الصنعاني بلداً ، السني شريعة النقشبندي الأهدلي طريقة ،

وقد أخذ عنه فنونا من علم الحديث وآلاته ، وعلم الأدب وأدواته ، وله مصنفات أرسل بعضها إليه ، منها : كتاب الأعلام بأسانيد الأعلام يعني من مشايخه ، وأما شيوخه في طريق القوم ومن أحسن ببركتهم في باحة بحرها العوم ، والذين اعتمد عليهم من المشار إليهم في جميع شئونه السرية والجهرية ، وقضى بهم مآربه السنية ، الإمام العارف بالله عمه الحبيب المجذوب إلى حضرة المعارف والأسرار حسن ابن الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ، والإمام العارف بالله تعالى شيخ بن محمد الجفري نفعناالله به وبهما ، فإنه أسس عليهما من أولئك الفريق أخذه للطريق . وله منظومة رجزية سماها (الروضة الأنيقة في أسماء أهل الطريقة) ولي عليها شرح مبسوط في مجلدين كبار سميته (فيض الأسرار) بشرح سلسلة شيخنا وإمامنا سيدي الملاذ الجامع للأسرار الحبيب عمر بن الرحمن ابن الشيخ القطب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي ، نفعناالله بهم ، ذكرت فيها مشايخه المذكورين فيها وترجمت لهم بحسب مابلغني عنهم وتلقيت منه ومنهم ، وبعضهم لم يذكره في المنظومة ولم يزبره في أبياتها المعلومة ، بل ذكرهم في ثبت آخر بخطه الزاهر وهم في طرائقهم أشتات وبنو علات ، فقد أجزت سادتي الكرام بما أجازني به هذا الإمام عن مشايخه الأعلام خواص الأنام وأفادني به واستفدته منه من الفعل والكلام ، لأنه رضي الله عنه وإن لم أتحقق بأخلاقه العلمية والعملية والرسمية ، لكن أرويها لذوي الهمم العلية لاسيما لمشاركيه في تلك الطرائق والرقائق من السادات العلوية ، الذين لم يزل فيهم الذائق والواصل الحقائق ، ليزيد شوقهم إلى تلك المعارف ، وينمو توقهم للوصول بالرقي إلى معالي ساميات الرفارف ،

فمع شدة الشوق إليها والنزوع تجتمع الأصول والفروع ، وبدوام الفرع يصل المريد إلى مقام الفرق والجمع ، وهما مقامان حاويان بأحوال ومقامات شتى لاعوج فيها ولا أمتا ، شرحها أئمة الطريقة السنية كالعوارف والرسالة ، وحققها القطب الشيخ عبد الله الحداد في كتبه ولاسيما في المسائل الصوفية ، وتلك ثمرات الخصلة الجامعة لخيرات الدنيا والأخرى وهي التقوى . فأوصيكم أيها الحبايب بها والإلتحاق بحزبها ، وتأملوا مالسلفكم فيها من التحقيق فاتبعوهم في طرائقهم فيها ، فهم خير فريق ولاتلتفتوا إلى غيرهم ممن لم يدرك شأو غبارهم ، ولم يقف إلا على الظاهر من رسومهم وآثارهم ، وأما حقائقهم فعندالله علمها ، وحاصلها أن كل خصلة التقوى أبوها وأمها ، فتنافسوا في غرس تلك الشجرات تنالوا ماتطلعه من الثمرات ، وهي المعارف والأسرار واللطائف والأنوار ، وشموا برقها واعطوها حقها من قول محيي علومهم ومبدي رسومهم في قوله رضي الله عنه :

لجيران لنا بالأبطحية بعثت مع النسيمات التحية

وقوله في الأخرى :

نعم عالم الأرواح خير من الجسم وأعلا ولايخفى على كل ذي علم

وغيرهما له ولغيره ، وأدمنوا في سيرهم وسيره ، حتى تقفوا على حلية المعرفة لمولاكم ، فتتأهلوا للقرب منه وزلفاكم ، ولاتظنوا رعاكم الله تعالى وآواكم إلى جنابه أن الفقير ذاق بلة أوشم رائحة مما ناله أولئك الأبرار وإنما ذلك تلقف مما لهم من المجاميع والأسرار على وصف الحكاية والرواية ، لادعوة التحقيق والدراية ، وأماالمحبة لهم واستعظام ما أكرمهم الله به وحكى عنهم وانتشر من الأعمال والأحوال التي لم تسع لها طاقة البشر ، فإنا نؤمن

بذلك ونصدق به ، وهو إن شاء الله تعالى نافع لمن وفقه الله له ، فقد قال عليه الصلاة والسلام (المرء مع من أحب) ومن أحب قوما كان منهم وحشر معهم . وقال الجنيد بن محمد سيد الطائفة الصوفية : التصديق بعلمنا هذا ولاية . يعني ولاية صغرى . واعلموا أيها السادة الأنجاب انه قال ارباب التحقيق من سالكي الطريق من سلفكم وغيرهم : إن الذي ينبغي للمريد الصادق المخلص في أعمال إسلامه وإيمانه وإحسانه التي يؤديها بجنانه وأركانه أن لايجعلها وسائل بأن يعمل هذا لهذا ، بأن يقصد بأعمال الآخرة لجزائها ، والأشياء المترتبة على الأسباب لمسبباتها ، كأن يقصد بالمجاهدات تحصيل الثمرات من أنوار الولاية وماينكشف معها من إطلاع على المغيبات ، إلا أن يقصد به الإزدياد من معرفة الله تعالى ، وقد قال بعضهم : قف على الباب لاليفتح لك الباب يفتح لك الباب . إلى آخر الإجازة .

وأما ديوانه الضخم فهو مجموعة ألوان مختلفة ، وصوفيات لها صبغتها القائمة نجتزي بعرض قطع من رؤس قصائده كمعرض نموذجي من شعره . فمن مطولة توسلية بطائفة كبيرة من السادة العلويين قال فيها :

سألتك يا الله في كل وجهة	وماتقتضيه من جلال وهيبة
بسيد شمس للرسالة والهدى	محمد المختار في خير أمة
وآل وأصحاب نجوم هداية	سرائرهم ضاءت بسر النبوة
فبثوا علوم الشرع فينا وبلغوا	أوامر دين الله أملوا لملة
بسبطي رسول الله والأم والرضا	علي وزين العابدين الأ ئمة
وبالباقر السجاد ثم بجعفر	بنور العريضي تنير بصيرتي

وتشرح صدري بالحبيب محمد　　وعيسى نقيب القوم في خير بلـدة
واحمد المشهور بالهجـرة التي　　بها فر من زيغ وفوضى وفتـــنة

وفيها يقول :

بسيدنا القطب الفقيه محمـد　　إمـام جميع العترة العـــلوية
بـأولاده لاسيما علـــويهم　　يصول بحكم الغيرة الصـــمدية

إلى أن قال :

أنلنا بهم ياسيدي ما أنلتـــهم　　وحقق لنا بالفضـل منك ومـــنة
وتجمعنا يارب فضلا بكلـــهم　　وأهل وأحباب بفــردوس جـــنة
وصل على خير البرية أحمـد　　وأصحابه والتابعــــين بســيرة

ومن صوفية :

إذا ضقت ذرعا فاستعن بالإنابة　　وعول على مولاك في كل رغـــبة
وسر نحو باب الجود مفتقرا له　　وبالذل والإخبات في وصف ذلـــة
وقم داعيا مستغفرا متضرعـا　　لخالقك الرحمن جنح الدجـــنة

ومن قصيدة له إلى صديق :

هذه الدار التي حـالاتها　　تجرح الأحشا وتدمي للكبد
كيف يستأمنها ذو فطنة　　يتراخى في النجا لايجـــتهد
فهنيا للذين رفضـــوا　　حبها طوبى لمن فيها زهـــد
إنما الدنيا كركب سائـــر　　ذا مضى عنها وهذا يستعد

ومن قصيدة أخرى يقول فيها :

أنا الكندي على رغم الحسود　　وبالمـقداد قد خفقت بنودي
وكم كانت له جولات حـــرب　　بـبدر والوغى مثل الوقــود

وآخى بينهم خـــــير البرايا　　وبين المرتضى زوج الخـرود
له كم من محاسن قد حـواها　　أبو الإحسـان واسطة العقود

ومن قصيدة إلى صديقه العلامة الشيخ سالم بن عبد الله بن سُمير

جزى الله عنا سالما خير ماجزى　　أخامحسنا راعي المودة والإخا
ولازال في فعـل المكارم دائبا　　له قدم في فعل ذلك راسخـا
ويسعى لها في كل وقت ملازما　　وكان لحالات البطالة ناسـخا

وله مرثيـة في العلامـة السـيد الحبيب احمد بـن حسـن بـن عبـد الله بـن علوي الحداد المتوفي بحاوي تـريم ودفـن بقـري جده قطـب الإرشـاد بتربـة تريم في ٣٠ رجب عام ١٣٠٤ هـ مطلعها :

مالعيني عبرى ومالفـــؤادي　　بالأسى مشـعل كـوري الزناد
في ضـناء ولوعة وشجـــون　　وبكاء وزفـــــرة وســـهاد
صوت شيخ الزمان جدد حزني　　وأثار الأسى بكل بـــــلاد
احمد الحبر معدن الفضل نـبرا　　س المعالي غوث الورى والعبـاد
عـــالم عامـــــل ولي تقي　　مقصد المعـــدمين والـرواد
شـأنه الرفق والسماح وعفـو　　دأبه الصبر والهدى في سـداد
ألف آه عـليه إن كان يغـني　　ألف آه والقلب بالحـزن بادي

ومن قصيدة في مدح السادة العلويين

ماذا عليك إذا فعلت بنـــية　　فعلا حميدا باللسان وبالـــيد
لاسيما في مدح من طاب الثنا　　في مدحهم أهل التقى والسـؤدد
آل الرسول محمد خير الورى　　سامي الذرى عين الكمال السرمد

ورثوا المعارف والمعالي والذكا   عن كابر عن كابـــر عن سيد
العـلويين الدعاة إلى الهـدى   والمرشـدين إلى طريق محمـد

ويقول في مطولة أخرى :

سـلام لفتية حلــــوا بسوح   لهـــــم في القلب ود وادكار
وفي الخيرات صدق واجتهاد   وأنس وابتهاج وابـــــتدار
وحسن لطافة وعزوف نفس   عن الدنيا وللعليـــــاء ساروا
فيالله من قوم كــــــــرام   تلقوا عن كــــرام ما استناروا

ويقول في قصيدة مدح بها شيخه العلامة الحبيب شـيخ بن محمد بن حسن الجفري ساكن مليبار :

أياوارث الأسرار يا أيها الجفري   ويامهبط الأنوار ياصاحب البر
وياعين هذا الوقت ياشيخ عصره   ويامن به حازت مليبار للفخر
أغيثوا لكم عبدا يلوذ ببـابكم   عسى عطفة أنتم أولوا البر والخير

ومن مطولة اخرى في مدح الصوفي المرشد الحبيب احمد بن محمد بن علوي المحضار المتوفي بالقويرة الدوعنية ليلة الخميس ٧ صفر عام ١٣٠٤ هـ كجواب على قصيدة مساجلة قال فيها :

لله در السيد المحضـار   المنتقى من صفـــوة الأخـيار
النجباء الأتقياء الأصفيا   آل الرسول معـدن الأسـرار
فهم الذخائر للمهات إذا   نزلت خطوب الضيق والأعسار

وله قصيدة في مـدح السـلطان احمـد بـن عبـد الله الفضـلي صاحب شقرة الشهيرة بمناسبة إجلائه البرتغاليين عن مدينـة عـدن بقوة السلاح يقول في مطلعها :

سلام لمن أحيا الجهاد وماصبر   وقاتل في دين الإله لمن كفر
وأغمد سيف الحق في هامة العدا   وشتتهم في كل بحر وكل بر
وأثخنهم قتلا وجرحا ومحنة   وأجلاهم عن عدن ولهم قهر
جزى الله ذا الفضلي خيرا بفعله   وأبلغه المأمول والسول والوطر

ومن قصيدة يمدح فيها الباطنة ضيعة الحبيب العلامة الحبيب عبدالرحمن بن عبد الله بلفقيه

بباطنة الكسر الأعاجيب تظهر   ومنها شعاع النور يزهو ويزهر
فواكه فيها للمعاش إعانة   وفيها زروع والبهائم تخطر
بها أشرقت أنوار هدي وحكمة   مطالعها للنازلين تنور
فلله حمدا طيب ومبارك   على مر أوقات الزمان يكرر

ومن قصيدة أرسلها إلى ابنه العلامة محمد أيام إقامته بمدينة الشحر كعطف أبوي قال فيها :

ياحامل الرق سر في الحال مبتدرا   واطوالسباسب واحذرأن ترى ضجرا
حتى ترى منزل الأحباب مبتهجا   فانزل به وتمتع فيهم نظرا

ومن شعره يمدح السادة آل سميط بمطولة منها :

بآل سميط في الدعاء نتوسل   وفي نشر حسنى فضلهم نترسل
فهم أهل ود الله خصوا بحبه   مواليهم بالمكرمات مسربل
فخيرهم الفياض في أمة الهدى   توالى على الأزمان وهو مكمل
وطوبى لمن والاهم وأعانهم   على هديهم في عزمه متحمل

ومن مطولة يمدح بها شيخه العلامة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار مولى جلاجل يقول فيها :

لله در إمام العــلم والفضـل والبر والخير والإحسان والنبل
والحلم والصفح والإيثار مرحمة للعالمين ذوي الحاجات والقل
قد نال حالا عظيما في بدايـته بصدقه القصد في الأقوال والفعل
وفي نهـايته كانت وراثـــته لجده صح في المنقول عن عدل

وفي مدح العلامة المرشد الشيخ علي بن عبد الله باراس المتوفي بمدينة الخريبة عام ١٠٩٤ يقول :

إذا رمت أنسا في رياض الخمائل ومشهد حسن في الضحى والأصائل
فيمم حمى الأنوار معهد عارف علي ابن عبد الله زين الشمائل
وكعبة عشاق الرقائـق والهنا وركن استلام المكرمات الفواضل
هنيئا لمن أمسى مقيما وثاويا بربع فتوحات العطايا الهواطل

وله من مطولة يقول فيها :

إستفق ياصاح من هذا المنام واستبق للخير من قبل الحمام
وانـتبه من رقدة الغافـــل لا تـتبع من لم يكــن ذا إحتكام
وابتعد من كل فحش واعتصم من مقال سيء أو من خصام
واشكر المولى على إحسانه زاهدا بالقلب في جمع الحطام
وعلى مـولاك عــول دائما إن توكلت عليـــه لاتضـام
ودع الكـــبر وجانبه ولا تك عيابا وتغتاب الأنـــام
راقب الله وحـــاذر بطشه واجتنب كل المعاصي ياغلام

وفي إحدى رسائله إلى ابنه العلامة الشيخ محمد أيام إقامته بمدينة الشحر قوله من قصيدة :

وفي الأسفار تسلية ونجـــح لقا الأخيار فيها خـــير مغنم

على أن الرسوم بكل قطـــــر عفت آثارها والله أعـــــلم
ولم تبق علـــــوم راسخات ولا أعمال تنقذ من جهـــنم
ولكن ستر مولانا جمـــــيل على كل الورى أضفاوقد عم

ومن مدائحه في السادة العلويين من قصيدة يقول فيها :

هذا حديث عن السادات أنبانا إسناده باتصال الود أحيانـــا
ياأيها القوم ما أحلا حديثكم ينشر معناه في المحبوب أبكانا
لله در ضراغيم جهـــابذة حازوا علوما وأعمالا وعرفـــانا
كانت مدارسنا من قبل شاغرة واليوم عامرة علما وإيمـــانا
فالحمد لله قد من الإلـــه بهم على العباد وأولاهم وأولانـــا
لازال فضلهم في الناس منتشرا ويشمل الكل غفرانا ورضوانا

ويقول في قصيدة يرثي بها العلامة المرشد الحبيب احمد بن عمر بن سميط يقول فيها :

أرى الأحباب مالوا للتداني إلى قرب الإله بلا تـــــواني
وحثوا للمطـــايا واستعدوا بأعمال التصافي والتـــهاني
ومطلبهم رضا الرحمن عنهم وذلك عندهم أقصى الأمـــاني

ومن مخاطباته الشعرية مع العلامة الحبيب عبد الله بن طه الحداد صاحب قيدون يقول فيها :

يابن طه إن شئت أن لاتطاها فانهضن راقيا إلى علـــياها
واتخذ درسك العــلوم غذاء ودواء للنفس مـــن أدواها
معرضا عن حوادث وفضول تارك الفانيات ملا وجـــاها
همك الإعتياض بالمـــال علما أنت بالعلم في الـــورى تتباها

وبهذا نكتفي بهذا النـزر اليسير من ترجمة العلامة أعجوبة الزمان الشيخ عبد الله بن احمد باسودان ونختمها بما كتبه سيدي وحبيبي وروح سري وطبيبي الحبيب محسن بن سالم بن محمد العطاس الذي كان له السبق في كتابة هذه الترجمة متع الله بحياته حيث قال في آخر الترجمة : وكم وكم من كلام صادر عن هذا الإمام مما يزيح الظلام ، ويبعد عن القلوب القتام ، فاقرأ ياأخي في كتب القوم وانتبه من رقدة النوم ، وكلام هؤلاء كله زين ، ويزيل عن القلب الرين ، ويذهب كل شين ، على شرط الإستماع والإنتفاع ، وإلا فالقراء كثيرون ، يقرؤون ولايدرون وبما علموا لايعملون ، خاصة عيال هذا الزمان من الأبناء والشبان ، من السادة وغيرهم وعدم ملاحظة من الشيبان . والزمان قده زمان تعكيس ، وبينهم يعتكر إبليس ، وفيديو وتلفزيون يعمي العيون ، ولما ذا إلى كتب أهلهم لاينظرون ، وباتتنور منهم العيون ، ومن علومهم يغرفون ، ولاعنه يلوون ، حتى لو إختلطوا باللاهون ، باتظهر عليهم الأنوار ، وباتعود عليهم الأسرار ، أسرار إلهية قدسية نبوية حسينية علوية ، حتى يكونوا خير خلف لخير سلف ، من أهلهم البررة الذي يصدق عليهم قول الشاعر :

أولئك الناس إن عدوا وإن ذكروا ... ومن سواهم فلغو غير معدود
لو عمر الدهر ذو عز لعـــزته ... كانوا أحـــق بتعمير وتخليد

وقال قطب زمانه حداد القلوب الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في وصفهم :

قوم إذا أرخى الظلام ستوره ... لم تلفهم رهن الوطا والمضجع
بل تلفهم عمد المحارب قـــوما ... لله أكرم بالسجود الركـــع

لكن مع الأسف الشديد عقائد أبناء الزمان في أهلهم ركيكة ، ونياتهم ضعيفة ، إن قرأت عليهم في كتب أهلهم جاهم الفُوَاه[1] ، وإن قلت هذه كرامة من كراماتهم قالوا أوّآه ، يقاطعون كلامك بالإنكار لأنهم مخالطين أشرار ومجالسين أغيار ، ولايحبون مجالسة الأخيار ولاحزب ولا أذكار ، بعيدين عن قرآءة الآيات ماغير الجرائد والمجلات ، لآإله إلا الله ، إنه أمر فضيع من يدعي الإنتساب إلى أهل القدر الرفيع وهو في بعد يتبع كل وضيع ، وينطبق عليه قول الشاعر :

يفتخرون بآباء لهم سلفوا   نعم الجدود ولكن بئس ماخلفوا

خاصة أبناء السادة ، ويامن يدعي النسب بالسادة وهو من قوم الوسادة ، يقوم بعد شروق النهار ولاقرآءة ولاأذكار ، يركضون قفا الدنيا وهي عنهم بمنأ ، وكيف بايسخرها الله لهم وهم تاركين عبادة ربهم وقد قال الله تعالى في حديث قدسي مامعناه : يادنيا من خدمنا أخدميه ومن خدمك فاستخدميه . واليوم قدها بشياطينها راكبة عليهم ، ومطعومهم منها حرام في حرام ، ربا ومكوس ، يغمس القلب في الغلوس ، بغوا دنيا وفلوس ، بدون عز ولاناموس ، ولعاد دعاء يستجاب ، وإن دعوا فرت به المهاب ، ولاراد يرد ، ولاصاد يصد ، ولاحول ولاقوة إلا بالله . اللهم لاتواخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونجنا من الفتن واهدنا لأقوم السنن ، واجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، ورد علينا يا الله وعلى إخواننا وأبنائنا وجميع أهلنا بردات الخير ، واغننا عن الغير واجعلنا من الهادين

[1] التثاؤب

المهتدين ، المقتدين بسيدنا محمد سيد الأولين والآخرين ، وآله الطاهرين ، وأهلنا الصالحين من ساداتنا العلويين ، والمشايخ الصالحين ، وخذ يا الله بأيدينا لإقتفاء آثارهم والإهتداء بهديهم خاصة الشبان الذين لايزالون في التيهان ، أمل قلوبهم بالإيمان ، وثبتنا وإياهم للسير على الطريق القوية ، الطريق العلوية السنية النبوية ، وابعدنا وإياهم من البدع البذية ، وادخلنا يا الله وإياهم في حزب أولئك السادات المفلحين ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر آمين ، وصلى الله وسلم على قرة العين ، جد الحسن والحسين ، الحبيب الزين ، محمد ابن عبدالله عين الوجود ، وعلى آله وصحابته وأهلنا الركع السجود ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تم نقل هذه الترجمة الوجيزة من كتاب عقد اليواقيت الجوهرية للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي ، وكتاب تاريخ الشعراء الحضرميين ، والترجمة التي هي أساس كل ساس التي كتبها سيدي وشيخي ووالدي الحبيب محسن بن سالم بن محمد (هبهب) العطاس متع الله بحياته ، مع تصرف واختصار يسيرين وما القصد الإ التعريف بالشيخ عبد الله بن احمد باسودان وماعسى أن يكون تعريفي بهذا الشيخ الجليل إلا مثل قطره من بحر حيث أن مناقبه أشهر من أن تذكر ولايحق لمن مثلي قليل العلم عديم العقل والفهم أن يكتب عن هذا الشيخ ولكن إلتماسا لبركته وعرفانا بالجميل له تطفلت بالكتابة ، وكم ترك الأوائل للأواخر ، أسال الله أن يجعل عملي فيها خالصا مخلصا لوجهه الكريم ومقربا إلى جنات النعيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وآخردعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه احمد بن عمربن طالب العطاس الأحساء ١٤٢٢/٤/٣

التعريف بالكتاب

هذا كتاب جواهرالأنفاس وذخائر الأرماس في ذكر زواهر الإيناس من مناقب القطب الحبيب علي بن حسن العطاس ، وعيون تتعلق بمعارف ورقائق جده عمر بن عبد الرحمن العطاس وولده الشيخ الحسين وبعض أوتاد أصحابه كالشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، والشيخ علي باراس وغيرهم من السادات الأكياس ، المنخرطين في سلك كتاب القرطاس ، تأليف الشيخ الإمام عفيف الدين والإسلام ، وبركة الأنام ، يعسوب العلوم المنطوق منها والمفهوم ، الإمام عبد الله بن أحمد باسودان ، رحمه الله ورضي عنه ، ونفعنا به آمين ، وذلك باشارة الذائق لثمرات تلك الغراس ، الكارع من أذواقهم بصافي الكاس ، العارف بالله تعالى : الحبيب هادون بن هود ، نزهة المجالس والجلاس ، والرحمة المهداة لكافة الجنة والناس ، نفعنا الله بالجميع ، ورفعنا إلى حضرة قدسهم الرفيع ، بجاه مشرفهم الشفيع ، آمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الملك القدوس السلام ، الوهاب العظيم الكريم اللطيف الخبير العلام ، الذي ألبس صفوته الكرام ، لباس التقوى التي هي لكل مقام شريف وحال منيف أصل وإمام ، ولخيرات الدنيا والآخرة بدء وختام ، ولصفات الإستقامة مظاهر وعنوان وشواهد وأعلام ، وأشهد أن لآ إله إلاالله وحده لاشريك له شهادة من عَبَده عبادة إجلال وإعظام ، وعلم أن له المنة عليه في كل حال ومقام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الصدر المقدم في حضرات التقديس والإلهام ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله الكرام ، وأصحابه الأعلام . أما بعد : فإنه قد خطر في البال ، وسنح للخيال ، مايقتضيه القيام بواجب الإتصال . وذلك بأن أتبرك بخدمة بعض مايتعلق بنفثات سيدي ومولاي رحب المجال ، فيما لأهل الله تعالى من علوم وأعمال ، ومقامات وأحوال ، القطب المكين المؤتمن على الأسرار ، سليل المقربين الأبرار ، الشيخ الأستاذ ، الحبيب الملاذ ، علي بن حسن بن عبد الله بن الشيخ الحسين ابن قطب الدوائر ، وأستاذ الأكابر ، المشبه في وقته وعصره بالشيخ عبد القادر ، الشيخ الحبيب عمر بن عبدالرحمن بن عقيل العطاس ، بن سالم بن عبد الله . نفعنا الله بهم في الدارين . فبينما أنا أتردد في ذلك بين الإقدام والإحجام ، خوفا من أن ماتجري به الأقلام ، ويسطر في الأرقام ، أكون به لعدم الإحكام عرضة للملام ، إذ وردت الإشارة المتضمنة إن شاءالله للبشارة ، من خليفة هذا الإمام في مقامه ، وناشر ألوية مظاهره وأعلامه ، ومحيي زواهر لياليه وأيامه ، الحبيب العارف بالله تعالى ، هادون بن هود بن الحبيب علي

المذكور ، أزهر الله بمحياه الأيام والشهور . وذلك بأن أصرف الهمة إلى ذكر مناقب وترجمة تحتوي على بعض ماكان عليه جد هذا الإمام ، من سوابق الهمم وخوارق العزائم ، ومابلغ إليه من نهايات حسن الأخلاق وفنون المكارم . وأن أقتبس ما أثبته وأمليه مما أودعه في أماليه ، لاسيما كتابه المسمى : سفينة البضائع وضميمة الضوائع ، وكتاب القرطاس ، وكتاب المقصد في شواهد المشهد ، ومن المكاتبات والديوان له . وكنت مرة في مجلسٍ مع شيخنا الإمام العارف بالله تعالى ، الحبيب جعفر بن محمد العطاس نفع الله به ، فجعل يذاكر ببعض أحوال سيدي الحبيب علي شيخه ووطنه الأصلي ، فقلت له مثل هذه الأحوال ينبغي أن تثبت ولاتلقى وينتفع بها ، لاسيما من له إتصال به وإلى ماينسب ميله إليه واصفاً ، فقال : ياسبحان الله هذه ثالث إشارة في هذا العام في إثبات مايتعلق بهذا الإمام ، فقيل أنه أثبت بعض ذلك لكنه لم يتمه ، وكان نفعنا الله به إذا ذاكر بأحوال سيدي الحبيب علي بن حسن قدس الله سره وماكان عليه من الذوق والإتساع في العلوم وقوة الحافظة وذكاء الفطنة وبُعد غور الفهم وخوارق العادات والإخبار بالمغيبات ، يجري كالسيل المنحدر في صبب ، ويأتي من ذلك بالعجب . وسيأتي في أثناء هذا المؤلف النقل عنه والرواية ، إذ هو بأحواله من ذوي الدراية ، بل هو مظهر مناره ، وعيبة أسراره ، وخطة أنبائه وأخباره. أتحفنا الله تعالى من طرائف منالاتهم ، وجعلنا من أهل ودادهم وصدقاتهم .آمين .

واعلم بأني إنما أقصد بما أثبته وماتيسر لي إيداعه في هذا المؤلف من أحوال هذا الإمام وأحوال من ذكر معه ممن سيأتي التصريح بهم في تسميته

، وفي ذكر ماتميز به وخصه الله تعالى به من بين أقرانه ، من الأحوال السنية ، والمقامات العلية ، ومانطوى عليه من الأسرار الغيبية ، ومافي باطنه وظاهره من الأنوار التي أشرقت على البرية ، كالشمس في وقت الضحية ، وما أدركه من العلوم والمعارف الكسبية والوهبية ، حتى أدرك في البداية مابلغه غيره في النهاية . وبذلك علت رتبته وعظمت منزلته ليتم إدخال السرور على قلوب محبيه وذويه ، ليشتاقوا إلى نيل المواهب والفضائل التي إندرجت فيه ، فينفقوا نفائس الأوقات والأحوال ، في العلوم والأعمال ، ويثمر ذلك لهم خالص المحبة لأهل الله التي هي أقوى أسباب النجاة ، كما سيأتي تفصيل ذلك مبيناً بشروطه وضوابطه ، محققا بقيوده وروابطه ، وذلك في مقدمة هذا المؤلف . مع أنه رضي الله عنه وأمثاله لم يلتفتوا إلى تقرير هذه الأوضاع ، ولا إلى مافيها وتضمنته من الإطلاق والإتساع ، إلا لفائدة غيرهم ونفعه ، كما روي عن سيد الطائفة الصوفية الجنيد بن محمد رضي الله عنه أنه قال : الحكايات جند من جنود الحق ، يقوى بها قلوب المريدين ، وتحيا بها معالم العارفين ، وتبتهج بها خواطر المحبين ، وتجري بها دموع المشتاقين ، وتظهر بها إشارات العارفين . قيل له : فهل لذلك شاهد من كتاب الله تعالى ؟ قال نعم ! قوله تعالى { **وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك** }[1] وقال أيضا : فقوله تقوى بها قلوب المريدين ، خرج به قلوب العارفين الواصلين ، فإنهم لايحتاجون إلى ذلك لما خامر قلوبهم وأسرارهم من المعرفة واليقين ، ولهذا

---

[1] الآية : ١٢٠ هود

لم يكـن للصـحابة رضي الله عـنهم كثـير كرامـات ، ولاخـوارق عـادات لإستغنائهم عنها بإشراق نور النبوة على ظاهرهم وباطنهم ونـزول الـوحي ، ولذلك ورد في إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنـه أنـه لـو وُزن بإيمـان الأمة لـرجحهم كما في الحـديث . وفي حـديث آخـر : (ماصُبَّ في صـدري شيء إلا وصُبَّ في صدر أبي بكر مثله) فيا هل ترى أن مثل هذا السيد يحتاج إلى تأييـد إيمانه بالكرامـات ، أوتجديـد يقينـه بالآيات وهـو في مقام الصديقية التي مافوقها مقام إلا مقام النبـوة ، ودرجات الصحابة رضي الله عنهم متفاوتة في اليقين ، وثباته وقوته كمايدل على ذلك حديث حارثـة بـن محصن رضي الله عنـه لما قـال له رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم كيـف أصبحت ؟ فقال : أصبحت مؤمنا حقـا ! فقـال له عليـه السـلام إن لـكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ فقال : يارسول الله عزفت نفسي عن الدنيا فأسـهرتُ لـيلي وأظمـأت نهـاري واسـتوى عنـدي ذهبهـا ومـدرها ، وكأني أنظـر إلى عـرش ربي بارزاً ، وإلى أهـل الجنـة ينعمـون ، وإلى أهـل النـار يتعاوون ، فقال له رسـول الله صـلى الله عليـه وسـلم عرفـت فـالزم . وفي رواية أخرى عن معاذ ابن جبل رضي الله عنـه قـال : دخـل عـليّ رسـول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف أصبحت يامعاذ ؟ فقلت : أصبحت بالله مؤمنا ، فقال : إن لكل قول مصداق ولكل حـق حقيقـة فما مصـداق ماتقول ، فقال : يارسول الله ما أصبحت صباحا إلا ظننـت أني لا أمسي ، ولا أمسيت مساء إلا ظننت أني لا أصبح ، ولاخطوت خطوة قط إلا ظننـت أني لا أتبعهـا أخـرى ، وكأني أنظـر إلى كل أمـة جاثيـة تـدعى إلى كتابها مع نبيها وأوثانها التي تعبد من دون الله عـز وجـل ، وكأني أنظـر إلى

عقوبة أهل النار وثواب أهل الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت فالزم . ومن ذلك قول علي ابن أبي طالب رضي الله عنه : لوكشف الغطا ماازددت يقينا . ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن روح القدس نفث في روعي : أحبب ما أحببت فإنك مفارقه . أراد به كل مايتعلق بالدنيا فإن ذلك يفنى في حقه بالموت ، فكل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام . وسيأتي قريبا ذكر هذا المعنى عند ذكر حكم الكرامات للأولياء وحقيقتها إن شاء الله تعالى.

ولماكانت الكرامات والمناقب مقصودة لغيرها كانت كفضائل الأعمال يعمل فيها بالحديث الضعيف والنقل غير القوي الصحيح كما قال سيدي الحبيب علي صاحب المناقب رضي الله عنه مصرحا بذلك على التعيين في بيتين توأمين أثبتها في ديوانه المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) يدلان على أنه من فرسان علماء الآثار ، وباصطلاحهم فيها من ذوي الإختبار ، وهما قوله :

في ثلاث يعملون العاملون   بضعيف وبواه وبـــوان
وهي ان تطلب مني عدها   الفضائل والمناقب والبيان

فأما قوله : الفضائل والمناقب فظاهر مما مر ، وأما قوله : والبيان فالمراد به والله أعلم أن الكلام على تأويل الآيات القرآنية أنه يصح بما يظهر لكل شخص على قدر علمه ومايؤديه المعنى من فهمه بخلاف تفسير القرآن لايصح إلا بالمنقول ، وأما غير القرآن فإن كل يتكلم في معاني العبارات من أهل العلم على قدر إتساع عقله وفهمه وعلمه ، وأما الأولياء أرباب الأحوال والمقامات فتختلف أقوالهم فيها فكل يتكلم على قدر حاله

ومقامه كما قرر ذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه فقد يصل في معنى العبارة الواحدة أكثر من عشرة مقالات . وسيأتي قريبا أن سيدي الحبيب علي رضي الله عنه لما سئل عن قول ابن عطاء الله في حكمه : كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي منه برز . قال في جوابه : كل كلامه كماه . فكأن السائل قاصرٌ في العلم فقرب له العبارة وهو بمعنى ماقدمناه .

واعلم أني قد رتبت هذا المؤلف على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة ، فأما المقدمة ففي ذكر فائدة المناقب ومايترتب عليها من المطالب ومن الفضائل والرغايب زيادة بيان لما مر آنفا ، وأما الباب الأول ففي تاريخ ولادة سيدنا وبركتنا الشيخ العارف بالله تعالى الحبيب علي بن حسن المذكور ونسبته وإبتداء سلوكه ومجاهداته ومامن الله به عليه من علو الهمة وحدة الفهم وقوة الحفظ ، وفيما ظهر من أحواله ومقاماته التي هي ثمرات وغايات تلك المجاهدات الشريفة والرقائق اللطيفة ، وفي تنقلاته وإرشاده للعباد وعموم نفعه للحاضر منهم والباد ، وبعض مايتعلق بكشوفه وكراماته إقتباسا من كتبه وغيرها مع الإيجاز والإختصار لضيق الوقت عن الإطناب والإكثار ، وكبر السن التي هي موارد هذه الأوطار وجواد هذا المضمار . وأما الباب الثاني ففي ماتيسر من ثناء الأكابر عليه من مشايخه ومعاصريه . وأما الباب الثالث ففي شرح القصيدة المشار إليها فيما سبق وهي التي مطلعها وعنوان منبعها :

عطا عطاسنا غطا العطايا ... وأولى من تولى ومن يوالي

ويتضمن هذا الباب على شرح مختصر جدا لراتب جده سيدنا ومولانا القطب الرباني الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس قدس الله

سره ، تبركا وتيمنا بذكره وإيراده في هذا الشرح ، واستمناحا لنفحات فيوضات غاياته ، في الحال والمآل ، وكذلك لأن هذا الراتب العظيم من أعظم العطايا التي غطت من تولى ومن يوالي ، ولأن شرح سيدي الشيخ الإمام علي بن عبد الله باراس نفعنا الله به من الوارد الإلهي لم يتعرض لبعض مايتعلق بكلماته من المعاني الظاهرة ، لكني لما رأيت إيداعه هذا المؤلف كما جعل سيدي الحبيب علي شرح هذا الراتب جُزأً من كتابه القرطاس إنه سيكبر حجمه ، أفردته في جزء لطيف تسهيلا لمحصل المؤلفين ، وحيازة لإكتساب الفضيلتين . واعلم أني أنما اخترت شرح هذه القصيدة من بين قصائد الديوان لبلاغتها وماتضمنته من فرائد الجمان في وصف سيدنا الإمام القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن ، إذ ذلك من مقصود المناقب ، وتحقيق المراتب . وأما الخاتمة ففي نقل نزر يسير من كلامه إذ من عادة المؤرخين ومصنفي الطبقات أن يذكروا في التراجم ومن كلامه كذا وكذا ، وذلك لأن كل كلام يدل على حال قائله كما سبقت الإشارة إليه قريبا. وسميت هذا المؤلف (جواهر الأنفاس وذخائر الأرماس بذكر جواهر الإيناس من مناقب القطب الحبيب علي بن حسن العطاس) وعيون تتعلق بمعارف ورقائق جده الحبيب عمر بن عبد الرحمن وولده الشيخ الحسين ، وبعض أوتاد أصحابه ، كالشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد ، والشيخ علي بن عبد الله باراس ، وغيرهم من السادات الأكياس ، المنخرطين في سلك كتاب القرطاس ، نفعنا الله بهم ولاحرمنا بركتهم .

واعلم أنا إنما أدرجنا الأئمة المذكورين في تسمية هذا المؤلف لدوران ذكرهم بالنقل عنهم وإتخاذ طريقتهم نسباً ومشرباً وسبباً ومذهباً وإن لم يتعلق بعض النقل بالمناقب لكنه أما من أسبابها وهي من ثمراته وهو من الأصل الذي يضع عليه الولي أساس معاملاته ، أومما يشوق إليها أويحث عليها ، وسواء كان يتعلق بالجنان أوبالأركان ، ويدل على قوة الإيمان والتمكين في اليقين والعرفان ، وهذا هو الشان المقصود والمراد عند كل مريد ومراد . فترى أيها الناظر في هذا المؤلف ماتصل به إلى معرفة ماوصل إليه أولئك الملوك بمالهم من السلوك ، وبه تتشرف . اللهم أكرمنا بالتقوى ووفقنا لما تحب وترضى يا أرحم الراحمين .

المقدمة وهي طويلة الذيل كثير النيل ، تحتوي على أمور جملية وتفصيلية فيما يناط ويتعلق بالمناقب والفضائل والمقاصد والوسائل كما ستقف على ذلك إن شاء الله مسروراً ، لاسيما إن أغمضت العين إذا رأيت نقصا أوتقصيرا أوحيفا أوتغييرا ، فإن الإنسان محل الخطاء والنسيان . ومن جملة مااحتوت عليه هذه المقدمة ذكر التعرض لذم الفخر من القاصرين الجهال ، العارين عن العلوم والأعمال بكرامات أسلافهم ، والإغترار بالإنتساب إليهم ، مع الإتصاف في الأفعال والأقوال بخلاف أوصافهم ، وذكر مااختصت به السادة العلوية من الطرائق الجامعة للخصوصية ، والحقائق والمزايا التي تميزوا بها على سائر البرية ، واشتهرت بالكمال من بين طرائق الصوفية . إلى غير ذلك من الفوائد التي تمتد الأعين إليها ، وتأنس بها القلوب والأسرار وتعتمد عليها .

ولنبدأ بنقل عبارة من مقدمة الكتاب المسمى (مجمع الأحباب) للإمام الشريف محمد بن الحسن المصري ، قال رحمه الله تعالى : واعلم أن الباعث على تأليف هذا الكتاب ثلاثة أمور : أهمها وأعظمها هو ما أنعم الله سبحانه وتعالى عليّ به من خالص المحبة والموالاة لجميع أولياء الله العارفين ، من عباده المخلصين العاملين ، من أمة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإن هذا الكتاب موضوع لأحوالهم وجمع أوصافهم ، فإنهم أئمتنا وأسلافنا وسادتنا كالوالدين لنا ، وأحرى علينا في مصالح آخرتنا التي هي دار القرار ، فيجب علينا نشر ذكرهم والإنطواء على حبهم ، ومعلوم أن الحب في الله تعالى من أوثق عرى الإيمان ، وإخلاص الود والتمسك بحبهم مع الإقتفاء لآثارهم والإقتداء بهم في أفعالهم وأقوالهم من موجبات الإهتداء ورضا الرحمن والفوز بالجنان . إلى أن قال : لاسيما وفيهم من إذا نظرت في أفعاله وأقواله وأحواله رأيت ماتحار فيه البصائر والأبصار ، فإن ذلك لايكاد يدخل تحت الوسع والإختيار ، بل إنما هو موهبة وخصوصية من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده سبحانه هو الله الواحد القهار ، فسبحان من خصهم واصطفاهم واختارهم واجتباهم بمعرفته وعبادته آناء الليل وأطراف النهار ، فواجب عليّ وعلى غيري تعطير الأكوان بنشر ذكرهم ، واستنزال الرحمة بذكر وصفهم لينظر المسكين مثلي كيف قدره عند ذكرهم ، وأين محله من الإيمان من محلهم . وقد قال الإمام حمدون بن احمد النيسابوري رضي الله عنه : من نظر في سير السلف عرف تقصيره وتخلفه عن درجة الرجال ، فينبغي لكل مسلم أن يكون قلبه منطويا على حبهم لله تعالى ، ويجعل ذلك ذريعة إليه

وإخلاص الود لهم فيه وفي سبيله وتقربا إليه سبحانه وتعالى ، ويجعل سيرهم وأحوالهم نصب عينيه ، ويأخذ في الجد والإجتهاد بما كانوا عليه ، ويغتنم ساعته التي هو فيها ويجتهد أن لاتكون عليه ، ويحاسب نفسه على الحركات والسكنات والخطرات ويداوم على ذكر الله تعالى في جميع الأوقات ، فقد ورد : أنه ما من ساعة تمر على الإنسان لايذكر الله فيها إلا تقطعت نفسه حسرات ، هذا مع لزوم التقوى والإلتجاء إلى الله تعالى في أن يوفقه لما وفقهم ، وأن يجمع بينه وبينهم في دار السلام . إنتهى كلامه وهو جامع . ثم ذكر الأمرين الآخرين من الأمور الثلاثة الباعثة على التأليف .

وقال الشيخ الإمام محمد بن عمر بحرق الحضرمي في كتابه (مواهب القدوس في مناقب العيدروس) ثم من أعظم العلوم نفعاً وأشدها في حياة القلوب تأثيراً ووقعاً ، وأكثرها لخيرات الدنيا والآخرة جمعاً ، معرفة سير أولياء الله العارفين بالله الدالين على الله وتذكر أحوالهم وأفعالهم وأقوالهم ، لأن بذلك يحصل حسن الظن فيهم الموجب لحبهم الملحق بهم إلى أعلى الرتب وأعظم القرب ، لصحة الخبر : بأن المرء مع من أحب . وثبوت الأثر بأن عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ، وتنبعث لطاعة الله الهمة ، وتعظم النعمة ، وتندفع كل نقمة ، وتحيا القلوب وتغفر الذنوب وتستر العيوب ويتيسر كل مطلوب . إنتهى .

وإذا أردت الزيادة على فوائد ومطالب ومآرب الأئمة المصنفين في ذكر المناقب فاطلب ذلك من غير هذا المؤلف المختصر . ومن ذلك ماذكره سيدنا الأستاذ الحبيب علي بن حسن المذكور في كتابه القرطاس في أول

فصل في ترجمة سيدنا الرباني جده الحبيب عمر بن عبد الرحمن فإنه قال رضي الله عنه : واعلم أن البواعث لجمع هذا التأليف كثيرة . وأطال في ذلك جدا ثم قال في آخره : ومنها ما نقل عن صاحب كتاب أعمال التاريخ أن من كتب تاريخ ولي لله كان معه يوم القيامة ، ومن طالع إسمه في التاريخ حبا له فكأنما زاره ، ومن زار وليا غفرت ذنوبه مالم يؤذه أويؤذي مسلما في طريقه . إنتهى .

وقد نقل عن بعض الأكابر المحققين أن العارف إذا مات فنقل عنه تلميذه مسئلة في توحيد الله وأفادها فإن ذلك العارف يجني ثمرتها وكذلك التلميذ وبذلك يحيا ذكرهم ، وكم مات بعدم الذكر من كثير ، وكم خمل بالإهمال من شهير ، وكم فات بالنسيان من كبير ، خطير كما قيل شعراً :

تعود كرامات الرجال شو اردا إذا لم تقيدها علينا الدفـــــــــاتر

تموت الخبايا في الزوايا ومالـها من الناس بين الناس في الناس ذاكر

إنتهى . من القرطاس .

(فصل) فيما خص به سادتنا آل أبي علوي وخواص من هذه الأمة من الخمول طلبا للسلامة التي هي مقدمة على الغنيمة عند ذوي العقول . واعلم أن الأئمة الأخيار العارفين الأبرار شأنهم ورغبتهم ومحبتهم للخمول وعدم الشهرة ، لأن ذلك أعون على إخلاص الأعمال واستقامة الأحوال ، وأروح للسر والباطن وأخف للروح والبدن . ولسادتنا آل أبي علوي قدس الله أرواحهم من ذلك النصيب الوافر للأول منهم والآخر ، كما سيأتي بيان ذلك في ذكر طريقهم إلا من ألجي إلى ذلك ، أي إلى الظهور ودعي إليه بأمر كما حصل لكثير منهم ، لكنه لايظهر في العصر الواحد إلا واحدا منهم كما قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به : أنه لاحاجة في أهل البيت الواحد إلا لظهور واحدا منهم ، فإنه كان في زمان الشيخ عمر المحضار نفع الله به من آل أبي علوي أربعون في مقامه ، عشرون قدامه وعشرون خلفه . قال تلميذه الشيخ احمد بن عبد الكريم الحساوي راوي هذه المقالة : فقلت مامعنى عشرون قدامه وعشرون خلفه ؟ فقال رضي الله عنه معميا عليه : وهل يعرف هذا أحد . إنتهى .

والحاصل أنه من ظهر للأمة داعيا ومعلما لهم من الكاملين الثابتة مقاماتهم ، الراسخة أقدامهم فهو إمام به يقتدى وعَلَمٌ به يهتدى وهو وارث للرسل ولاسيما لمتبوعه صلوات الله وسلامه عليه وعليهم ، ونفعه أعم ، ومقامه أعلى وأكمل وأسنى وأفضل ، ومن خمل واختفى واستتر لسلامة دينه وصلاح قلبه فهو على هدى من ربه وبصيرة من أمره . وعلى ذلك دل قوله صلى الله عليه وسلم (رب أشعث أغبر مدفوع عن الأبواب لو

أقسم على الله لأبره) وأخبار خيرالتابعين أويس القرني رضي الله عنه من الخمول والإختفاء والتستر أحوال عظيمة مشهورة قد إستقصاها الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي في روضه ، ونقل ذلك الشيخ الحبيب عبد الله الحداد نفع الله بهما في دعوته ، وفَصّل في أصنافها مايختار لكل أحد من ذوي الطرائق الأخصين من أولياء الله تعالى من الطبقة الأولى من التابعين ومن بعدهم الذين أخصهم وأفضلهم أويس القرني .

واعلم أن من أحب قوما كان منهم وحشر معهم ، إن كانوا من الأخيار الأبرار ، أومن الأشرار الفجار كما مر ، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم (المرء مع من أحب) ورد هذا من طرق متعددة ، منها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه (بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم خارجين من المسجد وخلفنا رجل عند سدة المسجد فقال يارسول الله متى الساعة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أعددت لها ؟ فكأن الرجل إستكان فقال يارسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولاصيام ولاصدقة ولكني أحب الله ورسوله ، قال : فأنت مع من أحببت) وفي رواية عن أنس رضي الله عنه : مارأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فرحوا بشيء أشد مافرحوا به . وفي رواية : المرء مع من أحب وله ماااكتسب . فهذه الرواية مقيدة ، ووردت روايات مطلقة ويدل لها أي للرواية المقيدة ما أجاب به الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به أنه قال : الذي يظهر لنا ماتقتضيه أقوال المحققين عن المتكلمين على معنى هذا الحديث أن هذه المعية تكون من بعض الوجوه لا من جميعها ، ولابد أن يكون المحب موافقا لمن أحبه في كليات الأمور ، من التوحيد

وحفظ الفرائض اللازمة واجتناب المحرمات المؤبقة ، وفعل ماتيسر من الخيرات . فإن من أحب أحداً أحب مشابهته والإقتداء به حسبما يقدر عليه ، ولاتصح المحبة بدون ذلك ، فهي بدونه لغوية لاحقيقة لها . وقد قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : لايغرنكم حديث : المرء مع من أحب والإغترار مع الغفلة وترك صالح الأعمال ، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبيائهم وليسوا معهم . إنتهى بمعناه . وفي جواب آخر له قال : نعم المرء مع من أحب سواء أحب الأخيار أو الأشرار. وله رضي الله عنه قول آخر في الفصول العلمية قال فيه : إذا أحب أهل التخليط من العوام أرباب التقوى وأهل طاعة الله تعالى فإنه ربما ينفعهم ويجرهم إلى موافقتهم واتباعهم في الأعمال الصالحة . وأما إذا أحب أهل المعرفة بالله وأهل طاعته الأغنياء وعظموهم فذلك مما تنحط به درجتهم ويسقطون به من عين الله . فراجع ذلك من الكتاب المذكور. وسيأتي في الفصول العلمية في هذا المبحث عبارة أبسط من هذه .

واعلم أن صدق المحبة يقتضي الرضا عن المحبوب . وعلامة المحبة والرضا ان المحب يحب صفات المحبوبين ويحب موافقتهم والطاعة لهم والمبادرة إلى ذلك كما أفهمه كلام سيدنا الشيخ عبد الله الحداد المار آنفا مع الرغبة وعدم الكراهية للطاعة والإمتثال لأوامر الله ، وكذا مع الصبر وتحمل المشقة كما قيل :

إذا جيش الأحباب جيشا من الجفا ... بنينا من الصبر الجميل حصونا
وإن ركبوا خيل الصدود مغيرة ... أقمنا عليها للوصال كمينا
وإن جردوا أسيافهم لقتالنا ... لقيناهم بالذل مدرعينا

وإن لم يروا في ودنا ووصـــالنا صبرنا على أحكامهم ورضينا

وإذا أردت العلم بحقيقة المحبة لله تعالى ولأهل الله فانظره من الإحياء وغيره من كتب الرقائق ، وكذا مقام الرضا الذي هو ثمرة المحبة . فهذا وأمثاله يدل على أنه لابد من التشبه في أعمال القلوب والجوارح والحقائق والرسوم ، فبذلك تصح النسبة ويحصل الإتباع . وأما من أبعد وتعدا الحدود ولم يقم الحقوق فقد قطع الرحم وتجاهر بالظلم الذي حقيقته وضره وسوء عاقبته هو ظلم النفس كما دلت عليه الآيات القرآنية والأخبار النبوية . وفيه يقول الشيخ عبد الله الحداد قدس الله روحه في قوله :

نعم عالم الأرواح خير من الجسم وأعلى ولايخفى على كل ذي فهم

إلى أن قال :

ظلمت وما إلا لنفسك يافـــتى ظلمت وظلم النفس من أقبح الظلم

وللشريف الشيخ القطب احمد بن علوان نفع الله به ، كلام عزيز جامع في هذا المعنى نقله الشيخ احمد بن عبد القادر الحفظي العجيلي قدس الله روحه في شرح منظومة أهل البيت ، قال رضي الله عنه في قوله تعالى { **فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم** }[1] إعلم أن كل مسلم تقي نقي يدلي برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنسبتَي عصبة أورحم مهما كان مناسبا بصفاء جوهره وطيب عنصره وشرف حاله وصدق مقاله وصلاح أعماله وزهادة نفسه وطهارة حسه للجوهرين الشريفين الكريمين اللطيفين الطاهرين الصادرين عن جوهر

[1] الآية : ٢٢ محمد

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بوصفين مختلفين ، مذكر روحاني ومؤنث نفساني ليكون الوصف المذكور الروحاني بذكوريته عبارة عن سر العصبة الخاصة الأبوية الشريفة النبوية القديمة القوية الروحانية الربانية التي ترث العلم من العليم وتورثه ، ولاترث المال ولاتورثه . وليكون الوصف المؤنث النفساني بأنوثيته عبارة عن سر الرحم الخاص منه الأمية الشريفة اللطيفة القديمة المكنونة المخزونة النبوية الروحانية الرحمانية ، التي ترث الرحمة من الرحيم وتورثها ولاترث المال ولاتورثه ، وتلك هي الرحمة المخصوصة بحقيقة قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لما خلق الله الخلق وفرغ منهم قامت الرحم فأخذت بحق الرحمن ، فقال تبارك وتعالى (مه ! فقالت : هذا مقام العائذ بك من القطيعة ، قال تعالى : أما يكفيك أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك) وبحقيقة قوله صلى الله عليه وآله وسلم (الرحم شجنة من الرحمن) وبحقيقة قوله تعالى { **واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام** }[1] فمتى صحت مناسبة الجوهر للجوهر والحال للحال على نحو ماتقدم من المقال إستحق الموصوف ماوصفناه في عالم الفتوة بنسب البنوة (بتقديم الباء الموحدة على النون) المتسلسل من هذه الأبوة والأمومة الصادرة عن صلب النبوة (بتقديم النون) ، وأن يكون من الذرية التي بعضها من بعض ، ومن أولي الأرحام الذين بعضهم أولى ببعض ، ومن أولى الناس بإبراهيم والذين إتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا ، وممن وليهم الله ورسوله والذين آمنوا ، وممن النبي أولى بهم من أنفسهم ووجب عليه

[1] الآية : ١ النساء

أن يصل أهل البيت الشريف ، والرحم اللطيف ببعض مايجب من حقهم من برهم وودهم وحبهم وعلمهم ، وأن يتصف بوصفهم ويتخلق بأخلاقهم في علمهم ليُرى عليه سمة الأبوة ، ويشهد له شاهد البنوة ، وليدخل في عالم الفتوة ، وذلك هو الغنا القائم بأجر الرسول الذي هو المطلوب من جميع الأمم ، والمسؤول في كتاب الله حيث يقول { **قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى** }[1] ولاجرم أنه دخل في هذا النسب الطاهر وتعلق بهذا السبب الفاخر والإنتساب الخاص من كرام الأصحاب : أبوبكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان الأواب ، ومن تبعهم من أولي الألباب فواصلوا ووصلوا ، وقابلوا وقبلوا ، وقاتلوا وقتلوا ، وأنفقوا وبذلوا . إذ قال صلى الله عليه وآله وسلم (كل نسب وسبب منقطع إلا نسبي وسببي) ولما لزم في الحقيقة من صلة هذا الرحم الرفيعة الدينية لزم في الشريعة من صلة هذا الرحم الوصيفة اللطيفة . لأن المثل الآدمي الجسداني المخلوق من الطين السحيق الذي جعله عبارة عن الممثول القديم الروحاني الساطع من سبحات الوجه الرباني الذي فاضت ببركته العطايا ، وبرأ من إشراق نوره البرايا ، وجعلت له أجسام الصالحين أمكنة وزوايا ، والدليل على ذلك أنهم لما جهلوا النسبة أمروا أن يصلوه جميعا بالصلاة عليه وبالسجود لآدم إذ هو في صلبه ، فشرفوا بذلك عند الله وأزلفوا لديه . ولما كان سبحانه هو المبتدي بصلته إذ خصه بصلاته وسلامه ورحمته ، إتضح لنا بذلك أن صفته من صفته ، وروحه من روحه ، ورحمته من رحمته ، وهذا ظاهر

---

[1] الآية : ٢٣ الشورى

الصلة ومسنونها . وأما باطنها ومكنونها فليس إلا بالتدين بشرف دينهم والتفنن بغرائب فنونهم ، والتيقن بمذهب يقينهم ، والتعلق بأرفع حصونهم ، وبذل النفس والأموال من أجل دينهم ، فبلغ بتلك العارف إلى جوارهم وإلى التَنوّر بأنوارهم ، فيكون من أطيارهم ، ويكتب من أنصارهم ، وساكنهم في دارهم ، فطوبى لمن وصلها من أرحام وأنساب بررة كرام ، فابتهج بما ابتهجت به من الإسلام ، واجتنب مااجتنبت من الآثام ، فكتب ممن وصل ما أمر الله به أن يوصل ، وويل لمن قطعها من أرحام وأنساب بررة كرام بخروجه عن حقائق الإسلام واجتراح الآثام وأكل الحرام ، فكتب ممن قطع ما أمر الله به أن يوصل ، ثم تسلسل من جهتهم فيمن إتبعهم من ذريتهم ، فاتصف بصفتهم ، لم يفتر عن العبادة ولم ينحرف عن الزهادة ، ولم يبعد عن روض السادة الذين كملت لهم السعادة ، وقبضوا على حكم الشهادة ، فرتبهم مراتبهم ، واحترم جانبهم ونصبهم مناصبهم ، واصحبهم صاحبهم صلى الله عليه وآله وسلم . جعلنا الله وإياكم ممن عرف هذه الأرحام الشريفة فوصلها ، وعلق نفسه بمحبتها فبذلها ، وعرف سفينتها الواسعة فدخلها ، مؤتما بمن عدل واتبع ، ومخالفا لمن رفض وابتدع . إنتهى كلام الشيخ بن علوان قدس الله روحه ، نقلته بطوله ليشتاق إلى العمل به والدخول في حزبه من له همة علية ، ونهمة قوية في تحصيل هذه النسبة الروحية ، كما إلتحق سلمان الفارسي رضي الله عنه بأهل البيت الذي عد الشيخ احمد منهم : أبوبكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وقال صلى الله عليه وآله وسلم في حقه (لوكان الدين والإيمان معلق بالثريا لناله رجال من فارس) وقال في أبي بكر (ماصُبَّ في

صدري شيء إلا وصُبَّ في صدر أبي بكر مثله) وقال في عمر (إن الشيطان ليفرق من ظله ، وأنه ماسلك فجا إلا سلك الشيطان فجا غيره) إلى غير ذلك مما لهم من الفضائل والمواهب والدرجات والمراتب .

وليعلم من سياق هذه الجملة أن صاحب الترجمة ممن جمع بين النسبين وحاز شرف الفضيلتين . وقد نقل عنه رضي الله عنه أنه قال : قول القطب الشيخ أبي بكر العيدروس العدني نفعنا الله به :

فقنا على العشاق في كل مشـــــهد   من مثلنا

ولو يطول من طال أوجد من جد   مانالنـــا

أنه تكلم على لسان أهل البيت الجميع ، أي من بلغ منهم هذا المقام الجامع الرفيع .

(تنبيه) لم يعد الشريف احمد بن علوان قدس الله روحه علي ابن أبي طالب رضي الله عنه في سياق الإلتحاق بأهل البيت النبوي لأنه من أهل البيت وجسميته وروحانيته جامعة لحقيقتهم ، فأغنى عن ذكره بالإلتحاق من هذه الحيثية . وتأمل فيما ورد في خصوصيته وجمعيته للفضائل . وأما مااختص به من الحقائق والعلوم فهو من سر القدر كما سيأتي .

ولسيدنا الشيخ الحامد بن عمر حامد باعلوي التريمي كلام في هذا المعنى حاصله : أن كل واحد من الخلفاء الأربعة مختص بفضائل وخصوصيات ومراتب لم يشاركه فيها غيره ، وأما من حيث الإجمال والإطلاق ففضلهم على ترتيب خلافتهم كما هو مذهب أهل السنة وأئمة الأمة سلفا وخلفا إلا من شذ . وقد نقل الشيخ الإمام محمد بن عمر بحرق

الحضرمي رحمه الله ونفع به في كتابه (مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس) نفعناالله به أنه قال : والله الذي لاإله إلا هو لو بعث الله لي والدي عبد الله بن أبي بكر العيدروس وأمرني أوقال لي بخلاف معتقد أهل السنة لم أقبل ذلك منه . هذا حاصل كلامه . وهذا على سبيل الفرض والتقدير ، وإلا فأبوه وسلفه رضي الله عنهم قد إنفردوا وخصوا بالعقيدة السنية الخاصة من بين سائر الأشراف . وقد مثل بعض الفضلاء عن ما لهم من صفاء العقيدة والصدق في الأقوال والأفعال والأعمال وكمال المقامات والأحوال أنهم صاروا من بين فِرق الأشراف كما قال تعالى { **من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصا سائغا للشاربين** }[1] فانظر مافي ذلك وتأمله من تواريخهم وصفاتهم لاسيما ترجمة المهاجر إلى الله الشيخ احمد بن عيسى- رضوان الله عليهم أجمعين ، فإذا صدقت هذه المحبة وتحقق بها المحب الصادق كان مع من أحب وفيهم ومنهم كما مر ، وذلك حقيقة وحكما وجزآء ورعاية وحرمة وانتفاعا ونفعا سرا وجهرا دنيا وأخرى ، كما قال رضي الله عنه مخاطبا جده المصطفى مغترفا من بحره الأصفا صلوات الله وسلامه عليه في قصيدته الشهيرة في قوله :

واعط المحبين جزلات العطايا التحاف
وجازهم بالمواهب من قـــدانا وكاف
محبة الصدق ماهي بالهـــذا والهراف

[1] الآية : ٦٦ النحل

فالمحبة الصادقة مع التشبه فيها الخير كله ويندرج في صدق المحبة حسن الظن الكامل ، فإنه أعلى وأشرف ماانطوى عليه قلب المؤمن المراد بالقرب من الله تعالى والزلفى لديه . لاسيما حب الصفوة النقوة من بين عشائر بيت النبوة آل باعلوي . قال الشيخ الإمام فضل بن عبد الله بافضل قدس الله روحه : خرجت مني كلمة حمدت الله عليها : من لايحسن الظن بآل أبي علوي مافيه خير . قال سيدنا وشيخنا الحامد بن عمر المار ذكره : وكان هذا الشيخ فضل من أهل بيت علم وصلاح يجلون ويحترمون ويعظمون آل أبي علوي . وقال سيدنا وشيخنا الحبيب احمد بن زين الحبشي- رضي الله عنه في شرح العينية بعد ما أورد مقالة الشيخ فضل : وكان له رحمه الله محبة أكيدة وصفا عقيدة ، وكان صاحب مراقبات عظيمة ومحاسبات وشدة ورع واحتياط عما لايعني ، ومع ذلك يطنب جدا في الثناء على آل أبي علوي والمدح لهم والتبجيل والإحترام ، ويذم من غفل عن قدرهم ويشنع جدا عليه ، ويستفظع أمر من قصر فيهم واستهان بهم ، وهذا أعظم دليل على تضلعه في حقائق الدين وامتلائه بالتحقق باتباع سنة سيد المرسلين ، وانكشاف حجب عين بصيرته لتجلي عين اليقين . إنتهى .

وكم وكم من سلك هذه الطريق وتحقق بها أتم تحقيق ، فتطلع إلى ماذكروه في أسفارهم ،وتضلع مما نشروه من أخبارهم تكن من أهل المشهد والمشرب ، وتدخل في غمار من عمل بمعنى هذا المذهب ، وصدقت هذه المحبة صفا المشرب ووفى المطلب .

قال سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في الفصول العلمية : إذا أحب أهل الدنيا من الغافلين والمخلطين أهل الآخرة من العلماء العاملين والأولياء الصالحين وعظموهم وغبطوهم على ماهم عليه من العمل بطاعة الله تعالى والإقبال على الله سبحانه كان ذلك منهم طاعة وخير ودليل سعادة وفلاح ، وربما جرهم ذلك وجذبهم إلى التشبه بأهل الخير والدخول في طرائقهم والعمل بأعمالهم الصالحة ، والإتصاف بصفاتهم المحمودة .

وقد وقع مثل ذلك كثير ، فمن ذلك أوقريب منه بلغنا أن جماعة من أهل الغفلة والتخليط إجتمعوا في موضع وبعثوا شخصا منهم بعشرين درهما ليأخذ لهم بها من الفواكه والطيب ونحوه ويصلحون به مجلسهم ، فلما ذهب إلى السوق ليشتري لهم ذلك وجد الناس مجتمعين على بطيخة كل منهم يريد أن يشتريها لأن بشر ابن الحارث رحمه الله ونفع به مسها بيده ، فاشتراها ذلك الشخص بالذي معه من الدراهم وذهب بها إلى أصحابه بعد أن أبطأ عليهم ، فلما جاء إليهم وليس معه إلا البطيخة فقال لهم إن هذه البطيخة فيها عجباً ! قالوا وماذلك ؟ قال : مسها بشر بن الحارث بيده فنافست عليها فأخذتها بالدراهم كلها ، فقالوا له ومايكون بشر هذا ؟ فقال لهم هو عبد أطاع الله تعالى فأكرمه ، فرجع بعضهم إلى بعض وقالوا : إذا كان صاحب الطاعة تنتهي به الكرامة عند الله إلى مثل هذا في الدنيا فكيف في الآخرة ، فتابوا بأجمعهم وتركوا ماكانوا عليه من اللهو والغفلة . إنتهت الحكاية بمعناها .

ومثل ذلك كثير وقوعه لأهل الغفلة والإغترار مع أهل التقوى والإقبال مهما عظموهم وأحبوهم ، وأما أهل الآخرة والإقبال على الله تعالى فمهما أحبوا أهل الدنيا من الغافلين والمخلطين ومالوا إليهم واستحسنوا أحوالهم وغبطوهم على ماهم عليه وفيه من التمتع بشهوات الدنيا والتقلب في لذاتها دل ذلك منهم على ضعف البصائر وسقوط الهمة وقلة الصدق أوعدمه في الإقبال على الله تعالى وعلى الدار الآخرة . إلى آخر ماذكره . وقد تكرر هذا المعنى ومرّ قريبا إذ بالتكرير يحصل التقرير ، وذلك أنها لما غلبت شهوات النفوس والغفلة عن الله وعن الدار الآخرة أحب العامة الطغام الأغنياء وقدموهم على الفقراء الصالحين الكرام ، فلعله يستيقظ وينتبه من أراد الله له الإلتحاق بأولئك الرفاق نفعنا الله بهم آمين .

واعلم أن مما ينبغي التنبيه عليه هنا حكم كرامات الأولياء وخوارق العادات الحاصلة لهم الجارية على أيديهم بأن تعلم أن الكرامات التي تجري على أيدي الأولياء وتنسب إليهم أن حقيقتها انها تجري بقدرة الله وخلقه ومشيئته وإرادته وفعلها وانفعالها بإذنه تعالى . وأولياء الله تعالى كالجداول التي يجري فيها الماء لا إختيار لهم في إجرائها، ونسبتها إليهم إنما هي نسبة تشريف وتكريم لشرف نفوسهم لديه تعالى وكرامتهم عنده لما تحققوا به من الخصلة الجامعة لجميع خلال الخير ، وهي التقوى والإستقامة على إتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

قال الإمام شيخ الطريقة ولسان الحقيقة شهاب الدين السهروردي قدس الله روحه فيما نقله عنه القطب اليافعي في روضه : وخرق العادة إنما يكاشف به لموضع ضعف يقين المكاشف رحمة من الله

تعالى لعباده العبّاد وثوابا معجلا لهم ، وفوق هؤلاء قوم إرتفعت الحجب عن قلوبهم وباشر بواطنهم روح اليقين وصرف المعرفة فلاحاجة لهم إلى مدد من المخرقات ورؤية القدر والآيات ، ولهذا المعنى مانقل عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثير من ذلك إلا القليل ، ونقل عن المتأخرين من المشايخ الصادقين اكثر من ذلك ، لأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لبركة صحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومجاورة نزول الوحي وتردد الملائكة وهبوطها تنورت بواطنهم وعاينوا الآخرة وزهدوا في الدنيا وتزكت نفوسهم وانخلعت عاداتهم وانصقلت مرايا قلوبهم ، استغنوا بما أعطوا عن رؤية الكرامات وشعاع أنوار القدرة ، ومن بلغ من قوة اليقين يرى في أخرى عالم الحكمة مايرى من الغير من القدرة ، ويرى القدرة متمكنة بل متجلية من سحب الحكمة ، فلو تجردت له القدرة وانكشفت له مااستغرب ، والمستغرب للقدرة يقوى يقينه بها ، لأنه محجوب بالحكمة عن القدرة . قال : وقد يكون للأولياء أنواع من الكرامات كسماع الهواتف من الهوى ، والندا من بواطنهم ، وتطوى لهم الأرض وقد تنقلب لهم الأعيان ، وقد ينكشف لهم مافي الضمير ويعلمون بعض الحوادث قبل تكوينها من بركة متابعتهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فأوفر الناس حظا من الصحبة والقرب والعبودية أوفرهم حظاً من متابعته صلى الله عليه وسلم . قال تعالى { **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** }[1] : وكرامات الأولياء من تتمة معجزات الأنبياء ، وكل رسول

[1] الآية : ٣١ آل عمران

كان له أتباع ظهرت له كرامات وتخريقات للعادات . هذا بعض كلامه . وقال الأستاذ أبوالقاسم القشيري : وكل نبي ظهرت كرامة على واحد من أمته فهي معدودة من جملة معجزاته . إنتهى .

وهذا مبحث لايمكن إستقصاؤه وقد فهم منه ومما قبله أن إثبات التراجم وماتشتمل عليه وظهور الكرامات ومايراد منها أن ذلك غير مقصود منه الرواية والحكاية ولا الفخر والتبجح مع العزوف عن سبيل الهداية والدراية ، فقد حذر الأئمة العارفون عن الغرور والعجب ببعض مايرد من ذلك على الشخص نفسه أومن ينسب إليه ، وقطعوا بأنه إن جرى على هذا الوجه القبيح كان مكراً واستدراجا ، وصلاة المعتمد عليه والراكن إليه خداجاً ، وماظهر من أعماله وسنح من أحواله وإن كان مستقيما فباطنه وحقيقته بطلانا واعوجاجا ، فاحكم لأولياء الله تعالى بالصدق مع الله في كل شأن ، واتهم نفسك في معاملاتها وماينتج من ثمراتها فهذا هو الشأن . قال سري السقطي : لوأن إنسانا دخل بستانا فيه جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولي الله فسكنت نفسه إلى ذلك كان أسيراً في يدها . وفي شرح الحكم لإبن عباد على قوله : كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه ، وعلى هذا ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الإستقامة . كلام عزيز المنال عظيم الفائدة ، غاية في التحقيق .

ومنه قال في لطائف المنن : واعلم أن الكرامة تارة تظهر للولي في نفسه وتارة تظهر منه لغيره ، فإن ظهرت للولي في نفسه فالمراد تعريفه بقدرة الله تعالى وفرديته ووحدانيته ، فإن قدرته لا تتوقف على الأسباب

، وأن العوائد والوسائط والأسباب حجب قدرته وسحب شمس أحديته فواقف عندها مخذول ، ونافذ منها إليه بالعناية موصول . قال بعض السلف : ألطف مايخادع به الأولياء الكرامات والمعونات . وذكر عن أبي حفص أوغيره أنه كان جالسا وحوله اصحابه ، قال : فنزل ظبي من الجبل فبرك عندهم ، قال فبكى أبو حفص ، فسئل عن بكائه ، قال كنتم حولي فوقع في قلبي لوكان عندي شاة لذبحتها لكم ، فلما برك هذا الظبي عندنا شبهت نفسي بفرعون حين سأل الله أن يجري معه النيل فأجراه معه ، فبكيت وسألته الإقالة مما تمنيت وسيَّب الظبي .

وقال سيدي أبوالعباس المرسي رضي الله عنه : ليس الشأن من تطوى له الأرض فإذا هو بمكة أوغيرها من البلدان إنما الشأن من تطوى عنه أوصاف نفسه فإذا هو عند ربه .

وذكر عند سهل بن عبد الله الكرامات فقال : ماالآيات وما الكرامات ؟ هي شيء تنقضي لوقتها ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموماً من أخلاق نفسك بخلق محمود .

وقال أبويزيد رضي الله عنه : لو أن رجلا بسط مصلاه على الماء ويتربع في الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه في الأمر والنهي . وقيل له فلان يقال أنه يمر في ليلة إلى مكة ؟ فقال : الشيطان يمر في لحظة من المشرق إلى المغرب وهو في لعنة الله . وقيل له أن فلانا يمشي على الماء ! فقال : الحيتان في الماء والطير في الهواء أعجب من ذلك .

وقال الجنيد رضي الله عنه : حجاب قلوب الخاصة المختصة به يرونه في التلذذ بالعطاء والسكون إلى الكرامات .

وقال بعض العلماء ما رأيت هذه الكرامات إلا على أيدي البُلُه من الصادقين . وكان رجلا يصحب سهل بن عبد الله رضي الله عنه فقال له يوما ربما أتوضاء للصلاة فسال الماء من بين يديّ قضبان ذهب وقضبان فضة فقال سهل : أما علمت أن الصبيان إذا بكوا أعطوا خشخاشة يشتغلون بها . إنتهى .

والحاصل أن جميع النعم ومنها الكرامة التي هي في حق الولي تسمى كرامة ، وفي حق كل مؤمن تسمى معونة كما مر تفصيل ذلك مع زيادة أنه إن شهد الإنسان فيها منة الله تعالى ولم يشهد له منها حظا ولاهوى لنفسه وشكر الله تعالى عليها بلزوم طاعته والخشوع له والخضوع لهيبته والخوف منه من ان يكون ذلك مكراً واستدراجا فهذه الكرامة تكون في حقه نعمة ورحمة ومعونة وفيها شرف ورفعة . وأما إذا كان للنفس في الكرامة حظ وهوى ورأى أن له في ذلك نسبة باستحقاق ، ونظر إلى نفسه كان له بذلك نصيب من الدناءة والخسة والرذالة . إنتهى وهو جيد نافع .

وذكر معنى ماذكره الإمام ابن عباد في حكم ابن عطاء في لطائف المنن فإنه قال فيها : الناس في ورود المنن على ثلاثة أقسام : فرح بالمنن لا من حيث مبديها ومنشيها ولكن بوجود المنفعة فيها فهذا من الغافلين يصدق عليه قوله تعالى { **حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة** } [1] . وفرح بالمنن من حيث أنه يشهدها منة ممن أرسلها ، ونعمة ممن أوصلها يصدق

---

[1] الآية : ٤٤ الأنعام

عليه قوله تعالى { **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** } [1] . وفرح بالله ما شغله من المنن ظاهر متعتها ولا باطن منتها بل شغله النظر إلى الله عما سواه واجتمع عليه فلايشهد إلا إياه ، يصدق عليه قوله تعالى { **قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون** } . إنتهى .

ومما يتعلق بهذا المبحث ماذكره الإمام الخطيب الشربيني رحمه الله في تفسيره للقرآن عند ذكر الكرامات وجواز صحة وقوعها شرعا وعقلا وأطال في ذلك ثم قال في آخره : ومع هذا صاحب الكرامات يجب عليه أن يكون خائفا وجِلا فلهذا قال المحققون : أكثر ماحصل الإنقطاع عن حضرة الله إنما وقع في مقام الكرامات ، فلا جرم ترى المخلصين يخافون من الكرامات كما يخافون من أشد أنواع البلاء ، والذي يدل على أن الإستيئناس بالكرامة قاطع عن الطريق بوجوه ، الأول : أن الكرامات أشياء مغايرة للحق سبحانه وتعالى والفرح بالكرامة فرح بغير الحق وهو حجاب ، والمحجوب عن الحق كيف يليق به الفرح والسرور . والوجه الثاني : أن من إعتقد في نفسه أنه مستحق الكرامة بسبب عمله حصل لعمله في قلبه وقع عظيم وكان جاهلا ، إذ لوعرف ربه لعلم أن كل طاعات الخلق في جنب جلاله تقصير ، وكل شكر في جنب آلآئه ونعمائه قصور .

(قلت) ولعل مافسر به هذا الوجه هو العجب وهو محبط للأعمال ، وينتج أخلاقا ذميمة خبيثة كالكبر والرياء والحسد وغير ذلك . الوجه الثالث : أن صاحب الكرامة إنما وجد الكرامة لإظهار الذل

[1] الآية : ٥٨ يونس

والخشوع والتضرع في حضرة الله تعالى ، فإذا ترفع وتجبر وتكبر بسبب الكرامات فقد بطل ما به وصل إلى الكرامات ، فهذه طريق يؤدي ثبوته إلى عدمه فكان مردوداً . ولهذا المعنى لما ذكر صلى الله عليه وآله وسلم مناقب نفسه وفضائلها كان يقول في آخر كل واحد منها : ولافخر . يعني لافخر بهذه الكرامات وإنما أفخر بالمعطي والمكرم . الوجه الرابع : أنه تعالى وصف عباده المخلصين بقوله تعالى { **ويدعوننا رَغَباً ورَهَباً** }[1] رغبا في ثوابنا وقيل رغبا في وصالنا { **ورهبا** } من عقابنا . قال بعض المحققين : والأحسن أن يقال : رغبا فينا ورهبا منا . إنتهى ماذكره الشربيني وسيأتي لذلك مزيد بيان .

---

[1] الاية : ٩٠ الأنبياء

(فصل) نذكر فيه ماحققناه من معنى الكرامة التي هي نتيجة ثمرة من ثمرات الإستقامة ماقد يستند إليه أهل الجهل والغفلة والغرور من التلبيس والشكوك والأوهام والزور ، فيذهبون في مهامه أضاليل وسباسب أباطيل ، فيهلكون كماهلك إبليس بالكبر والتلبيس ، ومن تبعه على مراده الخسيس ، ومايغوي به من التدليس ، عصمنا الله من وساوسه ، وسلمنا من مجاري مغارسه . فنقول : فإذا كان المحذور المار ذكره فيمن وقعت على يديه الكرامة وقد تقرر أنها لاتسمى كرامة إلا مع الإستقامة وإلا كان ظهورها على يد غير المستقيم مكراً واستدراجا ، وأما إذا كان الإفتخار بها والغرور والعجب بسببها من غير من تجري على أيديهم تلك الكرامات وخوارق العادات من المنتسبين إليهم وذلك بمجرد الإنتساب إليهم بلا إستقامة ولا إقتفاء لهم ولاإتباع لآثارهم ، أووجد ذلك وقارنه نوع من الإفتخار وشؤم الإستكبار فذلك من أعظم الحجب والموانع عن الوصول إلى حقائق الإيمان ، والتحقق بالعبودية لله تعالى والعرفان ، وقد نبه على شؤم ذلك وذمه ونقص المتصف به وتقصيره الإمام الغزالي رضي الله عنه في مواضع من الإحياء في كتاب الغرور ، وكتاب العُجب ، وكتاب الصبر والشكر ، وفي كتاب تنبيه المغترين ، وكذا خاتمة المجددين الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في كتاب النصائح الدينية ، وفي كتاب الفصول العلمية ، وفي ديوانه وغيره ، وممن بعده وفي وقته كالبحر الزاخر الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه فإنه قال في قصيدة له تسمى (عقد الميثاق) :

ولاسبب إلا سيقطع حبله ... سوى نسب التقوى أعز تقية

ولا سبب يبقى سوى سبب الهدى   وماالعزة القعساء غـير الفتوة
وكل الورى لله عبـــــــد وإنمـا   يقدر قدر العبد في قدر خدمة
وما الموت بعد العيش إلا ليبتلى الـ   ـورى أيهم خير وأحسن سيرة

قال في الشرح : فإن لم يكن العبد ذا فضل في جِدِّهِ وانثنى يفتخر بفخر أبيه وجده ، فإن ذلك فضل لغيره لايرفعه ، وفعل ثمره يعود لفاعله لاينفعه ، إذ ليس للإنسان إلا ماسعى ، ولايلقى إلا ماحفظ ووعى ، ولو كان النسب يعود إلى الولد لعاد الناس كلهم بالإنتساب إلى آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم ، ولما حل على بني إسرائيل ما حل من المحنة والذلة والمسكنة وهم أولاد الأنبياء ، وقد رغب نوح في نجاة إبنه لكونه من أهله الذين وعدهم في نجاتهم فأجابه بأنه عمل غير صالح ليس من أهله ، فنفاه أن يكون من أهله ، فالولد وإن خلق من أبيه وانفصل من طينته فهو كالعذرة والفضلات تخرج من معدته ، فالنسب حقيقي وهو ما أصله الإيمان وتواقفت فيه صفات الولد والوالد على الإحسان ، وصوري وهو ماتباين فيه الأوصاف وتحقق فيه الإختلاف ، فالحبال كلها مقطوعة ، والأنساب ممنوعة ، إلا ماوصل الله تعالى بالتقوى ، واستمسك بالعروة الوثقى ، فلا نسب إلا سيقطع حبله سوى نسب التقوى وأهله فهو أعز تقية لفرعه وأصله ، وأنفع عائدة في نفعه ووصله ، قال تعالى { **ألحقنا بهم ذريتهم بإيمان** }[1] { **وكان أبوهما صالحا** } وأما غير أولئك فلا أنساب بينهم ولا يتسآءلون

[1] الآية : ٢١ الطور

، { **يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وبنيه** }[2] وتقطعت بهم الأسباب ، ولانسب يوصل إلى الفلاح إلاالهدى والصلاح ، وما العزة إلا لله ولرسوله وللمؤمنين بالله ، فمن إعتز بغير الله ذل ، ومن إستكبر بعزة غير الله هان . وقل فما السبب الأقوى غير حبل الهدى والدين ، وما العزة القعساء التي هي الدرجة العليا غير البنوة الحاصلة من ثمرة كمال الصبر على المكاره في إتباع النبوة . إنتهى شرح الأبيات المذكورة . وقال أيضا في الشرح المذكور : لاتفيد طول المجالسة مع عدم المجانسة ، ولا قرب الأجسام والمعاينة مع حقيقة البعد في المعنى والمباينة ، فكم جمعت دار من آدمي وحمار ، ومسلمين وكفار ، وصالحين وفجار ، فلم يغنوا عنهم من الله شيئا ، فلاتفيد تلاقي الأشباح مع تباين الأرواح ، فالأرواح جنود مجندة ماتعارف منها إئتلف بذكر الله على أمرالله ، والأجسام مزاج متضادة آئلة إلى التراب . إنتهى كلام سيدي الحبيب عبد الرحمن نفعنا الله به .

وقال الإمام النبيه يحيى بن أبي بكر العامري رحمه الله في بهجته في آخر فصل فضائل أهل البيت : ومما يتعين التحذير عنه الغلو في حب أهل البيت حتى يتناول بسببهم كثيرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أويحب أفعالهم الصادرة منهم حَسَنها وسيئها ، وحتى لايقبح منهم شيئا ، وكل من أحبهم على هذا الوجه خسر ولايقاوم خيره شره . وقد روينا بالسند الثابت عن الفضل بن مرزوق قال : سمعت الحسن المثنى يقول لرجل ممن يغلوا فيهم : أحبونا لله فإن أطعنا الله

---

[2] الآيات : ٣٤-٣٦ عبس

فأحبونا ، وإن عصينا فابغضونا ، فقال له رجل : إنكم ذو قرابة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته ؟ فقال له : لوكان ذلك ينفع بغير عمل بطاعته لنفع ذلك ممن هو أقرب إليه منا ؛ أباه وأمه ، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، وأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين . إنتهى .

وسيأتي مثل ذلك عن الحسن بن علي رضي الله عنهما مع بعض الشيعة . وقال شيخ مشايخنا خاتمة الأعيان الشيخ محمد بن ياسين باقيس في ترجمة الشيخ الغوث عمر بن عبد القادر العمودي قدس الله روحه عند ذكر ماكان عليه ذرية الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي قدس الله روحه وأرواحهم من العلوم والأعمال ، والمقامات والأحوال ، وذكر مانقلوه عن الشيخ الإمام عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر السقاف باعلوي رضوان الله عليهم في رفع نسب الشيخ سعيد بن عيسى إلى عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم . قال الشيخ محمد نفع الله به بعد نقله له أي النسب المذكور : فهذا على ماقاله بعض المكاشفين وهو الشيخ عبد الرحمن ، ثم سرد النسب المذكور وقال بعده : فعلى هذا السياق حسبما كاشف به هذا الشريف يكون هذا المصداق أن سيدنا الشيخ سعيد نفع الله به جمع الله له بين الصديقية والولاية الكبرى والنسب الأحرى ، وفي هذا الشيء يعمل بكلام أهل الكشف من حيث حسن الظن ، وحيث لاهنا صح ولاماصح ، وليس هنا حكم شرعي وإنما هو إشارة إلى ضم شريف إلى شريف ، وإلا فعلى التحقيق فالنسب الأكبر الأشرف الأكرم هو تقوى الله كما قال سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز

{ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** } [1] ولم يقل أنسبكم وذلك لماكانت العرب عليه من الفخر بالأنساب ، وإلا فإن ذلك لاحاصل له ولاطائل تحته إذا لم تصحبه التقوى ، فإن صحبته التقوى صار سيادة وأي سيادة وفخراً وأي فخراً ورياسة وأي رياسة ، لأن التقوى هي الكلمة التي جمعت الأحوال الشريفة والمكارم المنيفة ، ولايشذ عنها من شعب الإيمان شيء أبداً ، بل كل أمور الدين داخلة في هذه الكلمة . وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (لافضل لأحمر على أسود إلا بالتقوى) إنتهى .

وذكر سيدي الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب الترجمة في أول كتابه المسمى (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) عند ذكر والدته الآتي ذكرها في الباب من آل إسحاق وعرض بذكر آل باجابر وقال : وكذا يقال إن آل العمودي من نسل أبي بكر الصديق رضي الله عنه ولايقال فيهم مثل ماقيل في آل إسحاق وآل باجابر ، أي من عدم صحة نسب الأولين إلى العباس والآخرين إلى عقيل رضي الله عنهما ، قال يعني في تقرير نسب آل العمودي : لأنه بلغنا عن سيدنا الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف أنه نادى الشيخ سعيد في البرزخ مَن أبوك ؟ فنادى آبائه وأجداده واحدا بعد واحد حتى بلغ نسبتهم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، فهذا يقوي حسن الظن ولايعمل به في الشريعة . إنتهى كلام سيدي الحبيب علي . وقد سمعت سيدنا وشيخنا الحبيب وارث الأسرار عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي يقول عندما ذكرت عنده

---

[1] الآية : ١٣ الحجرات

هذه المقالة : يكفيهم الإنتساب إلى هذا الشيخ الكبير إن إتبعوا طريقته ، يعني الشيخ سعيد بن عيسى . وكم جاء بعده من ذريته من إمام محقق في الطريقين ، وشيخ مرشد للفريقين .

وسمعت سيدي الشيخ العارف بالله الصوفي عبد الله بن احمد باقيس يقول : من ورع السادة العموديين واحتياطهم وعدم إلتفاتهم إلى الرسوم لم يؤلف أحد منهم في مناقب الشيخ سعيد ولاغيره من أعلام ذريته ، هذا معنى كلامه . (قلت) وربماكان ذلك منه خوف التجاوز في النقل والمجازفة لكمال ورعهم ، والشيخ سعيد نفعنا الله به حاله ومقامه مشهور وكل ذريته ظهور أحوالهم ومقاماتهم كظهور الشمس الضاحية وسط النهار ، وأيضا تركهم التصنيف إحترازا من إغترار أولادهم لاسيما وقد صار أكثرهم في هذه الأوقات متصفين بالعمومية والجهل والإعراض عن العلم والعمل ، وغلب ذلك أيضا في كثير من أمثالهم وفي هذه الجهة أغلب وأعم .

وسيأتي في الباب الأول زيادة بيان في ذلك ، ويأتي في الخاتمة أيضا أنه قد يبتلي بعضهم بتعظيم أوغاد الناس وأراذلهم أوغيرهم من أفاضلهم وأماثلهم قياما بحقوق سلفهم . وقد حذر الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في كتابه (الفصول العلمية) عن ذلك فقال : لاينبغي لأحد ممن يعول عليه أن يعظم ولاأن يثني على الجاهل وإن كان له نسب شريف ، فإن تعظيمه والثناء عليه في الظاهر قد يفتنه في دينه ويغره بالله ويزهده في العمل ويلهيه عن التزود لآخرته ، ويكون الذي يعظمه ويثني عليه سببا في فتنته وغروره ، كالساعي في هلاكه فيستوجب بذلك السخط من الله

ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ومن السلف الصالحين الذين ينسب إليهم ويتشرف بهم ذلك الجاهل ، وكيف يغتر أحد بنسبٍ مجرد عن التقوى . ومرّ عن بهجة الإمام العامري قريب منه .

ثم ذكر أعني سيدي الحبيب عبد الله شواهد ذم الثناء والمدح لمن ليس أهلا له ، ثم قال بعده : وأما العالم البصير العارف بربه وبنفسه فليس يضره ذلك ، فقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجال من الصحابة وأثني عليهم عنده فلم يزدهم ذلك إلا معرفة وبصيرة بدين الله وأخذاً وتشميراً في طاعته ، ومبادرة إلى عبادته ومسارعة إلى مرضاته . وفي الحديث (إذا مدح المؤمن ربى الإيمان في قلبه) ولكن أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل وخصوصا في هذا الزمان وأهل الجهل والغرور كثيرا ، فليحذر المتقي المؤمن بربه الشفيق على دينه من كل مايضر به نفسه أويضر به غيره من إخوانه المسلمين . ثم ذكر بعد ذلك أنواع من الغرور وأن بعض الجهلة قد يعتقد أن بعض المعاصي لا تضر من ينتسب إلى الشرف وإلى أرباب الصلاح وذلك ضلال مبين وشؤم عن معتقده . ثم عقبه بماورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تحذير خاصته وأهل بيته عن الإغترار بالنسب والإتكال عليه . وذكر بعده إنه قد تنبه لهذا المعنى حتى بعض الشعراء فضلا عن الأئمة والعلماء حتى قال بعضهم :

لعمرك ما الإنسان إلا ابن دينه   فلاتترك التقوى إتكالا على النسب
فقد رفع الإسلام سلمان فارس   وقد خفض الشرك الحسيب أبالهب

إلى آخر ماذكره مع قيود في كلامه نفعنا الله به . وشواهده من الآيات القرآنية والأخبار النبوية . ثم إن كثيرا من أهل البيت النبوي والمقام المصطفوي نبهوا على ذلك ونصّوا عليه خوف غرور غيرهم وتمسكهم بالنسب الذي قد نبه اللطيف بعباده على أنه لاينفع مجردا عن التقوى لا في الدنيا ولا في الآخرة في قوله تعالى { **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** } [1] وفي قوله تعالى { **فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** } [2] أي { **يوم يفر المرء من أخيه * وأمه وأبيه * وصاحبته وأخيه * لكل إمرء منهم يومئذ شأن يغنيه** } [3] ولايشفع فيه إلا أهل المعرفة بالله تعالى والأعمال الصالحة من الأنبياء والأولياء والعلماء كما هو مفصل في محله . وأما من إغتر بالله تعالى وتمسك بالخيالات والأوهام ولم يتبع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما جاء به من عند الله وماشرعه لجميع عباده ولم يخص به أحدا دون أحد فهو مغرور مفتون مغبون محسور في يوم يبعث من في القبور ، ويحصل مافي الصدور . فليعلم ذلك ويتحققه من وقف عليه فإن إطلاقات القرآن ومأمورات الشريعة والملة عامة في كل أحد من أهل دائرة الإسلام والإيمان علما وعملا ، فمن عمل به مخلصا لله تعالى كان من الشاكرين الفائزين ، ومن أهملها وأعرض عنها كان من الهالكين الخاسرين ، والله غني عن العالمين { **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره * ومن يعمل مثقال ذرة شرا**

---

[1] الآية : ١٣ الحجرات

[2] الآية : ١٠١ المؤمنون

[3] الآيات : ٣٤ – ٣٦ عبس

يره } [1] وأما الأحاديث الواردة في ذلك فهي متسعة خارجة عن الحصر ، ولولم يرد فيه إلا هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم (إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمع أقصاهم كما يسمع أدناهم : ياأيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا فانصتوا لي اليوم ، إنما هي أعمالكم ترد عليكم ، أيها الناس إني وضعت لكم نسبا لأنفسكم فوضعتم نسبي ورفعتم نسبكم ، فقلت إن أكرمكم عند الله أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان وفلان أغنى من فلان ، فاليوم أضع نسبكم وأرفع نسبي ، أين المتقون ، فينصب للقوم لواء فيتبع المتقون لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب) إلى غير ذلك من الآثار فهي خارجة عن الحصر ، وقد مرت الإشارة إلى ذلك .

فمما ورد أيضا عن أكمل الوارثين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كل مايتعلق بالتقوى من البشرى في الدنيا والأخرى فهو ذم لما ينافي ذلك ويخالفه من القنوع والرضا بالرياسة في الدنيا التي هي عند العقلاء مذمة وخساسة ، إذ رسوم الدنيا حقيقتها نقص وخسران وانحطاط وهوان . وفيما ينقل عن الشيخ سعيد بن عيسى العمودي نفع الله به أنه قال : من رضي ان يقال له ياشيخ فهو نصيبه من الجنة . أشار الشيخ نفع الله به بذلك أن السالك المريد إذا رضي بالإسم دون المسمى أثمر له ذلك ترفعا على غيره وكِبراً ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم (لايدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كِبر) . ثم إن الكِبر يؤرث أخلاقا رديئة وهي :

---

[1] الآيات : ٧ – ٨ الزلزلة

الحسد والأنفة عن قبول الحق إذ هو نتيجة العجب ، والإعجاب رأس الغرور وهذه كلها محبطات للأعمال ومفسدات للدين ومذهبات للحسنات وعند ذلك يحرم المتصف بهذه الأخلاق الجنة . وقد قال العلماء : إن الشيخ من طعن في السن لكثرة تجاربه ومعلوماته ، ويسمى به من علت مرتبته في العلم وكثرت معارفه شيخا لذلك ، فالمشيخة رسم من الرسوم بالإتصاف بالتقوى مع الورع والإخلاص فبهما تظهر الثمرة ، وهما وإن كانا داخلان في مسمى التقوى لكن لظهورهما بمعنى يتبين به شرف المتصف به كان لهما مظهراً ونتيجة يثمران به عن سائر معاني التقوى ، ولهذا لما كان البر يجمع معناه لكثير من صفات الإيمان والإحسان كان مشاركا للتقوى في المعنى لقوله تعالى { **ولكن البر من إتقى** } وأما إذا أطلق إسم المشيخة الذي هو حقيقته ومعناه ماذكر على غير من ذكر أثمر له التعاظم والكبر والفخر والحسد لمن ظاهاه ، فقد نقل سيدي الأستاذ الحبيب علي صاحب الترجمة رضي الله عنه في كتابه القرطاس عن جده الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله بهم أنه قال : طلب الجاه داء على طالب الجاه لا دواء له . إنتهى . وذلك لأن الرياسة تتحكم عليه فلا يرى لأحد جَلّ أوقَلّ حقاً لاسيما إذا كان هناك من يعظمه من الجهال الأغمار فتشتعل في قلبه لمن ناظره نار الحسد والحقد وهما خُلقان مهلكان ليس لإنتهائهما غاية إلا من أراد الله تعالى هدايته وتاب عن ذلك بمجاهدة النفس وإلزامها الأخلاق الحميدة التي هي من كمال الإيمان . قال عليه الصلاة والسلام (لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) ولما نقل سيدي الحبيب علي هذه المقالة التي في ذم الجاه قال مامعناه : إن من

أبتلي بطلب الجاه والحشمة والقدر عند الناس والمنزلة في قلوبهم كان من شأنه أن يغمط الناس ويبطر الحق ولوكان في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أتاه بالهدى والنور لكان حاله معه كأبي جهل ، أوكان في زمان الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكان كيزيد بن معاوية . هذا حاصل كلامه . ولله دره حيث يقول :

الجاه من جاه جا منجاه منجا خطر   يقع مولع معلـــق بالبزاق الزفـر
الخيبه الجاه من يرجاه دوبه مصر   على الجفا للملا في كل خيبه يخر

ثم ذكر الحرف والصنائع التي ذكر العلماء التفصيل فيها من حيث من تكون في حقه محرمة أومكروهة أومندوبة أومباحة ، لأنها تترتب عليها أحكام الشرع الخمسة ، والإشارة إلى أن بعضها مع ذلك ليس فيها نوال ماعدا التعب والكلال ، كحال كثير من أهل الجهة التي ستأتي صفتها ونعتها فيما ننقله عنه قريبا ، مع أنهم يتعبون ويكدون أنفسهم وقد يتركون بسبب السعي في طلب المعاش بعض الواجبات ، ويقعون في بعض المحرمات كما ذكر ذلك الحجة الغزالي رضي الله عنه في كتاب الكسب والمعاش . وقوله رضي الله عنه (دوبه مصر) أي على الحسد لمن يضاهيه والجفا للملاء للمماثل والمشارك له ، أي لكل من له جاه أومال أوشيء من رياسات الدين أوالدنيا . ولهذا قال في القصيدة الجامعة للحكم والمواعظ :

واستطابت مناصبهم قبيح الخصالِ

ومثل هؤلاء الذين شأنهم ماذكر تكون لهم معنى المناصب رذائل ومعائب ، ونصب للمثالب ،كما قال القطب الفقيه عمر بن عبد الله

بامخرمه نفع الله به : واعلم بأن المناصب ماهي ألا نصب . وهذه الأوصاف مظهرها في جهة الأحقاف وذلك لغلبة الجهل والغفلة فبسبب ذلك ركبوا الكبر والفخر والحسد وعدم الإستعداد للنقلة كما تفرس صاحب الترجمة نفع الله به ذلك من طبائعهم وجبلاتهم ، فقد قال رضي الله عنه في كتابه : الرياض المؤنقة المار ذكره :

وبالجملة مثل غالب أهل جهة حضرموت من الساحل إلى مأرب ، ومن عين بامعبد إلى سيحوت ، في ضنك المعاش وضعف البخوت ، والسعي الممقوت ، كمثل العنكبوت إتخذت بيتا وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت ، قد شغلهم هم القوت عن عالم الملك والملكوت ، وعمتهم الغفلة بالسهو واللهو عن اللاهوت والناسوت ، فأعمالهم أعمال من يزعم أنه لايموت ، وطبائعهم الخيلاء والكبر والحسد والحقد والجبروت ، فإن سألت عن وصفهم المنعوت ، فإنهم لايشفقون ولايرفقون ، وهم للمؤسر منهم يحسدون ، وللمعسر لايرفدون ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون . ودوعن ضَيق وجميع أهله مظاليم ، الشريف والولي والوالي والعسكري والقبيلي والرعوي والعالم والجاهل وأهل الحرف ، ولافيه أحد يؤفي حقه ولاعشر مايستحقه . إنتهى ماحرره رضي الله عنه من الحكمة البالغة الجارية من ينبوع العلم والفتوة ، والوراثة والسيادة والنبوة .

وبيان ماتضمنته هذه المقالة ذات الألفاظ والمعاني الغزار على وجه الإختصار قوله : غالب أهل جهة حضرموت هو تحديد الجهة في العرف العام كما حقق ذلك شيخنا الإمام علي بن شيخ بن شهاب الدين باعلوي

نفعنا الله به في رسالة مختصرة قال : إن حضرموت في العرف العام من رباط الحبوظي إلى حَبّان فيدخل رباط الحبوظي دون حَبَّان للقاعدة عند أهل العربية دخول المغيامة دون المغيابه في الحدود ، وأما العرف الخاص فإنما مسمى حضرموت ليس إلا من شبام إلى تريم ، ونقله عن علماء حضرموت .

(تنبيه) العرف العام والخاص يأتي في معاني شتى في الجهات والقبائل كالشرف فإنه يطلق على كل من شرف في قومه ، وفي العرف الخاص يطلق على أولاد الحسن والحسين رضي الله عنهما ، وكذلك من ينسب إلى من إسمه علي يسمى علوياً ، وفي العرف الخاص يطلق العلوي على من ينسب إلى الشيخ علوي بن عبيد الله . وفي العرف الخاص : يطلق اليمن في الغالب على تهامة ، وفي العام يدخل حضرموت في اليمن ومكة لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (الدين يماني والكعبة يمانية) وكذا دوعن في العرف العام من قيدون كما في قصيدة الإستسقاء لسيدي الحبيب علي ، وفي العرف الخاص ليس إلا من هدون وأعلى ، وقوله : مثل غالب أهل جهة حضرموت ووصفهم بذلك الوصف يعني أن ذلك الوصف غالب على الطغام والجهال من أهل حضرموت ، لأن طبائعهم تخالف طبائع سائر الجهات لضنك المعايش ، ولذلك خص دوعن بمزيد تنبيه في الوصف الذميم لأنه أضنك وأضيق من غيره ، وأهله كالبادية فلايرون لأحد حقا لغلبة الجفاء فيهم كما قال عليه الصلاة والسلام (من بدا فقد جفا) بخلاف من شمله العرف الخاص بحضرموت المار ذكره ، فإنهم لمجاورتهم العلماء من السادات العلويين وغيرهم فكانوا لذلك أقرب إلى

الخير والتأدب بالآداب الشرعية ، والأخلاق المرضية قال المفسرون في قوله تعالى { **الأعراب أشد كفراً ونفاقا وأجدر أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله** }[1] أن ذلك لبعدهم عن العلم والعلماء حتى أنه يكون الفرق بين فاكهة البادية والحضر ، فإن فاكهة البادية تكون قاسية ، وفاكهة الحضر لَيّنة ، ولهذا وصف الحبيب علي رضي الله عنه طبائع أهل هذه الجهة الكبر والخيلاء لأن ذلك من صفات الجاهلية والشياطين ومثلهما الحسد والحقد والبغضاء والجبروت ، أي القهر . فبذلك وصفهم أنهم لايشفقون على المستضعفين ، ولايرفقون ، أي لايواسون الفقراء والمساكين كما علل بحسدهم وجفاهم وقسوتهم أنهم مشغولون بِهَمِّ القوت ، فلم يلتفتوا بسبب الإشتغال بذلك والإستغراق فيه إلى معالم الدين الذين يعلمون به ماخلقوا لأجله وهو العمل ، فصاروا بسبب إعراضهم وجهلهم وبعدهم عن العلم والعلماء مشغولين عن عالم الملك وهو عالم الشهادة ، وعالم الملكوت وهو عالم الغيب اللذين بالتفكر فيهما يزيد في التوحيد ومعرفة الله تعالى . ومعرضين أيضا عن الطريق المؤصلة إليه وهي العلم ، فهم كما قال تعالى { **إنهم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا** }[1] وماظلموا بذلك إلا أنفسهم كما استدل رضي الله عنه بقوله تعالى { **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** }[2] فإنهم ينقلبون بسبب تلك الأخلاق الرذال إلى العذاب والنكال

---

[1] الآية : ٩٧ التوبة

[1] الآية : ٤٤ الفرقان

[2] الآية : ٢٢٧ الشعراء

، وإلى الخزي والوبال ، والسلاسل والأغلال . وقوله رضي الله عنه : وعمتهم الغفلة والسهو واللهو عن اللاهوت والناسوت . إعلم أيها الواقف على هذه العبارة والإشارة من هذا العالم الخبير ، والناقد البصير ، فيما خوله الله تعالى من العلوم والمعارف والإهتداء إلى معرفة الرقائق واللطائف أن بيان ما أجمله وأشار إليه وبه في شأن هذه العوالم الأربعة التي تجمع عوالم الأرواح والأجسام ، قد ذكره المرشد المجدد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفعنا الله به آمين ، في كتابه (فتاوى الصوفية) في جواب من سأله عن عالم الملك والملكوت فقال رضي الله عنه : عالم الشهادة ما من شأنه أن يدرك بالحواس الخمس ، وعالم الغيب ماوراء ذلك من أمر الله تعالى الذي تقبله العقول السليمة ، وتؤمن به القلوب المؤقنة ، ويرى منه أنبياء الله تعالى وأوليائه بأبصار البصائر مايشاء الله تعالى ، وأما عالم اللاهوت والناسوت والجبروت فعالم اللاهوت طور من أطوار عالم الغيب تظهر فيه الأمور الإلهية المحضة الصرفة ، وعالم الناسوت طور يقابله تظهر فيه الأمور الإنسانية المطيقة الروحانية ، وعالم الجبروت طور من عالم الغيب تظهر فيه الأمور الإلهية مايدل على حقائق القهر وشدة البطش وسرعة الإنتقام ونهاية العز والإستغناء ومايناسب ذلك . وهذا ملخص مافهمناه واقتبسناه من كلام الأئمة في هذا الشأن ، فافهموه حقه ، وتأملوه كما ينبغي والله الموفق والمعين . إنتهى كلام القطب الحداد .

واعلم أن القلوب المكبلة في سرادقات حجب النفس الظلمانية لاتحوم حول مكنون هذه الأسرار ، ولاتشرق فيها شموس هذه الأنوار ، لأنهم

قنعوا عن العين بالأثر ، وبالخبر عن المخبر، بل هم بعيد جدا عن الأثر والخبر . فإن الشيخ عبد الله نفعنا الله به إنما نادى في قصيدته التي أولها :

ياسائلي حين لاواش من البشر والليل يخطر في برد من السحر

هم أهل اليقظة والإستبصار ، لا الجهلة الغفلة الأغمار ، فقال :

لاتقنعن بدون العـــين منـزلة فالخِب من يكتفي بالظل والأثر

وقال في الأخرى لما ذكر فيها اللاهوت والجبروت والناسوت المذكورات في كلام سيدنا الحبيب علي نفع الله بهما :

من قيداه قصوره وكلاله من أن يراه فَسمِهِ المبتوت

أي المقطوع ، فهما رضي الله عنهما وأمثالهما من آل أبي علوي وغيرهم من العارفين الأبرار قد إنطوت منهم البشرية في الخصوصية ، والتحقوا بأفق الملائكة العلوية ، والأنوار الروحية ، فلايكاد يضاهيهم في معاليهم في تحقيق العلوم الشرعية والعمل بها على منهج الإتباع للسنة المحمدية غيرهم ممن لم يذق بَلّةً من شرابهم ، ويشم شمة من أطيابهم ، فإنهم لما توجهوا إلى جناب الحق لم يلتفتوا إلى الأغيار ، ولم يقفوا مع الأنوار ، بل جدوا واجتهدوا حتى بلغوا غايات الكمال ، في المقامات والأحوال ، وحققوا آداب السادات الصوفية وانتهوا فيها إلى ذروة الكمال ، كما أشرت إلى ذلك في بعض المؤلفات وأخص مكان وقطر من هذه الجهة كما ذكرنا من هذه الصفات الحميدة ، والنعوت المجيدة ، ومافيها من روائح جنان المعرفة الربية ، وتخليص العبودية ، ومظهر السير القويم على الصراط المستقيم ، من بلد شبام إلى تريم . كما أنه مسمى حضرموت في العرف الخاص وماذكره

سيدي الحبيب علي نفع الله به من التحديد على وجه الإلحاق لاالإختصاص كما مر بيان ذلك قريبا . وعلى هذا التفصيل والإجمال يقبل ماجاء عنه في المدح والذم تأويل الإحتمال ، فإنه قال نفع الله به في بعض قصائده :

محلة الكسر والوادي ودوعن نشب

وقال في أخرى من حيث مايقتضيه ضيق المعيشة وضنكها الموجبة للتحاسد والتحاسد وعدم التناصر والتعاضد كما حقق ذلك في قصيدته التي خص بها القاطنين بدوعن ذماً ومدحاً وتعديلا وجرحاً وثناء وقدحا ، فقال :

هاك يا من عرف	صرفنا واعترف	بالوفا والشرف	قول كله تحف
قول يشفي العليل	قيل بعد المقيل	في فروع المسيل	حين حان المشف
ياصبي إرتحل	لا بدوعن تحل	في المكان الزحل	بالفلس والصلف
عز فيه المداد	والحسد فيه زاد	واستباح الفساد	والوداد إنتحف
يوم قل الحطام	زاد فيه الخصام	حربهم بحر طام	صف من بعد صف
بدك إن حد سليم	في الرضا مستقيم	بالصداقة نديم	مايروم الحتف
في مناصبه دا	بينهم قد بدا	شت بعد عدا	مايقولوا نصف
كل واحد يقول	ذاك مافيه طول	ما هو ألا جهول	ما لكم فيه شف
لاتزوروا رباه	لاتجيبوا نداه	فإن جده وأباه	فيهم الوزن خف
والقريب النسيب	فيه يمسي حريب	مابغا لك نصيب	يشتهيك التلف
لو نظر ساقيه	لك تجي جاريه	بالمدد ساريه	قضها في شنف
يبغضون الغني	ليش ذا يغتني	والفقير السني	يحسبونه طرف

دوب فيه الغـلا	والشدد والبـلا	عند جمـع الملا	وانشدوا من وقف
مانبشرك يـــوم	بالشبع فيه دوم	واهله الكل قوم	من لقي شي قطف
ماتحصـل كساك	بعد كسوة نساك	دون همك وساك	بل دوين النطف
دوعن ألا حقـير	غير يومـه نوير	فيه كم من كبـير	من رجال السلف
مثل شيخك سعيد	جيد ياخير جيد	واذكر أهل الصعيد	حيروا من وصف
نورهم قد مـــلاه	من كدوره جلاه	وارتكز في علاه	والوسط والطرف
حزم كله حوط	في جميع النقط	حـوطوه الفرط	بالنمش والشلف
ياالله انفـــع بهم	كون من حزبهم	هـيم في حبهم	بالـولا والشغف
جارهم والرســول	والصحاب الفحول	والرجال العدول	بينـهم لم أخـف

وقال رضي الله عنه في مكاتبة من مكاتباتـه مما يـدل على إعتنائـه بدوعن مع إعوجاج أهله : ونحن في هذه الأيام باقيين في دوعـن في قضـاء أوطار وتأليف أكسار كتعقيد أحجار ممزوجة بأكدار لاتكاد خروقها تنهـار ، ولاطريقها تمتار ، والله يخلق مايشاء ويختار ، إنتهى .

وهنا عبارة جامعة فيها تسـلية نافعة تناسـب مـافي هـذه الجملة مما نقلناه عـن سـيدي الحبيـب علي نفعنـا الله بـه وعـن غيره ، وذلك مـانقله شيخنا الإمام خاتمة الأعلام الحبيب عمر بن محمد السقاف باعلوي نفع الله بهم وقدس أرواحهـم في كتابـه (تفـريج القلـوب وتفـريج الكـروب) قـال : ومن كتاب مقال الناصحين قال الشيـخ العارف بالله عمر بن محمد بـن حيـد اليمـني في رسـالته : إن هـذا الزمـان قـد إختلط فيـه الصحة والسـقم ، والصدق والكذب ، وعمل كل برأيـه وترك أمـر ربـه ، فهـو يعامـل النـاس بظاهره والناس يعتقدون أن باطنه مع ربه ، فخوفه من سـقوط جاهـه عنـد

الناس أعظم من خوفه من سقوط منزلته عند الله عز وجل ، فسالم أرباب هذا المقام ولاترد عليهم كلمة واحدة في مقام الدين ، فإن سألوك فأجبهم بالحق ، وإن سكتوا عنك فاغتنم السلامة ، واحذرهم ولاتستمع إلى أقاويلهم فهم مغرورون ، بل مسحورون ، يحرصون على جمع الدنيا دون الفضائل ، ويحزنون على مافاتهم منها ولايبالون بمافاتهم من الدين ، قد سحرهم حب الدنيا وحشيت قلوبهم هموما وغموما ، فلم يبق للدين في قلوبهم متسع ، يستجهلون من أنفق الدنيا ، ويستخفون من زهد فيها ، لورأو الحق مثل الشمس ماقبلوه ولا ارتدوا عن ماهم فيه ، ولو تلوت عليهم علوم الأولين والآخرين لقاموا من عندك ومادخل في قلوبهم مثقال ذرة ، ما أكثر الغرور والزور في هذا الزمان ، والله المستعان ، خاصة ممن ينسب إلى الدين ، أويقال أنه من أبناء الصالحين ، قد مالوا إلى الدنيا غاية الميل ، فكأن العلماء نيام ، والمغرورون منهم في الغرق موتى ، ولله در القائل :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمـــر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ... بعضا ليدفع معورا عن معور
أبنيّ إن من الرجـال بهيـمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيـــبة في مـاله ... وإذا أصيب بدينه لم يبصـر

إنتهى من مقال الناصحين لباجمال . وقد أبدل سيدي الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة نفعنا الله به البيت الثاني ببيت غيره عوضا عن ذلك فقال :

وبقيت في خلف يفجر بعضهم ... بعضا ليزعم أنه العـلم البري

وبيان ذلك أنه رضي الله عنه لما كان سباق غايات في فهم المعاني فإنه فهم من فحوى قوله :

وبقيت في خلف يزكي بعضهم   بعضا ليدفع معورا عن معـور

أنه لما كان ذلك القائل من التابعين وهو في زمان دين وحياء ومروءة كان ذوو المروءات عند إقتحام الزلات وورود الهنات عارفون أنها تحط المروءات والدرجات ، كانوا يتعامون ويتتبعون ستر العورات ، فكان بعضهم يزكي البعض ليدفع هذا عورة الآخر ويقابله الآخر بمثل ذلك ، لأن السعي في ستر العورات من الدين والحياء الذي هو من الإيمان ، ومن المروءة التي تقال بها العثرات وتغفر الزلات ، وأما في زمانه رضي الله عنه لإرتفاع الديانات وهتك المروءات كان بعضهم يفجر البعض فافهم ما ألهم الله هذا الإمام من الأذواق . وقوله في مقال الناصحين : وخاصة من ينسب إلى الدين أويقال أنه من أبناء الصالحين . إلى آخره ، هو عين مافسر به سيدي الحبيب علي قول جده الحبيب عمر المار ذكره من قوله : طلب الجاه داء لادواء له . فإنه في القرطاس بعد ماقدمناه من كلامه قريبا . وقد يكون المبتلي بذلك الداء الدفين من أولاد الفقراء الصالحين فتحمله نفسه على أن يبغض كل متصف بمنصب علم أوجاه من مناصب جهته ولو كان من أهل البيت النبوي الذين لايصح إيمان شخص إلا بحبهم ، فتجده مع علمه باتصالهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقربهم منه يظن أويتوهم أن وجودهم ينقصه دينا ويبخسه شيئا من أشيائه ، ومصداق ذلك أنك ترى أخاه العامي الذي لم يمعن فيما أمعن فيه من العلم ولم يعتقده العامة قد إنطوى على الأخلاق الحسنة التي تحسن بالأولياء من ذوي

المناصب وأرباب المنازل والمراتب ، من التواضع ولين الجانب وحسن الظن وصدق العقيدة وصفاء المودة لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بحيث لو إتصف بها هذا المنصب مع علمه وعبادته لأشرقت أنواره ، وعلا مناره ، وشاعت بحسن الثناء أخباره ، وكان أهل الله بفضل الله أحباؤه وإخوانه وأعوانه وخلانه وأخدانه وأنصاره . إنتهى

وقد حقق هذا المعنى وبينه أحسن تبيين الشيخ القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس قدس الله روحه فيما حكاه عنه الشيخ محمد بن عمر بحرق في مواهب القدوس فإنه قال رحمه الله ونفع به من وصاياه الجامعة النافعة المناسبة لأهل الزمان : إعلم أنه لايتصور أن ينظر الناس كلهم إليك بعين الرضا ولوكنت أكمل خلق الله تعالى ، بل بعضهم مادح وبعضهم ذام ، واتخذ الناس جميعا أصدقاء بمحبة الموافقين ومداراة المخالفين الذامين وعدم الإنكار على المنكرين عليك منهم ، فإنهم قد غلبت عليهم صفات بشرية ؛ كما غلبت عليك بعض صفاتك وشهواتك ، وأحسن إلى من أساء إليك منهم ، وكن أنصح الناس للناس ولو كرهوا النصيحة تكن عندهم أعز الناس ، ولاتجادل أهل الحسد لك منهم ولاتطمع في رضاهم عنك أصلا خصوصا أهل الجاه منهم ، فمن غلب عليه حب الحسد لايقبل منك لامحالة . إنتهى . وهو تحقيق ماقاله سيدي الحبيب علي . ويؤيده ويوافقه ويفهم منه أن هذا الإمام جزء من سلفه وبعضهم بل كلهم كما قال الشيخ القطب الحداد نفع الله به :

مواريثهم فينا وفينا علومهم   وأسرارهم فليسأل المتعامي

فهم ذرية بعضها من بعض ، ولللاحق ماللسابق ، ويشير إلى ذلك ، أي إلى ذم مامر من الجاه قوله في الرائية الصغرى :

ولاتطلبن الجاه ياصاح إنه شهي وفيه السم من حيث لاتدري

وقول الحبيب علي نفع الله به :

الجاه من جاه جا منجاه منجا خطر

إلى آخر مامر . وكم له من الكلام ونصب أعلام وإثبات وأرقام في هذا المقام نظما ونثرا .

(تنبيهان) الأول في قوله في وصف أهل حضرموت المار مع تقييد إطلاقه وتخصيص تعميمه فقد سبقه إلى مثله الشيخ علي بن أبي بكر السكران بن الشيخ عبد الرحمن السقاف قدس الله أرواحهم فيما نقله عن أئمة آل باعباد فإنه قال : وأهل الجهة بحضرموت من حيث الجملة يغلب عليهم البداوة الشديدة وجفا الجهالة الذميمة ، يسترسلون بحكم الطباع ، ولا يتقيدون بحكم عقل ولا إتباع ، وفي هذه الأعصار غابت الأئمة الأخيار والشيوخ الكبار ، الذين هم للبلد كالشموس والأقمار، والنجوم في دياجي الأسحار ، وقد إستطارت نيران الجهل وشرارته لموتهم ، وترادفت ظلماته لفقدهم ، ومات الفضل والعلم لموت أهله ، واستغبط ذوالجهالة بجهالتهم . إلى آخر ما أطال به .

وقد قال الشيخ محمد بن عمر باجمال قد عمت البلوى في جهة حضرموت بعموم الجهل في أهلها ، وبالجهل تفسد الأعمال والأحوال ، وتخرب البلاد وتشيع الفاحشة والفساد ، والجهال أشبه بالشياطين في

أحوالهم ، وأقرب إلى البهائم في طبائعهم ، وقد كانت هذه الجهة معمورة بالعلم منتشرا فيها ؛ مُعظما بين أهلها والصلاح غالب فيهم .

حكى المؤرخون أنه كان ببلد تريم ثلاثمائة مفتي ، وفي شبام ستون مفتي وقاضي شافعي وقاضي حنفي ، وفي الهجرين قريب من ذلك ، واليوم قد ضيعوا الأمر كله ، وأصل الجهل وعمومه في هذه الجهة سببه جهل الولاة بها والأمراء ، واستمرار الغفلة عليهم وعدم شفقتهم على الرعية في دينهم ودنياهم ، وإنما ينتشر العلم في كل جهة ويرغب فيه أهلها بترغيب الولاة والأمراء وإعانتهم لأهله وإعزازهم لهم وإكرام العلم . إنتهى .

وعن الشيخ إبراهيم بن عبد الله باهرمز أنه قال : وسبب فساد هذه الجهة في دينها ودنياها جهل ولاتها وسلاطينها وإهمالهم للرعية وعدم الحماية لهم والدفع عنهم ، فالتبعة في ذلك والمؤاخذة عليهم ، فإن أثقل وزرهم فإنهم السبب في إهمال الأمور وانتشار الشرور وضنك المعيشة والتجاهر بالفواحش وعموم الجهل وانقراض العلم . إنتهى .

وعليه نفهم من كلام مقال الناصحين ومابعده أن طبائع بعض أهل هذه الجهة تخالف طبائع سائر الجهات وذلك لضيق أسباب الأرزاق وضنك المعايش أثمر ذلك لهم الحسد والبغضاء ، وبَعّدهم عن التواد والتآلف الذي هو شأن المؤمنين والإخوان المتوالين المتحابين .

(تنبيه) قول سيدي الحبيب علي قدس الله روحه المار : وقد يبتلي بذلك الداء الدفين بعض أولاد الصالحين . إلى آخره . يشير إلى أنهم يبتلون بالحسد لمن ضاهاهم وذلك كله جهل وحمق وغباوة ، وذلك لأنهم لو علموا أن المتصفين بالفضائل في أنفسهم لو تكبروا بها أوحسدوا غيرهم

لذهب فضلهم فضلا عن من ينتسب إليهم مع الجهل وعدم التأسي بمن إنتسبوا إليه والإقتداء بعلومهم وأعمالهم .

قال الشيخ علي بن حسام المتقي الحنفي المكي رحمه الله تعالى : إعلم أن شرف الإنسان وفضله ليس بكثرة العلم والتلامذة ، فإن بلعام بن باعورا كان يروى عنه أنه كان تحضر في مجلسه إثني عشر ألف محبرة تكتب منه العلم وسوء خاتمته معلوم . وكذا ليس بكثرة العبادة لأن إبليس كان أعبد الخلق كما روي أنه ماترك موضعا في السموات إلا سجد فيه ، وآخر الأمر إستحق اللعنة ، أي بعدم السجود لآدم عليه الصلاة والسلام إستكبارا . وكذا ليس بكثرة الكرامات لأنها قد تكون في حقه مكراً وخديعة واستدراجا ، وكذا ليس بكثرة المريدين لأنه قد يكون للشخص عشرة آلاف فصاعد من المريدين ولم يصل إلى رتبة المريد فضلا عن رتبة الشيخ ، وكذا لايكون بشرف الإنسان بالنسب لأن أولاد بعض الأنبياء صاروا كفارا ، ولابكثرة المال لأن مال قارون معلوم وصار خسف به وبداره الأرض . فثبت من هذا أنه لايكون شرفه وفضله إلا بخصلة واحدة ذكرها الله تعالى وعظم شأنها في كلامه المجيد في نحو مائتين وثلاثين موضعا على تفاوت معناها بحسب مواقعها وهي التقوى ، ثم سرد آيات التقوى الواردة في الكتاب العزيز ، إخبارا بذلك . إنتهى المقصود من كلامه .

وقد نبه الإمام الغزالي رضي الله عنه على هذا في كتبه ، كمنهاج العابدين ، والكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين ، وفي كتاب ذم الكبر والعجب من الإحياء ، وفي كتاب الغرور منه ، وغيرها . قال في

كتاب العجب من الإحياء : الرابع العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم أنه ينجوا بسبب شرف نسبه وبجاه آبائه وأنه مغفورا له ، ويتخيل بعضهم أن جميع الخلق لهم موال وعبيد ، وعلاجه أن يعلم أنه مهما خالف آباءه في أفعالهم وأخلاقهم وظن أنه ملحق بهم فقد جهل وإن إقتدى بآبائه فما كان من أخلاقهم العجب بل الخوف والإزدراء على النفس ، واستعظام الخلق وخدمة النفس ، ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال المحمودة لابالنسب ، فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبائل من لم يؤمن بالله ، فكانوا عند الله شراً من الكلاب وأخس من الخنازير ، ولذلك قال الله تعالى { **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى** } أي لاتفاوت في أنسابكم لإجتماعكم إلى أصل واحد ، ثم ذكر فائدة النسب فقال { **وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا** } ثم بين أن الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال { **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** }[1] إلى آخر ماذكره رضي الله عنه في هذا الموضع .

وقد حقق سيدي الحبيب علي صاحب المناقب قدس الله روحه في كتابه القرطاس في ترجمة الشيخ القطب الرباني علي بن عبد الله باراس نفع الله به في ترجمته عند ذكر ماكان من سيدنا الشيخ الغوث جده الحبيب عمر بن عبد الرحمن من تقريبه له والثناء عليه بمقالات تدل على إتحاده ومشاركته له في الروحية ، والعطايا الفتوحية ، فعلت رتبته وشرفت منزلته ، فأنكر ذلك أناس ممن يقتدي بالسالفات ، ويعتقد أن

---

[1] الآية : ٤٣ الحجرات

الأسماء تغني عن المسميات ، ولم يدر الجاهل أن المتعزز بكمال غيره وهو عن فضيلته عاطل متعزز بالباطل كما قيل شعراً :

لئن فخرت بآباء لهم شرف فقد صدقت ولكن بئس ماولدوا

والشاهد لما كان من سيدي الحبيب عمر في شأن الشيخ علي ماكان من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه مع أن في الصحابة العظماء من هو أقرب من أبي بكر ، كعثمان وعلي رضي الله عنهما ، وممن عرض به سيدي الحبيب علي نفع الله به في هذا المبحث ماكان للشيخ سعد بن علي المدحجي الملقب بالسويني مع الشيخ عبد الرحمن السقاف وبنيه سيما الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس وولده الشيخ أبي بكر العدني ، فإنه جعل نعلين باليين للشيخ سعد في رزمة كساء وهي في صندوق ، وقد كان يخرجهما ويقبلهما ويشمهما كما سيأتي ذلك في ذكر التحكيم . وقد حقق سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به في الفصول العلمية عند ذكره الثناء من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على أناس من أصحابه رضي الله عنهم ممن لايضرهم الثناء ، وأنه لم يزدهم ذلك من الله إلا خوفا . وفي الحديث (إذا مدح المؤمن ربى الإيمان في قلبه) ولكن أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل وخصوصا في هذا الزمان وأهل الجهل والغرور كثير ، فليحذر المؤمن المتقي لربه ، الشفيق على دينه من كل مايضر به نفسه أو يضر به غيره من إخوانه المسلمين ، وقد تجري على ألسنة بعض الناس إذا قيل لهم : فعل فلان من أهل البيت كذا وكذا من المخالفات أو التخليط فيقول : أهل بيت رسول الله غير مؤاخذين ، ورسول الله يشفع

لهم ولعل الذنوب لاتضرهم ، وهذا قول شنيع يضر القائل به نفسه ويضر به غيره ، وكيف يقول ذلك أحد والعارفون الأقربون الأدنون من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بعد الآيات والأخبار قد نهوا على ذلك ، فمما يعزى للوارث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خلافة وولاية وعلما وعملا وهداية ووراثة ومعرفة ، مانقل عن السيد الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما هذه الأبيات :

أيها الفاخر جهلا بالنسب　　إنما النـــــاس لأم ولأب

هل تراهم خلقوا من فضة　　أوحديد أونحـاس أوذهب

وتحرّا فضلهم في خلقـهم　　هل سوى لحم وعظم وعصب

إنما الفخر بعلم زاخـــر　　وبأخلاق كـــرام وأدب

وفي كتاب العلم من الإحياء وعزاها إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه هذه الأبيات :

الناس من جهة التمثيل أكفاء　　أبـــوهم آدم والأم حـواء

فإن يكن لهم في أصلهم شرف　　يفاخرون به فالطـين والماء

ماالفخر إلا لأهل العلم إنهم　　على الهدى لمن إستهدا أدلاء

وقدر كل إمرء ماكان يحسنه　　والجاهلون لأهل العلم أعـداء

ففز بعلم تعش حيا به أبـدا　　الناس موتى وأهل العلم أحياء

وفي المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي بعد أن أطلق القلم وأطال في النقل من الكتاب والسنة والآثار المنقولة عن ذوي العلم والعقل ، في فضل أهل البيت النبوي وخصوصياتهم ، وماتفضل الله عليهم به في الدنيا والآخرة من الحال الأكمل ببركة أفضل نبي وأشرف

رسول ، قال في آخره رضي الله عنه : ولنختم هذه المقدمة بأمور أحدها : يتأكد على أهل البيت خاصة ، وسائر الناس عامة الإعتناء بتحصيل العلوم الشرعية ، والتخلق بالأخلاق النبوية ، والتخلي عن الصفات الدنيئة ، فإن القبيح من أهل البيت أقبح منه من غيرهم ، ولهذا قال العباس لإبنه عبد الله رضي الله عنهما : يابني إن الكذب ليس بأحد من هذه الأمة أقبح بي وبك وبأهل بيتك ، يابني لايكونن شيء مما خلق الله أحب إليك من طاعته ، ولا أكره إليك من معصيته ، فإن الله عز وجل ينفعك بذلك في الدنيا والآخرة . وقال الحسن المثنى : أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين ، ووالله إني لأرجو أن يؤتى المحسن منا أجره مرتين . وقال صلى الله عليه وسلم (إن أهل بيتي يرون أنهم أولى الناس بي وليس كذلك وإن أوليائي منكم من كانوا وحيث كانوا هم المتقون) .

وهنا كلام عزيز جامع لشيخنا العارف بالله تعالى الحبيب شيخ بن محمد الجفري نفع الله به ذكره في خطبة كتابه المسمى (كنز البراهين الكسبية والأسرار الوهبية العينية شرح سلسلة طريقة العلوية الشيعية) أحب لكل شريف أن يقف عليه لكني حذفته خوف التطويل الممل ، كما حذفت ما أشرت إليه أولا من كتب الإحياء وكتب سيدنا الحبيب عبد الله الحداد ، وخير الكلام ماقل وعلى المقصود دل . ومن كلام سيدنا الحبيب علي صاحب الترجمة نفع الله به بعد ذكر كلامه في خصوصيات النسب وآفاته قال : وهذا الباب واسع جداً ، والحاصل أن طريق أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طريقة وهب لاكسب كما قال العيدروس نفع الله به :

هذه مواهب ليس بالمكاسب   ياحاسدين

وإنما آفتها من قبل صاحبها ، فقد يكون التبذير سبب الفقر كما قيل : الناس ثلاثة : سابق ولاحق وماحق . فالسابق الذي يكون خير من سلفه ، واللاحق الذي يكون مثلهم ، والماحق الذي يخرب منصبهم . إلى آخر ماذكره سيدي الحبيب علي نفع الله به . وإنما أورد ت مافي هذه المقدمة تنشيطا للنفوس الزكية المكرمة لتجمع إذا كانت من الأشراف بين النسب الديني والطيني ، لما ذكره الشيخ احمد زروق في قواعد الصوفية فإنه قال : إذا إجتمع النسب الديني والطيني لاتضاها ولاتسامى درجة المتصف به كما وقع للشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به . إنتهى . وإلى ذلك يشير قول الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس نفع الله بهما في قصيدته التي مطلعها :

فقنا على العشاق في كل مشهد   من مثلنا

كما مرّ قريبا منهم الجمع بين النسب الطيني والنسب الديني بجهة الإلتحاق بالمعنى المتقدم المنقول فيما أسلفناه عن الشيخ احمد بن علوان ومابعده لاسيما وفي العصابة العطاسية السادات العلوية من ذرية صاحب الترجمة ، وذرية جده أستاذ الأكابر القطب الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس نفعنا الله بهم في هذا الوقت كثيرلهم تطلع إلى أوج المعالي ، والغوص في إستخراج اللآلي من معاني العلوم والعمل بهاعلى الوجه المرسوم ، زادهم الله من ذلك ، فإذا وقفوا على مثل ماقدمنا تزايد إشتياقهم وتوفر مالهم من الإقبال ، وارتفعت هممهم إلى تحقيق ماكان عليه سلفهم من العلوم والأعمال ، والمقامات والأحوال ، ويكون لغيرهم بهم

أسوة ورغبة في أن يكونوا من حزبهم ، فإن المصداق ماكان لسلمان رضي الله عنه من الإلتحاق ، ومن أحب قوما أوتشبه بهم فهو منهم . ألحقنا الله تعالى بالصالحين وحققنا بمحبتهم في كل حال وحين .آمين اللهم آمين .

لاحقة لما سوى التوحيد الصرف والمضار والرذائل ماحقه ، إعلم أن أولياء الله وخاصته من عباده ورحمته الخاصة والعامة في بلادهم وهم الذين بهم الخلق يرحمون ، وبهم ينصرون ويغاثون ، ويرفع الله بهم عن خلقه البلايا والنوازل ، ويكشف الكروب وبهم يرفع الدرجات والمنازل ، وهم الوسائط بين الله وبين عباده المؤمنين ، ولهم الكرامات وخوارق العادات الواقعة على تكرار الآناء والسنين ، وذلك بإذن الله لهم حسبما مر من ذكر أنواع الكرامات وخوارق العادات الواقعة مما نقلناه عن القطب اليافعي وهو من المجمع عليه عند أهل السنة ، وأن الراجح عندهم أن كل ماصح أن يكون معجزة لنبي كان كرامة لولي . وقال الجمهور من أهل السنة بجواز التوسل بالأولياء أيضا وعمل به كثير من الجامعين بين التضلع من علوم الشريعة وحقائق الطريقة ، ولهم في ذلك دلائل شرعية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم (اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك) إلى آخر الحديث . وبحديث الأعمى الذي توسل بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى أبصر وغيرذلك . وممن يعمل على هذا ويقول به الأستاذ الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي من متأخري المجددين للدين ، لكنه مع علمه بذلك يحترز عن إطلاق التوسل والإستنجاد ، بسلفه الكرام الأمجاد ، وغيرهم ممن ترقى وساد ، كأستاذ

الأكابر الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس الله أرواحهم وذلك كقوله في قصيدته التي أولها :

حي حيا ليالي الوصل في وادي الغيد

بعد توسلاته واستعطافه لأولئك الأعلام قال في آخرها :

فضل من ربكم والأمر لله توحيد

وكذا قوله في قصيدته التي يمتدح بها الأستاذ المعظم الفقيه المقدم بعد تخليصه فيها من قوله :

فانٍ وإلا فإني قد ركنت إلى ... ركن عظيم له شأن من الشان

محمد ابن علي شيخ مشيخة ... لنا وأصل فروع ثمـرها داني

إلى أن قال :

يدعو بك الله في تفريج كربته ... وماعناه دعاء الخائف الجاني

فقم به وأغثه واحم جانـبه ... مما يحاذر في سر وإعـلان

إلى أن قال بعد التوسل البالغ :

والأمر لله جل الله خالقنا ... منشئ البرايا ومحي الميت الفاني

إذا علمت ماتقرر من جواز الكرامات للأولياء ونسبتها إليهم وجواز التوسل بهم فاعلم أن بعض العوام والجهال الطغام سلكوا سبيل المبالغة في عقائدهم في الأولياء ونسبوا إليهم الضر والنفع والجلب والدفع وأطلقوا ذلك ، ومن أرشدهم إلى الصواب وإلى الإقتصاد في الإعتقاد نسبوه إلى البدعة لاسيما الذين يتعرضون للجاه عند من لاخلاق له من الجهال الطغام ، ولاسيما قد صاروا في ذلك فرقتين ، وانقسموا قسمين ، فرقة تركوا الإعتقاد بالكلية بعد ظهور ماادعته الإرشادية ، وفرقة بقوا على ماهم عليه

من العصبية ، والكل أهل شُبَه وتخليط ومترددين بين إفراط وتفريط وهم أعني العوام مختلفون في ذلك ، فبعضهم يعتقد ذلك بقلبه ويقوله بلسانه وهم أهل السواد وبعض البادية ، وبعضهم يتفوه بلسانه ولايعتقده بقلبه وهم الأكثر وكلهم مخطئون ، إلا إن الإعتقاد الأول قد يفضي إلى الكفر ويكون هو الكفر نفسه كما قرره العلماء في الحديث القدسي وهو ماروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الصحيح أنه أصبح يوما في أثر سماء ، فقال إن الله تعالى يقول : أصبح اليوم بي من عبادي مؤمن وكافر ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافربالكواكب ،وأما من قال مُطرنا بنوء كذا معتقد التأثير للكواكب فهو كافر وإن كان غير معتقد لذلك ، فقوله وإطلاقه ونسبته للكوكب مكروه ، وإلى هذا الذي سلكه العوام وتعرضوا به لمقت الله والوقوع في المكروه والحرام ، وقد أشار القطب الإمام الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه نفع الله به في بعض قصائده فإنه قال في القصيدة التي أولها :

عذب قد درت في الدنيا مُنجِّي وصاعد

إلى أن قال :

فارعني السمع ياقاصد تنال المقاصد

قف على باب مايقلده ياسعد قالد

باب مولاك ذي منه ورود الموائد

لاتجي غيره إنه منتهى كل قاصد

فيه للراجي اللاجي كبار الموائد

فأغد يَمّه وأصبح وامس ياسعد وافد

نحوه إجعله مرعى الروح صادر ووارد
واحذر إبليس يلهمك الغلو في العقائد
في العبيد إن له في ذا الدقيقه مصائد
عبد بالجهل والمعبود بالحق واحـــد
ذا صواب الجواب الصدق وإن شئت زايد
فاقر الأعراف وإلااستفت عن ذا وناشد
فإن خير البرايا سيد أهل المساجـــد
قال مأمور لاأملك ولانا بقائـــــد
نفع نفسي ولا عن موضع الضر شارد
بل ماشاء عظيم الشان ياذا المعـــاند
ذه والآيات في ذا الباب مره شواهد
والشفاعه تبين ماغبي للمجاحـــــد
حين ماشافع يشفع ولو كان والـــــد
غير بإذن الله العايد على كل عايـــد
ثم نختم بصلى الله على خير حامـــد

وسيأتي عن الحجة الغزالي رضي الله عنه معنى مافي هذه الأبيات . وقال الشيخ ناصر الدين ابن بنت الميلق رضي الله عنه في قصيدته المشهورة في شأن الأولياء وسلوكهم وإرادتهم وهممهم وبلوغهم المقامات التي يشير إليها الحديث (مازال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي عليها ، ولئن سألني لأعطينه ، وإن

إستعاذني لأعيذنه) . الحديث القدسي . قال بعد وصفه أحوال الـولي لله تعالى :

له الوجودات أضحت طـوع قدرته   ومايشاء من الأوطـــــار يأتيـه

للسر قوم مع المحبوب ليس لـــــه   حد وليس سوى المحبوب يحصيه

به تصرفهم في الكائـــــنات فـما   يشاء شاء وما شـــاؤوه يقضـيه

إن كنت تعجب من هذا فلا عجب   لله في الكون أسرار ترى فـــيه

لاشيء في الكون إلا وهو ذو أثـر   وما المؤثر غير الله قاضــــــيه

فتأمل كلام هؤلاء الأئمة المقتدى بهم في الدين وما أطلقوه وقيدوه في شأن الأولياء . وقد نقل السيد البدل عبد الـرحمن بـن سـليمان الأهـدل نفع الله به في جواب له في بعض مؤلفاته : إن الـولي قـد يبلـغ في التصرف إلى أن يتصرف بكلمة كن . وقد رد الشيخ ابن حجـر وغيره عـلى مـن كفـر القائل بقوله : أعطي فلان كلمة كن ، قالوا فـإن هـذا الـكلام يصـدق عـلى من خرق الله له العادة مرة أو مرتين . إلى آخر ماذكره قـدس الله روحـه . وقال أيضـا في جـواب له مانصـه : وقـد تقـدم لك أن جميع أهـل التصـوف وأرباب الجد والإجتهاد المجمع على كمال معرفتهم بثبـوت الكرامـات للأوليـاء والتصرف لهـم في الأكوان ولـيس ذلك إلا لأرواحهـم المقدسـة وهـي باقيـة ، والتصرف الحقيقي ليس إلا لله وحده ، فالكل بقدرته وهم فـانون في جلالـه وعظمته في الحياة وبعد الممات ، فلو فرضنا انه حصـل عـلى أحـد في حـال حضوره في مشهد بحيث صار في حاله كالغافل والملجاء أوالمغمى عليـه فهـو غير مكلف ، لأن الولي لاشيء عليه إذا قيل بحاله في حـال حياتـه ، فكـذا إذا صدر مثل هذا بعد موته . بل ومما يزيد التصرف في حياتهم وبعد مماتهم

أن أرواحهم المقدسة باقية ، وأن تصرفهم بالله عنه لفنائهم في جلال ذات الله ، وأن المتصرف الحقيقي ليس إلا الله كما يقتضيه مذهبهم واعتقادهم . فحينئذ فلا شيء على من صار يتصرف تصرف الولي الثابت الولاية كما يقتضيه قواعد الأصول والفروع . إنتهى .

ونقله عن الشيخ عبد الله خليل الزبيدي . وقال أعني السيد عبد الرحمن المذكور نفع الله به في جواب له على النذر للأولياء بعد كلام : فاتضح بهذا أن النذر الواقع للأولياء إذا صح شرعا بالطريق الآتي بيانها إن شاء الله تعالى وحصل المطلوب بعد ذلك فليس حصول ذلك إلابمحض الفضل الإلهي والإرادة الرحمانية وسابق التقدير لاغير ، وأما النذر فلا دخل له في جلب نفع ولادفع ضر بل غاية أمره أنه يستخرج به من البخيل .

وقد تكلم علماء المذهب في النذر للأولياء نفعنا الله بهم . قال السيد العلامة السمهودي رحمه الله على قول الروضة من زوائد آخر النذر : ومما يحتاج إليه إذا نذر زيتا أوشمعا أونحوه ليسرج به في مسجد أوغيره مالفظه قوله في مسجد أوغيره شامل للمشاهد وهو موافق لما أفتى به ابن رزين ونقل عبارته وقال بعدها : قلت : وهو صريح في أن النذر للقبر والمراد من دفن فيه غير صحيح وهو كذلك إذا قصد تمليكه كالحي ، فإن قصد الناذر إلتزام التصرف على فقراء محلة ذلك الميت والمجاورين لضريحه أوعمارة مشهده حيث إحتاجها أواطرد العرف في مثل هذا النذر بشيء من ذلك نزل النذر عليه ووجب العمل بمقتضاه . ولعل المراد من نذره عند قصد نفع الميت به نذر التصدق به عنه على من جرت العادة

بالصرف إليه إذا الصدقة على الميت صحيحة إنتفاعه بها ، فيصح إلتزامها بالنذر . وأما عند قصد نفع من يجاورهم ممن اطرد العرف بصرف ذلك لهم فلا إشكال في الصحة . ثم قال بعد نقل عبارات : ونقل في الخادم أن الإمام أبابكر الخطيب البغدادي قال عند مصلى العيد قبر يعرف بقبر النذر ويقصده الناس لقضاء حوائجهم ، ويقال أنه قبر عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وعنهم وهو الأصح . إنما سمي قبر النذور لأنه ماقصد في حاجة إلا وقضيت . قال الخطيب : وأنا قصدته مراراً كثيرة ونذرت وحصل المقصود . إنتهى .

(قلت) وهو محمول على ماقدمناه لا على مايقصده الجهال من التقرب إلى الميت بتمليكه نفسه وهو محمل مافي التوسط وغيره من التنفير عن النذر للمشاهد . وقال في التوسط : إن الواقع من العامة هو قصد تعظيم البقعة أوالمشاهد أوالتقرب إلى من دفن هناك . قال : فإن معتقد العامة أن لهذه الأماكن خصوصيات لنفسها ، ويرون أن النذر لها مما يدفع به البلاء ويستجلب به النعماء ، حتى أنهم ينذرون لبعض الصخور والأحجار الوقود والطيب لما قيل أن فلانا جلس عليه أو إستند إليه . قال والصواب أن نذر الزيت والشمع باطل مطلقا فإن الناذر لايقصد إلا الإيقاد على القبر عينا تعظيما له ظانا أن ذلك قربة .

(قلت) هذا إنما يصدر من ذوي الجهالات وحمل مطلق النذر عليه غير صحيح . وقد قال هو أن الناذر إذا جرد قصده للتنوير على من يسكن تلك المشاهد أويرد إليها أويقرأ عند القبر صح نذره . إنتهى . وقد

أطال السيد قدس الله روحه النقل في هذا المبحث بما هذا حاصله والله أعلم .

وسيأتي عند ذكر المشهد الذي هو مشعر من مشاعر هذا الإمام وسلفه الكرام وسائر مشاهده المنسوبة له وإلى غيره من السادات الأعلام وماقصدنا به مما ينبغي لقاصدها والمار بها مما يقلب العادة عبادة عند ذوي القلوب والأفهام . وأعلم أن الشيخ ابن حجر رحمه الله تعالى رد على من إعترض على من كفر القائل بقوله : أعطي فلان كلمة كن . وقال : إنهم قالوا فإن هذا الكلام يصدق على من خرق الله له العادة مرة أومرتين . إلى آخر ماذكره قدس الله روحه . وبه يعلم أيضا ماقرروه أن الولي لاينتهي إلى التصرف المطلق أي وهو العلم بالجزئيات والكليات .

وقد نقلت في شرح خطبة سيدي الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر باعلوي نفع الله به مايقتضي ذلك وهو مانقله السيد عبد الرحمن المذكور عن الإمام الشعراوي قدس الله روحهما قال : قال الإمام الشعراوي في كشف الحجاب والران : وعن وجه أسئلة الجان : وسألوني هل وصل أحد من خلفاء أكابر الرسل إلى مرتبة يفعل فيها مايشاء من غير تحجير من حيث أن الخليفة له مالمستخلفه ؟ فأجبتهم مابلغنا أن الله أطلق لأحد ممن إستخلفه في الأرض أن يحكم بما يريد أبداً ، إنما استخلفهم خلافة مقيدة بأمور مقصودة محصورة . ثم قال بعد ذلك بكلام : فتأملوا أيها الجان على تحجير الأمور على سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى

{ **إتبع مايوحى إليك من ربك** }[1] وفي قوله لداود عليه السلام { **أن أحكم بين الناس بالحق** }[2] الآية . مع كونهما من الخلفاء بيقين . إلى أن قال : جميع مافي الكون فعل الله بالأصالة ولكنه إذا برز على يد الأكوان نسب إليهم ووقع التحجير منه وكان منه مايسعد به العبد ، ومنه مايشقى به بواسطة التكليف ، فانظروا الأصل واتركوا النظر إلى الفرع وانسبوا إليه مانسبه الله إليه . إنتهى كلام الشعراوي .

وحاصل الكلام مما قرروه علماء السنة المحققون في بيان سبيل الإقتصاد في الإعتقاد أن كل إنسان إعتقد المعجزة للأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، أوالكرامة للأولياء وتصرفهم بالحال أوشبه الخارقة بالسحر أوالعين أوالتأثير للملائكة والنجوم أوغير ذلك من الأسباب الحسية أوالمعنوية التي تنسب من حيث ظاهرها لمن ذكر أيضا إن إعتقد الشخص أن التأثير فيها ماذكرناه من الأسباب التي هي قوالب ومظاهر للتصرفات وآلاتها كان ذلك كفرا صريحا وشركا بواحا ، أوكون تلك التأثيرات حاصلة بإذن الله تعالى ومشيئته وبقضائه وقدره ، وإنما أجراها الله على يد من ذكر كرامة وشرفا لمن تحقق له بالعبودية ، ومكراً واستدراجا لمن خرج عن هدي من أطاعه واستقام على دينه . فهذه هي العقيده النافعة المنجية كما هو مقرر في كتب العقائد والتوحيد . وهذا مبحث يطول فيه الكلام ، وإنما نقلنا ما تيسر منه في هذا المقام ليعلم

[1] الآية : ١٠٦ الأنعام

[2] الآية : ٢٦ ص

إفراط من أفرط من الجهال الطغام ، وتفريط من فرط من الخوارج الزائغين عن سبيل السلام ، وهذا كلام للحجة الغزالي قدس الله روحه وهي عبارة مختصرة من الأربعين الأصل توضح المراد مما أردنا التنبيه عليه من الصواب فيما يتعلق من العقائد الجائزة في حق الأولياء . وأما ماذكره في قواعد العقائد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة وغيرها من كتب الإحياء فبحار زاخرة لا يلج لجتها إلا سماسرة العلماء . قال رضي الله عنه في أصل المحبة : العارف لا يحب إلا الله تعالى ، فإن أحب غيره فبحبه لله تعالى ، إذ قد يحب المحب عبد المحبوب وأقاربه وولده وصنعته وتصنيفه وكل ماهو منتسب إليه ، وكل ماهو في الوجود صنع الله تعالى وتصنيفه ، وكل الخلق عباد الله . ثم ذكر أصناف المحبوبين لأجل الله تعالى وقال في آخره : وأعظم الخلق إحسانا إلينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولله تعالى المنة والفضل بخلقه وبعثه كما قال تعالى { **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته** } الآية . إلى قوله تعالى { **الكتاب والحكمة** } [1] وقوله { **هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم** }[2] فما الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلا عبد مسخر مبعوث محمول على تبليغ الرسالة بالإضطرار والإختيار ، ولذلك قال الله تعالى { **إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء** }[3] وتأمل سورة الفتح

[1] الآية : ١٦٤ آل عمران

[2] الآية : ٢ الجمعة

[3] الآية : ٥٦ القصص

وقوله تعالى { **ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا** }[٤] فقد أنزله منزلة النظارة فقال له : إذا رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فقل بحمد الله لابحمدي وهو معنى التسبيح بحمد ربك ، فإن إلتفت قلبك إلى نفسك وسعيك فاستغفره ليتوب عليك ، واعلم أنه ليس لك من الأمر شيء . ومن هاهنا نظر عمر رضي الله عنه حينما وصله كتاب خالد رضي الله عنه بعد فتح اليمامة : من خالد سيف الله المسلول على المشركين إلى أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . فقال عمر رضي الله عنه : إن نصر الله المسلمين نظر خالد إلى تلقيب نفسه وتسميتها سيفا مسلولا على المشركين ، ولولا خط القلم كما هو لعلم أن ذلك ليس بسيفه وسعيه ولكن لله تعالى سر سبق في إرادته نصرة المسلمين ، فنصره بخطرة واحدة وهو خاطر رعب يلقيه الله تعالى في قلب الكافر فينهزم ، وينظر إليه غيره فينهزم وتعم الهزيمة ، فيظن خالد ومن هو مثل خالد أنه أعلى كلمة الإسلام بصرامته بحد سيفه ، وتطلع عمر رضي الله عنه ومن هو مثل حاله من الصديقين والأولياء على حقيقة الحال ويعلم أن حاجة خالد إلى الإستغفار والتسبيح بحمد ربه إذ رأى ذلك لنفسه كما أمر بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فإذن لاموجب للمحبة إلا أمران : أحدهما الإحسان والآخر غاية الجلال والجمال بكمال الجود والحكمة والعلم والقدرة والتقديس من العيب والنقص ، ولا إحسان إلا منه ، ولاجلال ولاجمال ولا قدس إلا له ،

---

[٤] الآيات : ٢ — ٣ النصر

فكل مافي العالم من حَسنٍ وإحسان فهو حسنة من إحسان جوده يسوقها إلى عباده بخطرة واحدة يخلقها في قلب المحسن ، فكل ما في العالم من صورة مليحة وهيئة جميلة تدرك بعين أوسمع أوشم فأثر من آثار قدرته ، وهي بعض معاني جلاله وجماله . فليت شعري من عرف بالمشاهدة المحققة والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور أن يلتفت إلى غير الله تعالى ، ويحب غير الله تعالى . إنتهى كلام الأربعين الأصل . حققنا الله تعالى بالتوحيد الخاص ، وأدخلنا في زمرة محبيه أهل الخصوصية والإختصاص ، ولاحرمنا بركتهم وشفاعتهم في الدنيا وحين ولات مناص ، اللهم آمين .

(الباب الأول) في ذكر نسبه وتاريخ ولادته ووفاته وابتداء سلوكه ومجاهداته وعلو مرتبته ، وفي ذلك بعض ماظهر من أحواله

ومقاماته وتنقلاته في البلاد لإرشاد العباد وعموم نفعه للحاضر والباد ، وبعض مايتعلق بكشوفاته حسب مابلغ إليّ مع الإختصار لضيق الوقت عن الإطناب والإكثار وكبر السن الذي تضعف معه الحواس الباطنة والظاهرة التي هي مواد هذه الأوطار . فأقول : هو السيد الشريف الإمام الليث الضرغام حامل لواء العلوم والأعمال ، على كاهل الهمة القوية والعزم التام ، الراقي في درجات الإسلام ومراقي الإيمان ومعارج الإحسان على الدوب والدوام ، قطب المقامات والأحوال ، الداعي إلى ربه وسبيله وتوحيده ومعرفته بالحال والمقال ، الباذل في ذلك الروح والأركان والمال ، العالم النحرير المفذلك البصير ، المستغرق أوقاته في الفكر والذكر والتذكير ، الحاصل له فيما سلكه من الدعوة إلى الله تعالى التأثر والتأثير ، القطب الجامع ، القانت الخاشع ، الذي جعل الله جوهره اللطيف لمن والاه ترياقا نافعا ، وعنصره الشريف لمن ناواه سما ناقعا ، خطة آمال القاصدين وكعبتهم ، ومآل المريدين الصادقين وقدوتهم ، الشيخ الأستاذ الغوث الملاذ الحبيب علي بن حسن بن عبد الله ابن الحسين بن الشيخ القطب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس بن سالم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ عبدالرحمن السقاف بن محمد بن علي بن الأستاذ الأعظم الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي بن علوي بن محمد بن علي بن علوي بن عبيد الله بن احمد المهاجر إلى الله بن عيسى النقيب بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين سبط رسول الله بن علي بن أبي طالب وابن البضعة البتول المنتقاة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن أمير المؤمنين

علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وعنا بهم آمين اللهم آمين . وهم الذين قال قائلهم وهو القطب الحداد في قصيدة العيدروس أحد الأفراد في قوله :

يابن طه ويابن خـــير وصي   وابن سبط الرسول وابن الرجال
الرجال الفحول من كل صدر   وإمام في العـــــلم والأعمال

وقال أيضا :

بيت النبوة والفتوة والهدى   والعلم في الماضي وفي المتوقع

إلى أن قال :

قوم يغاث بهم إذا حل البـلا   ولدى المساغب كالغيوث الهمع
قوم إذا أرخى الظلام ستوره   لم تلفهم رهن الوطا والمضجع
بل تلقهم عمد المحارب قومـا   لله أكرم بالسجود الركــــع
يتلون آيات القرآن تدبـــراً   فيه ولا كالغافل المـــتوزع
ثبتوا على قدم الرسول وصحبه   والتابعين لهم فسل وتتـــبع
ومضوا على قصد السبيل إلى العلا   قدما على قدم بجـــد أوزع

وقال أيضا:

أولئك وراث النبي ورهطه   وأولاده بالرغم للمتعامي

وقال أيضا :

فهم القوم الذين هـــدوا   وبفضـــــل الله قد سعدوا
ولغير الله ماقصـــدوا   ومع القرآن في قــــــرن
أهل بيت المصطفى الطهر   هم أمان الأرض فادكــــر
شبهوا بالأنجم الزهـــر   مثل ماقد جـــاء في السنن

وسفين للنجـــــاة إذا خفت من طـوفان كل أذى
فانج فيها لاتكون كـــذا واعتصـــــم بالله واستعن
رب فانفعنا ببركــــتهم واهـــــدنا الحسنى بحرمتهم
وأمتنا في طريقــــتهم ومعافاة من الفـــــــتن

وهم أيضا كما قال القائل :

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري

وقال فيهم أيضا الشيخ الإمام عبد الرحمن بن القطب الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعي قدس الله روحه آمين :

مررت بوادي حضرموت مسلما فألفيته بالبشر مبتسما رحبا
وألفيت فيه من جهابذة العــــلا أكابر لايلقون شرقا ولاغربا

وبالجملة فقد صُنفت في فضائلهم وخصوصياتهم ومناقبهم التي لاتحصى المؤلفات العديدة ؛ كجواهر العقدين وغيره من مصنفات المتقدمين ، وكالمصنف للشيخ عبد القادر الحفظي من المتأخرين المسمى (ذخيرة المال في فضائل الآل شرح عقد اللآل) وأما المؤلفات الخاصة لسادتنا آل أبي علوي فكالجوهر الشفاف في كرامات السادات الأشراف للشيخ عبد الرحمن بن محمد الخطيب الأنصاري ، وكتاب الترياق الواف بأخبار السادة الأشراف ، للسيد الإمام عمر بن محمد بن احمد باشيبان باعلوي ، وكتاب المنهل الصافي للسيد الإمام عبد الله بن عبدالرحمن باهارون الشهير بالنحوي ، وكتاب العقد النبوي للشيخ عبد الله بن شيخ العيدروس ، والبرقة المشيقة في الخرقة الأنيقة للشيخ علي بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف ، والمشرع الروي للسيد الإمام محمد بن أبي بكر الشلي ، والغرر

للسيد الإمام المحدث محمد بن علي خرد باعلوي ، وشرح العينية للشيخ الإمام احمد بن زين الحبشي ، والقرطاس لصاحب الترجمة الذي يقول إنه حقق ودقق فيما نقله في فضل أهل البيت بما لم يسبق إليه فيما يظن ، وفيض الأسرار شرح سلسلة الإمام الجامع الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن الشيخ القطب عمر بن عبد الرحمن البار لجامع هذا المؤلف ، قدس الله أرواحهم ونفعنا بهم .

وكل ماورد في ذلك من فضائل أهل البيت وسوابقهم فهو من فضل الله ومنته على إطلاقه ، ولكن الذي عليهم ويلزمهم أن يعتقدوا ويلاحظوا مامر في المقدمة ، وكما قاله سيدنا وشيخنا الإمام حامد بن عمر حامد باعلوي التريمي قدس الله روحه لما ذكرت عنده منظومة الشيخ الحفظي المشار إليها آنفا مامعناه : أن مسئلة أهل البيت ومسئلة القدر كلما زاد فيها البسط قام الإشكال ، وأهل البيت النبوي المرجو لهم من فضل الله أعظم مما ورد لهم من الخصوصيات ، وأماهم فاللازم عليهم أن يعتقدوا ما في آية الأحزاب { **يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن إتقيتن** }[1] الآية . و { **يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين** }[2] ولله در القائل من أهل العزائم :

وإنا وإن طالت بنا أحسابنا	لسنا على الأحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا	تبني ونفعل مثل مافعلوا

[1] الآية : ٣٢ الأحزاب

[2] الآية : ٣٠ الأحزاب

وقد عرض الشيخ عبد الله بهذا المعنى في قوله :

سقاالله بشارا بوابل رحــــمة يجـود عليها في الصباح وفي الأمسا
مرابع أحباب الفؤاد ومن لهـم به صــــــدق ود في سرائره أرسـا
وحياهم الرحمن بالعفو والرضا وأولاهم الإحسان والقرب والأنسا
فَثَمَّ أحيبابي وأهلي وســـادتي مشايخـــــنا المحسنون لنا غرسـا
غرائس مجد في حقائق نسبة مطهرة سدنا بها الغـــير والجنسـا

ومَرّ إيضاح مافي هذا المعنى من كلام مجمع الأحباب وجواب سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله الحداد نفع الله به من الفتاوى الصوفية بأنه من أحب قوما فلا بد أن يتشبه بهم حالا ومقالا وأعمالا وإن ورد في الحديث : من أحب قوما فهو منهم وإن لم يعمل بعملهم . وفي رواية ولما يلحق بهم . ويؤيده ماذكر الشيخ الحفظي في كتابه المار ذكره قال : وأخرج صاحب المطالب العلية عن علي رضي الله عنه انه مر على قوم فأسرعوا قياما إليه ، فقال من القوم ؟ قالوا من شيعتك يا أمير المؤمنين فقال لهم : خيرا ، ثم قال : ياهؤلاء مالي لا أرى عليكم شيمة شيعتنا وحلية أحبتنا ! فأمسكوا حياء منه ، فقال له من معه نسائلك بالذي أكرمكم وخصكم وحباكم لما أنبأتنا بصفة شيعتكم ؟ فقال : شيعتنا العارفون بالله العاملون بأمر الله ، أهل الفضائل الناطقون بالصواب ، أكلهم من القوت بقدر الكفاية ، ولباسهم الإقتصاد ومشيتهم التواضع ، مضوا عاضين بالنواجذ على دين الله ، غاضين أبصارهم عما حرم الله عليهم ، رامقين بأبصارهم ، قاصرين أسماعهم على العلم بربهم ، نزلت أنفسهم في البلاء كالذي كان منهم في الرخاء ، رضا من الله في القضاء ، فلولا الآجال التي كتبها الله لهم لم

تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين ، شوقا إلى الله تعالى والثواب ؛ وخوفا من أليم العقاب ، عظم الخالق في أنفسهم فصغروها دونه في أعينهم ، فهم والجنة كمن رآها ، فهم على أرائكها متكئون ، وشاهدوا النار فهم كمن رآها فهم فيها معذبون ، صبروا أياما قليلة فأعقبهم راحة طويلة ، أرادتهم الدنيا فلم يريدوها ، وطلبتهم فأعجزوها ، فأما الليل فصافوا أقدامهم تالون لأجزاء القرآن ترتيلا ، يعظون أنفسهم بأمثاله ، ويستشفون ليلهم بدوائه تارة ، وتارة يفترشون جباههم وأكفهم وركبهم وأطراف أقدامهم ، تجري دموعهم على الخدود يمجدون جبارا عظيما ، يجأرون إليه في فكاك رقابهم ، هذا ليلهم ! وأما نهارهم فحلماء علماء بررة أتقياء ، تراهم من خوف بارئهم كالقداح تحسبهم مرضا أوقد خولطوا وما هم كذلك ، بل خامرهم من عظمة ربهم وشدة سلطانه ماطاشت له قلوبهم ، وذهلت منه عقولهم ، وإذا اشتاقوا من ذلك بادروا بالأعمال الزكية ، لايرضون له بالقليل ، ولايستكثرون له الجزيل ، وهم لأنفسهم متهمون ، ومن أعمالهم مشفقون ، ترى لأحدهم قوةً في لين ، وحزماً في دين ، وإيماناً في يقين ، وحرصاً على حلم ، وفهماً في فقه ، وعلماً في حكم ، وكسباً في حق ، ورفقاً في كسب ، وطلباً في حلال ، وانبساطاً في هدى ، واعتصاماً في شهوة ، لايغره ماجهله ، ولايدع أحصى ماعمله ، يستبطي نفسه عن العمل ، وهو من صالح عمله على وجل ، يصبح وشغله الذكر ، ويمسي وهمه الفكر ، يبيت حذرا من سِنة الغفلة ، ويصبح فَرِحاً بما أصاب من الفضل والرحمة . إنتهى كلام باب مدينة العلم رضي الله عنه وكرم وجهه .

وقد علمت منه أنه عين صفة ذريته الخواص ، وشيعتهم أرباب الخصوصية والإختصاص ، لاسيما متخلقوا الطريقة المثلى ، الطارحون رئاسات النفوس ومنافسات أرباب النحوس تحت الأقدام السفلى ، وهم الطائفة العلوية ، الراسخون الأقدام في إتباع السنة وتحقيق أحوال ومقامات السادة الصوفية ، تعرف ذلك من منثور طبقاتهم وتواريخهم ، ومع ذلك فإنك إذا وقفت على ذلك فإنما كأنك تقف على السواد والظلال ، وأما الذوق والوجدان والأحوال فهيهات أن تراها إلا أن تأتي البيوت من أبوابها لا من ورائها ، فارحل إلى مسالكها تصل إلى مداركها ، وزاحم الكرارين في معاركها ترى سيلان دماء شهوات النفوس وسوافكها ، فحينئذ تذوق ماأشار إليه ابن بنت الميلق الشاذلي في قصيدته المار ذكرها وهو قوله رضي الله عنه وأرضاه آمين :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ومن دراه غدا بالروح يشريه
ولو تعوض أرواحا وجاد بها في كل طرفة عين لايساويه
وقطرة منه تكفي الخلق لو طعموا فيشطحون على الأكوان بالتيه
وذو الصبابة لويسقى على عدد الأنفاس والكون كأس ليس يرويه

إلى آخرها . وهنا فائدة جليلة ، وخريدة جميلة ينبغي التنبيه عليها ، والتوجه للسعي إليها إتماما للفائدة المقصودة ، ورجاء للعائدة الموعودة ، أذكرناها ما أوردناه من كلام سيدنا الإمام علي ومايشير إلى أن من أظهر المتحققين به بنوة بنوعلوي رضي الله عنهم وهو ماسئل عنه بحر العلوم وينبوع الفهوم الحبيب الإمام عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي رضي الله عنه وعنهم وهو مسئلة عن طريقة السادة آل باعلوي ما هي ؟ وكيف

هي ؟ وهل يكفي في تعريفها إتباع الكتاب والسنة أم لا ؟ وهل بينهم تخالف ؟ وهل يخالفها غيرها من الطرق أم لا ؟ الجواب والله الموفق للصواب : إعلم أن طريق السادة آل باعلوي أحد طرق الصوفية التي أساسها إتباع الكتاب والسنة ، ورأسها صدق الإفتقار وشهود المنة ، فهي إتباع منصوص على وجه مخصوص ، وتهذيب الأصول لتقريب الوصول ، فلها فائدة ونفع معلوم تزيد على ماتقتضيه إتباع الكتاب والسنة على وجه العموم ، وذلك أن علم الأحكام المتعلق بظاهر الإسلام أصل موضوعه عام في عام ، شامل لما المقصود منه ربط النظام وتقييد الطغام وغيرهم من العوام ، ولاشك أن الناس مختلفون في الدين في كل مقام ، فلا بد من علم خاص لكل مخصوص وهو محل نظر الخواص في حقيقة التقوى ، وتحقيق الإخلاص فإنه صراط مستقيم أدق من الشعر ، وأحد من السيف ، لايكفي فيه التعليم بالعموم بل لابد فيه لكل جزء من تعريف وتوقيف ، وهذا هو علم التصوف والسلوك إلى الله تعالى طريق الصوفية ، فظاهرها علم وعمل بمقتضاه ، وباطنها صدق التوجه إلى الله تعالى بما يرضاه ، فهي جامعة لكل خلق سني ، مانعة من كل وصف دني ، غايتها القرب إلى الله تعالى والفتح الهني ، فهي طريق أوصاف وأعمال ، وتحقيق أسرار ومقامات وأحوال ، يتلقاها الرجال عن الرجال ، بالتحقيق والذوق والفعال والإنفعال ، على حسب الفتح والفضل والنوال ، كما قلت في كتاب الرشفات :

ومن يكن بغير علم عالم ... ولم يذقها فهو ساه نائم
فخف عليه مايخاف الهايم ... عند كفاح الموت والأهوال

ونيلها من فتح فيض وهـــبي أوفتح فضل بعد جد كسبي
لا من روايات الورى والكتب ولا بقيل علمها والقـــــال
طوبى لمن طاب لها إستعداده وانحل من رِق السوى قياده
فحل في عين الحـــجا رشاده فذاق منها بَـــــلـةً بـبال
فبلة من كأسها المخـــــتوم تملي رياض القلب بالعـــلوم
وتحفظ الهم عن الوهـــــوم وتطلق العقل من العـــقال

إذا علمت ذلك فاعلم أن طريق السادة آ ل باعلوي نسجها على هذا المنوال ، فظاهرها علوم الدين والأعمال ، وباطنها تحقيق المقامات والأحوال ، وآدابها صون الأسرار والغيرة عليها من الإبتذال ، فظاهرهم ماشرحه الإمام الغزالي من العلم والعمل على المنهج الرشيد ، وباطنهم ما أوضحته الشاذلية من تحقيق الحقيقة وتجريد التوحيد ، فعلومهم علوم القوم ، ورسومهم محو الرسوم ، يرغبون إلى الله بالتقرب إليه بكل قربة ، ويقولون بأخذ العهد والتلقين والخرقة ودخول الخلوة والرياضة والمجاهدة وعقد الصحبة ، جُل مجاهدتهم الإجتهاد في تصفية الفؤاد ، والإستعداد بالتعرض لنفحات القرب في طريق الرشاد ، والإقتراب إلى الله بكل قربة في صحبة أهل الرشاد . فلابد مع صدق التوجه لوجه الله من فضل الله ، ومع جد الجهاد وبذل الإجتهاد من فتح الله ، { **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** }[1] فأصل طريق السادة آل باعلوي الطريقة المدنية طريقة الشيخ أبي مدين شعيب المغربي ، وقطبها ومدار تحقيقها

---

[1] الآية : ٦٩ العنكبوت

الفرد الغوث الشيخ الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي الحسيني الحضرمي ، تلقاها عنه الرجال عن الرجال ، وتوراثها منه الأكابر أولوا المقامات والأحوال ، ولكن لكونها طريق تحقق وأذواق وأسرار ، جنحوا إلى الخمول والتستر والأسرار، لم يضعوا في ذلك تأليفا ، ولاصنفوا فيه تصنيفا . ومضى الطبقة الأولى على ذلك إلى زمن العيدروس وأخيه الشيخ علي ، فاتسعت الدائرة وبعد المزار ، واتصل بهم المنفصل ببعيد الدار ، فأحتيج إلى التأليف والإيضاح والتعريف ، فظهر بحمد الله مايشرح الصدور ويبهج النفوس ، كالكبريت الأحمر والجزء اللطيف ، والمعارج ، والبَرقة المشيقة ، وغير ذلك مما كثر واشتهر ، وضوّع عرف معرفته الآفاق وانتشر ، وأكثر المتأخرون في ذلك التأليف واشتهر ، لهم في كل تعريف وتصنيف مالهم في مسالك السلوك ومنازل المقامات ، والأحوال من المجاهدات والموارد والواردات والجذبات ، وعلوم الأسرار والمكاشفات في أعمال وأقوال ، تؤذن بأنعم شربة وأعظم رتبة ، فصارت طريقتهم طريقة قائمة بنفسها ، ظاهرة شمسها ، غنية عن التعريف لشهرتها عند أهل المعرفة وشيوعها في كل تأليف وتصنيف . إنتهى كلام الحبيب عبد الرحمن وهو حري بأن يكتب في المناقب ، إذ هو الحقيقة التي شرف بها أهل المراتب ، إذ الكرامة العظيمة العلية هو الإستقامة ، والسير والإتباع للقدم النبوية . وأما الكرامة التي هي الخارق للعادة فهي في حق بعض الناس منحة ومنة ، وفي حق بعضهم محنة وفتنة ، كما مرت الإشارة إلى ذلك قريبا . ثم بعد ذكر ماتفضل الله به من سوابغ الإنعام على أولئك الكرام .

(فصل) ثم نعود إلى ذكر ماخص الله به صاحب الترجمة الحبيب علي بن حسن من لطائف المنن فنقول : وأما والدته نفع الله بهاو نسبها فهي : فاطمة بنت أبي بكر بن الشيخ القطب شيبان بن احمد بن إسحاق ، وقد تقدم عنه أنه قال : لم تصح نسبتهم إلى العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه وإنما هم من العرب العربا كما ذكر في كتابه القرطاس في

ترجمة الشيخ العارف الرباني علي بن عبد الله باراس نفع الله به أنه من العرب العربا .

(فائدة) إعلم إن العرب عاربة ومتعربة . قال القمولي في كتابه الجواهر : العرب صنفان عرب عاربة وهم أولاد قحطان أبو اليمن كله ، وعرب متعربة وهم أولاد إسماعيل عليه الصلاة والسلام . وقد قيل أن قحطان من ذرية إسماعيل فيكون العرب الموجودون ؛ أي العاربة والمتعربة كلهم من أولاد إسماعيل والله أعلم . لكن الذي يقتضيه كلام الفقهاء في ذكر الكفاءة أنهم ليس كلهم من أولاد إسماعيل ، والراجح ماذكره في المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي نفع الله بهم أن قحطان بن هود عليه الصلاة والسلام وذكر فيه من يجتمع بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم من قبائل العرب . وفي شرح القسطلاني نقلا عن فتح الباري أنه صلى الله عليه وآله وسلم خرج على قوم من أسلم وخزاعة فقال : أكرموا بني إسماعيل ، ومفهوم كلامه أن أسلم من بني قحطان ، وخزاعة من بني إسماعيل . ثم نشر الخلاف وقال بعده : فعلى هذا فلعل من كان ثم من خزاعة أكثر فقال ذلك على سبيل التغليب ، وأجاب الهمداني عن ذلك بأن قوله لهم : يابني إسماعيل لايدل على أنهم من ولد إسماعيل من جهة الآباء بل يحتمل أن يكون ذلك من بني إسماعيل من جهة الأمهات ، لأن القحطانية والعدنانية قد إختلطوا بالصهورة ، والقحطانية من بني إسماعيل من جهة الأمهات . إنتهى . وفي التفاضل بينهم كلام مذكور في تيسير الأصول ، وفي المشرع الروي .

وهذه الفائدة أجنبية جرى ذكرها عند ذكر نسب المذكورين ، قال سيدي الحبيب علي صاحب الترجمة : والذي خطب هذه الأم الصالحة لوالده الحسن جده الحبيب الحسين بن عمر قدس الله أرواحهم ، وكانت من الصالحات القانتات ، ذات محاسن وكرم نفس وفضيلة ، وقد ترجم لها في بعض مؤلفاته بما يقال في أمثالها وهو قول الشاعر :

ولو كان النساء كمن ذكـــــرنا   لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب   ولا التذكير فخـــــر للهلال

ويكفيها منقبة أن ظهر بواسطتها هذا الإمام المعروف بالقطبية والرتبة العلية ، وأنها دخلت في صهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه (كل نسب وحسب منقطع إلا نسبي وحسبي وصهري) لاسيما وقد كان ذلك بخطبة الشيخ الحسين بن عمر قدس الله أرواحهم .

روي أن عمر بن الخطاب خطب أم كلثوم من علي بن أبي طالب وأمها فاطمة البتول رضوان الله عليهم فاعتذر إليه بصغرها فقال له عمر : إني لم أرد الباءة ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : كل نسب وحسب منقطع إلا نسبي وحسبي وصهري . هذا وهو عمر بن الخطاب الجامع لنسب التقوى الذي صار به بعد أبي بكر الصديق أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فالإغتباط بذلك من غيره ، والتسبب فيه والقرب منه أولى إذا كان مقصوده الأمر الديني . وقد مر تحقيق ذلك في كلام الشيخ احمد بن علوان قدس الله روحه .

وأما تاريخ ولادة سيدنا الحبيب علي نفع الله به صاحب الترجمة وطلوع شمس بروزه وظهوره وإشراق أفق الصلاح بنوره ، قال في سفينة

البضائع : قد كان أوان مولدي ليلة الجمعة في شهر ربيع ثاني سنة ١١٢١ احدى وعشرين ومائة وألف ، وقت أذان العشاء مع أول التكبير من الأذان ببلد حريضه .

(قلت) وفي ذلك مزية وإشارة وإعانة بخصوصيته وذلك أنه لما كان بروزه وسقوط رأسه على الأرض مقارنا لأول التكبير ظهرت بذلك فائدتان عظيمتان ، وعائدتان جليلتان ، الأولى : أن بروزه مع أول التكبير يشير إلى إنتشار الصيت والرفعة وكثرة مايفتح الله به للمسلمين من أنواع الخير والصلاح والمنفعة ، لأن الأذان موضوع للإعلام وخاص بالصلوات المفروضة لأنها أشرف العبادات وأفضلها ، وأسنى الطاعات وأكملها ، ففيه الإشارة بأنه إذا قام بها وأحسنها دعى إليها من يقيمها وسائر العبادات لها تابعة ، وإذا لم تصلح فغيرها من الطاعات وإن أديت فهي غير نافعة ، لما ورد : أنه أول مايسأل العبد عن الصلاة فإن قبلت قبلت وسائر أعماله ، وإن ردت ردت وسائر أعماله . وأيضا فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر . الثانية : أن التكبير مايستحقه الله تعالى من الجلال والعظمة والكبرياء ، وأنه تعالى أكبر من أن يدرك كنه ذاته وحقيقة صفاته ، فيثمر ذلك مزيد التواضع والتذلل والإفتقار والإنكسار ، تحت جلال عظمة الجبار . وقد كان لهذا السيد الكريم من التواضع والخشوع ماستأتي الإشارة إليه والنص عليه ، وذلك شاهد بوراثته لجده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ، أن أمه لما وضعته كان ساجدا حامدا مشيرا بأصبعه إلى السماء ، إشارة إلى التوحيد والعلو ، لأن الله تعالى في السماء ، تعالى الله عز وجل عن أن تحويه الجهات أوتحده النعوت والصفات ، وذلك لأن شهود جلال الربوبية

وعظمة الإله الحق تورث خضوعا وتذللا ، وذلك أن العبودية أعلى وأرفع أوصاف العبد ، وذلك أنه صلى الله عليه وآله وسلم خُيّر بين أن يكون نبيا ملكا أونبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا ، فرفعه الله على سائر المخلوقات علويها وسفليها . ثم كان من أمره أن والدته لما أرادوا حلق رأسه أخرته إلى يوم الربوع ، أي أول مرة مع إشارة جده عبدالله بن الحسين بذلك . قال : وحصلت المراجعة أيضا بين والدته وجده عبد الله في تسميته فقال جده : نسميه علياً وذكرت والدته إسما آخر ، وربما قالت له ماتقوله العامة : سم عليا واصبر عليه ، فقال : عليا ويحمل صميلين . قال : فاتفق بعون الله حصول الصميلين المذكورين وهما رعيدان والمصهر باكوفيه ، فأما رعيدان فلوصوله إلينا قصة عجيبة قد حققنا أشياء منها في قصائد من الديوان المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) منها أنه كان رجل يجادل في بعض الأحوال ففر من بين الجماعة وفقع رأس ذلك الإنسان حتى سال الدم من رأسه وشاهد ذلك الجماعة الحاضرون . ورسمنا بعض قصائده على حلية فضة حلينا بها رعيدان المذكور مطلعها :

يارعيدان يامابرك مسيرك على الناس　　　ياعصى آل موسى ياصميل آل عطاس

إلى أن قال :

فيك سر من عصى موسى وهارون والياس　　　ذي سببها غرق فرعون في البحر يهتاس

أوهراوة محمد ذي جلت كل حنداس　　　كاسرة رأس باجهل الشقي قد بالفاس

إلى آخرها . وتوفي والده الحبيب الولي الأواب الحسن في رمضان سنة ١١٢٤ أربع وعشرين ومائة وألف وهو لم يبلغ سن التمييز في نحو ثلاث سنين ، لكنه قال لم يكن لي شعور به ولا معرفة له إلا أني عقلت

يوم وفاته ، ووردت عليّ كآبة وحزن كثير . وهكذا المرادون من الله بالعناية يشرق نور العقل على صفحات ظاهرهم وباطنهم عند أوان التمييز وقبله . وكفله هو وإخوانه الميامين جده عبد الله بن الحسين ووالدتهم المذكورة ، والملاحظة التامة والعناية الخاصة والعامة للكافل والمكفول من جده الشيخ الحسين بن عمر نفع الله بهم . وخصه بمزيد عناية وتولى أمره أتم ولاية ورباه بنظره الشريف ، ورقاه إلى التصفية والتلطيف لما سبق له من العناية الربانية من المتفضل اللطيف .

ثم أرسله جده عبد الله ووالدته إلى المكتب ليتعلم القرآن فكان يتردد إلى المعلمين مع كره واستثقال كما ذلك عادة الأطفال ، ومكث مدة على هذا الحال حتى ورد عليه الفتوح من حضرة الجذب والإفضال . قال نفع الله به : بينما أنا في بعض الأيام جالس في البيت فأخذت مصحفا ففتحته ونظرت فيه فإذا الفتح وقع على سورة { **ويل للمطففين** } فقرأتها ثم مابعدها إلى ماشاء الله ، ثم إني بعد ذلك إستمع عند المعلم وأقرأ عليه بلا تلقين حتى يمل ، وقد أقرأ نحو عشرين مقرأ . قال : وكأن المصحف مع ذلك الحال يخاطبني .

(قلت) وماذكره من هذا الحال هو دليل العناية والجذبة الإلهية ، وتربية الحق له وتعليمه بغير واسطة .

(فصل) في ذكر ماجرى له بفضل الله وفتوحه ، وبعض ماتفجر إلى قلبه من ينبوع تيار منوحه : إعلم أن اول فتوحه كان بوقوفه على هذه السورة ، أعني سورة { **ويل للمطففين** } لكونها جمعت وصف أهل دائرة العدل ودائرة ذوي الفضل ، فأول ما بدأ فيها الحق تعالى ماوعد به من

الويل للمطففين في المكيال ، وذلك يجري في جميع أعمال الإنسان المنوطة بالجنان والأركان ، حتى أن هذا المعنى يرد في أداء الصلاة نفلا وفرضاً كما ذكر هذا الحجة الغزالي بأن المؤدي لها إذا لم يأتي بركوعها وسجودها وهيئآتها وخشوعها وسائر مايجب أويندب من أقوالها وأفعالها على الكمال والتمام كان مقصرا ومطففا ، وكذا في سائر الأعمال كما أشير إليه . والصلاة أول مايحاسب عليها العبد كما مرقريبا ، فإن زكت وصلحت كانت أعماله الطاعة وغيرها كذلك أوبالعكس فكذلك ، وفي السورة ذكر الحشر والبعث وأنه يوم عظيم هائل يقوم فيه الناس بين يدي ملك الملوك وجبار الجبابرة رب العالمين ، وفي ذلك إستدعى الشأن مقام المراقبة الذي هو مقام الإحسان ، فإن الإنسان يكون معه في جميع أحواله خاضعا خاشعا متواضعا ، فيكون مراقبا له تعالى في الأخذ والعطا والقول والعمل وهذا شأن الأولياء .

وقد رأيت في تفسير الخطيب الشربيني قد س الله روحه ذكر بعض هذا المعنى فإنه قال : وعن بعض المفسرين أن لفظ التطفيف يتناول التطفيف في الوزن والكيل وفي إظهار العيب وإخفائه ، وفي طلب الإتصاف والإنتصاف ، ويقال : من لم يرض لأخيه المسلم بمايرضاه لنفسه فليس بمنصف . إنتهى .

ثم ذكر وصف الفريق الأول وهم الفجار ومايؤول إليه حالهم من الخزي والبوار بسبب تكذيبهم لآيات الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، وماطبع على قلوبهم بالرين والصدا ، وماحجبوا به عن ربهم وعن الإيمان به ومجاورته في دار النعيم ، وصُلوا بالنار والعذاب في دار

الجحيم ، ثم يقال لهم تهكمًا { **هذا الذي كنتم به تكذبون** } [1] . ثم ذكر ما أعد للأبرار من النعيم الدائم والسرور والملك المقيم . فكان في فتوحه رضي الله عنه في هذه السورة آية وأي آية ومنقبة وأي منقبة كما جمعت هذا المعنى سورة الفاتحة في قوله تعالى { **إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم** } إلخ . فأهل الله وأولياؤه وخاصته وأحباؤه مرادون بالتيقظ من الغفلة والغرور وسائر أنواع الضلال رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

وقريب من هذا ومن الدلائل الظاهرة المشيرة إلى عناية الله به في الأزل والأبد ماحكاه في السفينة أنه كان في مجمع قرآءة المولد الشريف للنبي صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه العلامة أبوبكر بن حسن جالسين مع الصغار ، فلما كان الوقت الذي يندب المقام فيه وقام الناس ، فلما استمروا جاء رجل معروف بالولاية والجذب ظاهر النسك والعبادة والكسب من أهل هينن يقال لهم آل علي بن سالم ، فجعل يتواجد ويدور في الحلقة ثم خرج من بين الحاضرين وأقبل عليه واحتمله من بين أولئك الصغار وجعل يدور به والطيب يفوح من رأس ذلك الرجل ثم سقطت خودته وسقط هو ، قال : فتلقاني بعض الحاضرين خوفا من السقوط ولم يعرفني لصغر سني ، فلما كان من الغد سأل بعض السادة ذلك المجذوب عن ماصنعه معي فقال له : أتعرف ذلك الولد الصغير الذي حملته ودرت به في المقام ؟ فقال : لا أعرفه إلا أني رأيته قطعة نور يتلألأ في ظلمة الليل من بين أولئك الصغار ، فقال السائل : ذاك علي بن حسن بن عبد الله بن

[1] الآية : ١٧ المطففين

الحسين بن عمر العطاس ، فقال : إن طال بك العمر فسوف ترى له شأنا عظيما ومقاما فخيما ، وسيبلغ مقام جده عمر بن عبد الرحمن .

(قلت) هكذا تقع لأولياء الله تعالى تمهيدات ومقدمات للولاية كالإرهاصات للنبوة ، والإرهاص هو خارق العادة الحاصل لهم قبل الوحي والنبوة ، وأما بعدها فيسمى معجزة . وقد مر في المقدمة أن المقرر عند المحققين أن ماجاز أن تكون معجزة للنبي جاز أن تكون كرامة للولي كما مر في المقدمة .

قال سيدنا وشيخنا الحامد بن عمر حامد باعلوي التريمي قدس الله روحه مامعناه : الولي كالنبي إلا إن من له الشيء بالتبعية ليس كمن له ذلك بالأصالة . إنتهى . ومر أن الخارق للعادة أنه يكون في حق المنافق والفاسق مكرا واستدراجا ، وللمؤمن الذي لم تظهر ولايته وهو من أصحاب اليمين معونة كما هو مقرر في محله .

وكان رضي الله عنه من أول الصبا مشغوفا ومتعلقا بمجامع الخير ومجالس الذكر والعلم ، ملازما لدرس جده وشيخه الشيخ الحسين بن عمر لايمل من ذلك ولايفتر إلا عند الحاجة والضرورة ثم يعود إليه مع الملاحظة من جده المذكور له ، وقدقال العارفون من أهل الله على أن نظر الأكابر إكسير يقلب الأعيان ويوصل إلى حضرات العرفان . قيل : أن الشيخ عبد القادر الجيلاني نفع الله به أوصل إلى الله تعالى في عشية ليلة سبعين رجلا كل واحد منهم لجهله يبول في فخذ رجله . وسيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به سيأتي أنه بلغ من الولاية الكبرى مقام الشيخ عبد القادر وولده الحبيب الحسين خليفته ووارثه في جميع

أحواله ومقاماته وعلومه ومعارفه كما ذلك محقق بالبرهان من مشايخ ذلك العصر والأوان . وكان سيدي الحبيب علي مع عظم مجاهداته في أوان صغره مشتغلا بخدمة جده الحبيب عبد الله بن حسين وساعيا في قضاء حوائجه مجتهدا في ذلك مع ضنك المعيشة وضنك الحال ، حتى أنه لا يجد من الثياب إلاساتر العورة ، وإذا أراد حضور الدرس عند جده الشيخ الحسين إستعار من بعض الصبيان قميصا أوقباء ، وإذا فرغ من الدرس ومن أشغاله أتى إلى المسجد لإحياء مابين العشائين ويرجع ليلا إلى بيت جده الحبيب عبد الله بن الحسين بن عمر ويبيت عنده ، فإذا قام لورده من الليل قام صاحب الترجمة وتوضأ وعند فراغه من نفل صلاته يتلوا معه القرآن فيتلون نحو الثلث من القرآن أوأقل إلى وقت صلاة الفجر وذلك في نحو الثلث من الليل ، وإذا نام في محل آخريستعين بمن يوقظه فيقوم عند ذلك . وكان يحفظ جميع مايسمعه من العلم وغيره ومن الأشعار . فإنها إذا كملت هذه الحواس الخمس زاد بها التأثير في الذكاء والفطنة والفهم والحفظ ، وإن إنظمت إليها صفات أخرى كالرياضة بالمجاهدة والجوع إتسع المجال وكمل الحال .

فلما إتفق لسيدنا الحبيب علي قدس الله روحه أنه دعاه بعض الناس إلى حصاد زرع يملكه فقال له : إنا لم نتفرغ لأكل طعام مصنوع فكيف نتفرغ للحصاد ومافيه من الإشتغال بغير ما يقصده من المراد ، وكل ذلك حصل له في أوان الصبا وذلك لإشراق نور الهداية على صفحات سره ومنه على ظاهره . وله قصائد نظمها في وقت الصبا والتعلم وقد عرض بعضها على شيخه الحسين بن عمر قدس الله روحه فقال له :

إحفظ القرآن ونظم الشعر يكون في وقت غير هذا الوقت . قال رضي الله عنه : فنسيت جميع ما أحفظه من النظم لي ولغيري ، ولم أثبت بيتا واحدا .

وسمعت سيدي الحبيب جعفر نفع الله به يقول : وصل ابن علي الحارثي الشاعر الذائق المشهور رحمه الله إلى حضرة جدنا الشيخ الحسين بن عمر فأملا في مجلس السمر عند الحبيب حسين وجمع من أولاده وأهل البلد جملة من قصائده وأظن أنه يقول نحو الأربعين ، فلما كان من الغد وحضروا مجلس التدريس لدى الحبيب حسين فذكروا عنده نظم بن علي فقال نفع الله به : كثيرا من الشعراء لهم أشعار ولها ذوق كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (إن من الشعر لحكمة) ولكني تعجبت من أنه ينظم ويحفظ مايقوله . وكان الحبيب علي صاحب الترجمة من الحاضرين في المجلس فقال ياسيدي : أما الحفظ فقد حفظت ما أملاه ذلك الرجل ، فقال له هات ما حفظته : فأملا من القصائد الأولى والثانية ثم مابعدها ، فلما رأه سيدنا الحبيب حسين لو إستزاده على ذلك لأملا جميعها ، فحينئذ قال له أصرف الهمة إلى حفظ القرآن كما مر ، فاجتهد بعد ذلك في حفظ القرآن مع تكراركثير وبعضه يكون عند ضريح الحبيب عمر حتى حفظه حفظا أكيدا بحيث أنه لايكاد يغلط ولايتوقف كما قال رضي الله عنه : وكنت لا أمل من التلاوة ولا أفتر عنها بل ملازما لها قائما وقاعدا ومنحدرا وصاعدا في الحضر والسفر وبالسر والجهر حتى يسر الله الكريم لي حفظ القرآن العظيم مع تفاسيره الحديث والقديم ، فلما حفظت القرآن ووعيت تجويده ، وعملت بما ينبغي من آدابه حسبما ذكره إمام المذهب في التبيان .

ثم أتى بعد ذلك وعد شيخنا ووالدنا الحسين سهولة وارد الشعر فكان نظمه أهون عليّ من شرب الماء البارد في حر الهجير ببركة شيخنا الحسين وسر نظره الإكسير ، فنظمت منه مايعجب السامعين ، ويطرب المستمعين .

(قلت) وصدق رضي الله عنه فإنه بلغ من نظم القريض وصوغه من الحقيقة والمجاز والإستعارة والتصريح والتعريض مبلغا تقصر عنه بلاغة الشعراء من حيث أنه تمكن في إختراعه وإبداعه تمكنا مفرطا ، وأن من بالغ في وصف إنشائه لم يفه بخطاء ولم يرم شططا ، بل كما ورد في القول المدمج : حدثوا عن بني إسرائيل ولاحرج . وهذا دليل على ماذكرناه من قوة فطنته وسلامة حواسه الباطنة والظاهرة ، وسريان نور الهداية على جميع أجزائه وأركانه مايبدي عجبا عن الحكمة البالغة ، وعن القدرة الباهرة . ويدل ذلك على تضلعه من العلوم العقلية والنقلية والأدبية والشرعية ، وغزارة ذوقه وفهمه الذي لم يرثه عن أبيه ولاعمه ، فهو وإن ورث عنهم خصوصيات كبرى ، ومزيات أخرى ، وإمدادات تتوالى وتترى ، تعود عن فهمها عقول ذوي الأفهام خاسئة حسرى ، والهة حيرى ، لكن مثل هذه الأحوال والمقامات والعطايا والمنالات ، لاتكون إلا عن عنايات سابقة ، وملاحظات لاحقة ، سبق بها القلم ، وأوصلتهم إليها بعد الجذبة الإلهية عليات الهمم . كما قال سيدنا وشيخنا العارف بالله الحبيب شيخ بن محمد الجفري في قصيدته يمتدح بها شيخنا الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفعنا الله بهم مطلعها :

سلام على من منهج أسلافه أمه وقد صار من بين الورى وحده أمه

إلى أن قال :

كريم السجايا والفضـــائل ربهـا عظيم التقى حـاوي النقا سامي الهمه

حبيب بجبهته ترى السعد طالعا هو المشتري في طبـــعه آثر النعـمه

إلى أن قال :

بهذا فقد لمحت فيما رويـــته بتورية فأهمــــــــها دل في مهمه

فربتما قائل يقول جـــــــهالة حوى ماحوى عن خـاله وكذا عمه

فحاشا وكلا إنما سحر بابــــل بألفاظه يسحر من كان قـــدامـه

فأشـعر كلامـه نفع الله بـه أنـه كغـيره مـن أسـلافه لم يـتكل عـلى النسـب المجرد بـل صـابر ورابـط وجاهـد ، إلا أنـه كـما تقـرر عنـد ذوي البصائر والإعتبـار أن أولاد الصـالحين وكافـة أهـل البيـت المطهـرين تكـون عناصرهم طيبة متهيئة لأن يتيسر لها ويسـهل عليهـا السـير والسـلوك إلى طريـق الآخـرة بـلا كثير عنـا ولاكبير مشـقة . ولذلك مقدمات تكـون في الآباء والأمهات مذكورة في محلها ، ومعروفـة عنـد أهلهـا . وذكـرت ذلك في مؤلف يسمى (حدائق الأذهان والأرواح) .

وقد حكي عـن القطـب أبي بكـر بـن الشـيخ عبـد الله العيـدروس العدني نفعنا الله ببركاتهم أنه قـال : لم أجد في نفسي شـيئا مما ذكره الإمـام الغزالي من رذائل الأخلاق كالحسد والعجب والكبر والرياء وغير ذلك مـن الأخلاق الذميمة ، وذلك لمـا جبله الله عـلى طهـارة المهجة وطيـب الطينـة وانخراطـه في الطـاهرين كابـراً عـن كابـر حـتى انتهـى إلى السـيد الطـاهر صلوات الله وسلامه عليه . ومن خصوصيات الشـيخ أبي بكـر رضي الله

عنه أنه يأكل الطيبات ويشرب كثيرا ولاينام . ولسيدي الحبيب علي نفع الله به من هذا المعنى حظ وافر كما يعرف ذلك مما مر ويأتي .

واعلم أن سيدنا الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة قدس الله روحه لتمكنه في العلوم وفنونها ومعرفة قوانينها قد صار لقوة إقتداره وحسن نظره واختباره يختار ويصطفي ويخترع ويقتفي من نظم الكلام ونثره وفي تتبعه وقفره ينشئ ما أراد ويؤشي منه مااستجاد ، فإنه إن أراد في وشيه ومجاري مشيه محاورات البلغاء ومجارات الفصحاء ؛ كان في ميدان سباقهم مصليا ، وإن تدلى إلى محاورات العوام والأغبياء ؛ تنزل إلى أفهامهم تنزلا وتدليا لأنهم في حجره كالأطفال يربيهم كل على مايبلغه علمه وعلى قدر الحال ، ووراثة نبوية وحراثة علوية .

(فائدة) عزيزة تشير إلى تميز من تفضل الله عليه بجوده العزيز تليق بأهل هذا الشأن من كلام ذوي العرفان ، لا من حدس المهندسين والكهان ، وهو ماذكره الإمام المناوي في شرح شمائل الترمذي قال رحمه الله ونفع به : (تنبيه) ومما يتعين أن يعتقد كل مكلف أن الله سبحانه وتعالى أوجد خلق بدنه الشريف صلى الله عليه وآله وسلم على وجه لم يظهر قبله ولابعده مثله في آدمي ، وسر ذلك ماسبق أن محاسن الذات

دليل على مابطن فيها من بدائع الأخلاق وجلائل الصفات ، والمصطفى بلغ الغاية التي لاترتقى في كل من ذينك .

ومن الفتوحات المكية إذا أراد الله أن يخلق إنسانا معتدل النشأة مستقيم التصرفات والحركات وَفّق الأب لما فيه صلاح مزاجه وكذا الأم ، فصلح المني منهما وصلح مزاج الرحم واعتدلت فيه الأخلاط إعتدال القدر الذي به صلاح النطفة ، ويوقت الله لإنزال المني في الرحم طالعا سعيدا بحركة فلكية لايعرفها إلا من كشف عن بصيرته الحجاب ، قد جعلها الله بإرادته علامة على الصلاح فيما يكون فيه من الكائنات ، فيجامع الرجل في طالع سعيد ومزاج معتدل فينزل الماء في رحم معتدل فيتلقاه على كيفية معتدلة له ، وتوفق الأم إلى الشهوة لكل غذاء فيه صلاح مزاجها وماتتغذى به النطفة ، فتقبل التصوير في مكان معتدل ومواد معتدلة وحركات فلكية . وحينئذ تخرج النشأة وتقوم على اعتدال فتكون نشأة صاحبها معتدلة ليس بالطويل ولا بالقصير ، لين اللحم ليس عنده غلظ ولارقة ، أبيض مشرب بحمرة . إلى آخر ماوضعه من النعوت التي جاءت في خلقه وخلقه صلى الله عليه وآله وسلم . وفيه بعض ماينقل من أخلاق هذا السيد الكريم الوارث لصاحب الخلق العظيم صلى الله عليه وآله وسلم .

واعلم أن ماأشرنا إليه من ذكر منظومه الجامع له : الديوان المسمى بـ (قلائد الحسان وفرائد اللسان) أنه قد جمع ماذكرناه أيضا فيما مر من جزالة اللفظ لمن تأمل ، مع سهولة المعنى في المجمل منه والمفصل . وقد استجاده الصالحون والعلماء واستفاده الفضلاء والحكماء . قال في بعض مكاتبته : وكان سيدي عمر بن عبد الرحمن البار يحب من كلامنا ، الحمد

لله فزنا بالرضا والقبول . وسبب إنشائها أنه حصل في الجهة قحط مجحف أجهد الناس ، والحيوانات تموت من الجوع ، فطلب منه أهل بلد الهجرين وغيرهم الإستسقاء فعزم لزيارة دوعن بعد إبتدائه بزيارة الشيخ الكبير احمد بن سعيد بالوعار ومن في تربة الهجرين المقول فيها أنها وتربة تريم وتربة غيل أبي سودان تحمل بحصاها وتربها إلى الجنة ، وكما في تاريخ سادتنا آل أبي علوي كالمشرع وغيره ، وأنه كما قيل : فيها ألف واصل وأكثر ، مثل العمودي وأكبر ، كما حكى ذلك في مكاتبته إلى الشيخ إسماعيل النقشبندي المدني . ولما توجه إلى زيارة من في دوعن مستشفعا متوسلا بأولياء الله إلى الله تعالى حسب ماساق في القصيدة وفي المكاتبة المذكورة ، ووصل إلى حضرة الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفع الله بهما بعد زيارة الشيخ علي بن عبد الله باراس تلميذ جده الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، والشيخ سليمان بن عبد الله بامنيع تلميذ الشيخ سعيد بن عيسى العمودي نفعنا الله بهم ، وقد خرج الحبيب عمرالبار للتدريس في مسجد الشيخ سليمان ، قال : وبين يديه نسخة القاموس في ثلاثة جلود أوالأربعة ، قال : فخطر في بالي بأن الإمام النووي لم يتقل عن صاحب القاموس وإنما ينقل عن الجوهري والهروي ، فقال لي الحبيب عمر على وجه الكشف : أن صاحب القاموس متأخر عن الإمام النووي ، وهكذا عادته معي يكاشفني في كثير من الأحوال . قال : وكان يحب أن ينشد عنده من كلامنا القصيدة التي مطلعها : إذادخل الآدمي في السن شد . إلى آخرها ،. وسيأتي بعض ماسبق مما يتعلق بالحبيب عمر البار فيما ينوه بصاحب الترجمة في الباب الثاني في ذكر الثلاث الترب . وتربة غيل

أبي سودان وهي قرية منسوبة لآل باسودان المنتقلين المستقرين الآن بأعلى وادي دوعن ويسمى الآن بغيل عمر بوادي ساه وهو الشيخ صاحب الحال الكبير والمقام الشهير عمر بن الشيخ محمد بن سالم أبي وزير نفع الله به ، وإليه الإشارة بقوله رضي الله عنه أبيات في الديوان :

الشيخ في الزاوية ما مال منها مكان   شفناه بالعين يا ذي تشهدون العيان

من بايصدق يصدق والمكذب يهان   يابن سعيد أسعد الجيران ذي في المكان

بانستلف يوم ماشي عندنا في الثبان   لأنك اليوم في الأكوان قطب الزمان

مقدم التربه المشهورة أم الزيان   هي والذي في تريم البحر منها ملان

وتربة الغيل با سودان في ساه دان   ثلاث ينقل تربهن والحصى للجنان

وقوله : في ساه دان ، لعله يشير إلى مايذكره المؤرخون إذا ذكر هذه الترب الثلاث يقولون : وتربة الغيل الأسفل ، يعنون بها تربة غيل أبي سودان إحترازاً عن الغيل الأعلى وهو غيل أبي وزير . وقد قدمنا أنه يسمى الآن بغيل عمر . والمذكورون آل باسودان أخواله ولهم معه ومع والده قصة كانت بسبب إنتقالهم إلى دوعن مشهورة عنهم ، ولعل يأتي لهم ذكر في الباب الثالث إن شاء الله تعالى .

والحاصل أن كلام الحبيب علي لاسيما المنظوم إنتشر في الآفاق واستجاده الخبراء الحذاق ، وقبله الخاص والعام ، وانتفع به الخواص والعوام ، هذا على الإجمال . وأما التفصيل كما جاء عنه في المقول مما شرحه يطول . وأكثر قصائده قد يكون له باعث رؤيا أوسبب آخر ، والغالب أنه يذكر ذلك في أكثر قصائده ، وقد يكون ذلك عن مفاجأة سبب أو أمر مخالف . رضي الله عنهم ونفعنا بهم .

(فصل) في ذكر توجهه إلى الوجهة التي يعتمد عليها ، والكعبة التي يصلي إليها ، ثم إنه لما بلغ بالترقي إلى مقام التلقي وكان إذ ذاك وسنه في نحو ثلاث عشر سنة وصلت إليه الإشارة المتضمنة لسني البشارة من بعض المحبين الآخذين عن جده الشيخ الحسين وذلك بأن يلتمس منه طريق الأخذ والإتصال والرابطة المعروفة بين السادة الصوفية ، لاسيما والخاص منهم الأسلاف العلوية . قال : فقلت لشيخنا الحسين أريد تلقين الذكر ولباس الخرقة ، فقال : أتقدر أن تصوم ثلاثة أيام ؟ فقلت نعم ! فأمرني بصومها ولم يشعر بذلك أحد لاالوالد عبد الله ولاغيره من الأهل ، فلما مضت الثلاثة الأيام دعاني في اليوم الرابع وقت صلاة الضحى قبل أن

يصليها ، فأمرني بالغسل وأن أنوي به غسل التوبة وصلاة ركعتين وأنوي بهما ركعتي التوبة ، ففعلت ذلك وأتيته فوجدته حين فرغ من صلاة الضحى ، فجلس متربعا وتوجه إليّ وأنا مستقبل القبلة ، فوضع يده على رأسي ولقنني كلمة الإخلاص : لآإله إلا الله محمد رسول الله ، وعلمني النفي والإثبات وقال لي وقلبك هاهنا في شقك الأيسر ، فإذا نفيت بلآ إله فالتفت إلى شقك الأيمن ثم إلتفت إلى شقك الأيسر الذي فيه قلبك ، ووضع مسبحته على قلبي ، وكنت قد قرأت عليه بداية الهداية للإمام الغزالي ، وكتاب الأذكار النووية ، وكتاب الفصول المهمة في مناقب الأئمة الإثني عشر ، وسمعت منه مايقرأ عليه من كتب التفسير والتصوف كمعالم التنزيل للبغوي ، ورسالة القشيري وشرحها للشيخ زكريا ، والبهجة للعامري في السير ، والحكم العطائية وشرحها لإبن عباد النفري وغيره . وعلى غيره فإني قد قرأت على الجد عبد الله بن الحسين بعض منهاج العابدين ، وشرح ابن قاسم . وأشارا عليّ قدس الله روحهما بحفظ الإرشاد في الفقه ، وكان ذلك كله مع أشغال مستغرقة لأكثر الأوقات لولا حلول نظرهما الشريف كانت لبركة الأوقات ماحقه هذا معنى كلامه .

وقال أيضا مامعناه : وكان هذا إجتهادي وطلبي للتلقين والإلباس مع غفلة من أكثر الناس الذين في ناحية البلد عن هذا الشأن ومافيه من علو المكانة وشرف الإدمان مع أنهم يأتون إلى سيدي الوالد الحسين بن عمر من كل ناحية وإقليم ، قاصدين جدوى سره العظيم ، فممن قصده من الأعلام والأجلة الكرام السادات العظام الشيخ الحبيب احمد بن زين الحبشي .

(قلت) وسمعت من سيدي ولده الحبيب طالب بن حسين أنه لما ورد عليه الحبيب احمد بن زين الحبشي تمثل ببيت البرعي المشهور وهو قوله من قصيدة :

يامرضي بربى نجد أعد مرضي عسى يعودون عوادي وزواري

قال وممن قصده للزيارة والتبرك وشمول نظره الشريف والأخذ عنه الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ، والسيد الجليل عمر حامد منفر باعلوي ، والسيد محمد بن زين بن سميط باعلوي . وبالمكاتبة الحبيب عبد الله بن جعفر مدهر . وأرسل رسالة في نحو الكراس سماها (لمعة النبراس من إشراق العلم العطاس) جوابا على مكاتبة مني إليه بعد أن سافر من الجهة الحضرمية إلى الحرمين الشريفين بعد تزوجه بدوعن ببنت احمد بن أبي بكر مدهر بواسطة شيخنا القدوة عمر بن عبد الرحمن البار هذا ملخص كلامه .

قال : وممن قصد شيخنا الحسين الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي صاحب قيدون ، والشيخ سعيد بن عبد الله باعشن صاحب الرباط ، والشيخ محمد واحمد وعبد الرحمن أبناء الشيخ علي باراس ،وغيرهم ممن لايحصى عددهم . وهو نفع الله به قد تلقن ولبس الخرقة الصوفية عن والده سيدنا عمر ، وقد حررت ذلك كله في صدر كتابي المسمى بـ (القرطاس في مناقب العطاس) وأثبت المنظومة لي في السلسلة في آخر فصل ذكر لباس الخرقة . قال : وقد رأيت في بعض المنامات الشيخ علي بن عبد الله باراس جاء إلى بلد حريضه في جماعة من أصحابه وغيرهم ، فخطر في بالي أن أطلب منه التلقين واللباس أم

أتأدب مع شيخنا الوالد الحسين وأكتفي بالأخذ عنه ، فأجابني الشيخ علي على ذلك الخاطر وقال : يكفيك الأخذ عنه هذا معنى كلامه رضي الله عنه .

وحيث إنتهى بنا الكلام إلى هذا المقام من ذكر لباس الخرقة الشريفة وتلقين الذكر فلننبه هنا على صفة التلقين واللباس والتحكيم وعقد الأخوة ، وقد أطلت النقل في ذلك في كتابي (فيض الأسرار) المار ذكره عن كتاب الجزء اللطيف في التحكيم الشريف للشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس ، ومن البرقة المشيقة لأخيه الشيخ علي .

وهنا ننقل عبارة مختصرة مما كتبه الشيخ عبد الله بن علوي الحداد إلى تلميذه الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي وهو أحد مشايخ سيدنا الحبيب علي ، ونعقبه بذكر شيء مما نقلناه عن الكتابين المذكورين لتتم الفائدة ، رجاء العائدة وحلول نظرهم وشمول بركاتهم طلبا للتشبه بهم ، رجاء التحقق بالدخول في سلكهم . فمما كتب به سيدي الحبيب علي قدس الله روحه لبعض محبيه : ثم الصادر إليك هدية ووصلة ووسيلة إلى الله وإلى رسوله ، وهي القصيدة التي نظمنا فيها إسناد مشايخنا وهو الإسناد الذي زادت به أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأمم ، وهو حبل الله المتين ، وسلطانه المبين وهي السلسلة المتصلة التي من لم تكن له بأهلها علقة ، ولم تتصل منه بها حلقة ، لم يعرف الله حقه . إنتهى .

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي : بسم الله الرحمن الرحيم ، وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين ، وصلى الله على سيدنا محمد

الرسول الأمين ، وعلى آله وصحبه الأكرمين ، من عبد الله بن علوي الحداد باعلوي إلى المحب الأجل الشيخ الأكمل الفقيه عبد الله بن عثمان العمودي ، سلمه الله وجعله من عباده الصالحين ، الهادين المهتدين ، الذاكرين المذكورين ، لله وفي سبيل الله رب العالمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى الأولاد المباركين ، وقد وصل كتابكم وحصل به الأنس وتجديد المعاهدة وجواب كتاب التعويد ، وقد صدر إليكم صحبة المحب الشيخ عمر باعبد القادر ، والدعاء مبذول ومسؤول . وذكرتم أن بعض المحبين الراغبين يسألون منكم أن تلقنوهم الذكر في الدعاء وطلبتم منا الإذن في التلقين على حسب مالنا من الإذن فيه أوقريب من ذلك ، وكنا قد حسبنا حيث عقدنا بينكم وبين أخيكم الشيخ عمر باعبد القادر العمودي الأخوة ولقناكم الذكر أنا آذنا لكم في تلقين من سأل ذلك من الراغبين ممن ليس ببعيد حاله عن شيء من الرغبة والتوجه المتيسر في هذا الزمان ، فكأنه لم يتفق في ذلك الآن مع التلقين ، فالتمستم ذلك الآن ، فقد آذنا لكم أن تلقنوا من يرغب فيه منكم وتشمون منه شيئا من روائح الصدق المتيسر في هذا الزمان المبارك ، وطلبتم كيفية ذلك والدعاء الذي يكون بعده ، فنذكر شيئا من هذا المطلوب على قصد الإيجاز لضيق الوقت واستيئلاء الضعف فنقول : إذا اجتمع جماعة لقصد التلقين فينبغي أن يبدأ بقرآءة الفاتحة المعظمة للتبرك ولأنها لما قرئت له ، ثم يقول : الملقن للحاضرين من الراغبين قولوا : نشهد أن لآ إله إلا الله ونشهد أن محمدا رسول الله ، قولوا : لآإله إلا الله ، لآ إله إلا الله ، لآ إله إلا الله . ثم يقول الملقن المتقدم : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد النبي الأمي الصادق

الأمين ، اللهم اسلك بنا طرائقها، وحققنا بحقائقها ، واجعلنا من صالحي أهلها ، واحينا وأمتنا على ذلك من الآمنين المطمئنين الذين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون ، برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنا نسألك اليقين والعافية ، والوفاة على الإسلام ، اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ربنا افرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين ، واغفر لنا ولوالدينا ولمشايخنا في الدين ، وللمؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات ، الأحياء منهم والأموات ، إنك سميع الدعاء ، والحمد لله رب العالمين . إنتهى مارسمه سيدنا الحبيب عبد الله الحداد لتلميذه الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي نفعنا الله بهما .

ومما يتعلق بذلك في كيفية الأخذ عن المشايخ للعهد والتلقين والإلباس وعقد الأخوة وهو ماذكرته في كتابي المذكور آنفاً نقلا عن الكتابين المار ذكرهما ، والمشرع الروي في مناقب السادة بني علوي وهو محصل ماذكروه ، وحينئذ فالكيفية التي ذكروها في أخذ العهد ولبس الخرقة أن يتطهر ويأمر المريد بالتطهر من الحدث والخبث ليتهيأ لقبول مايلقيه عليه ، ويتوجه إلى الله ويسأله القبول لهما ويتوسل إليه في ذلك بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه الواسطة في ذلك بينه وبين خلقه ، ويضع يده اليمنى على يد المريد اليمنى بأن يضع راحته على راحته ويقبض إبهامه بأصابعه ويقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويقرأ الفاتحة ويقرأ { **ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته** } [1]. الآية . { **واعتصموا بحبل الله جميعا** }[2] إلى {

---

[1] الآية : ١٠٣ آل عمران

يهتدون } { **ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن إتقوا الله** } [3] ويقول : أوصيكم وإياي بتقوى الله ، ويقول المريد مثل ماقال ، ثم يقول له قل : اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبيائك ورسلك أني قد قبلته شيخا في الله ومرشدا وداعيا ، ويقول الشيخ : اللهم إني أشهدك . إلخ . إني قد قبلته ولدا في الله فاقبله وأقبل عليه وكن له ولاتكن عليه ، وانظر بعين عنايتك إليه ، ويقول : اللهم أصلحنا واصلح بنا ، واهدنا وارشدنا وارشد بنا ، اللهم أرنا الحق حقا والهمنا إتباعه ، وأرنا الباطل باطلا وارزقنا إجتنابه ، اللهم اقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك ، ولاتقطعنا عنك ولاتشغلنا بغيرك يا أرحم الراحمين . ثم يقول : والله على مانقول وكيل ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما .

وذكر بعضهم كيفيات كثيرة . وكان شمس الشموس الشيخ عبد الله العيدروس نفع الله به إذا أخذ العهد يأمر المريد بالتوبة والإستغفار وأن يقول : أشهد أن لآإله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد ان محمدا عبده ورسوله ، آمنت بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، وعذاب القبر ونعيمه وسؤال الملكين والبعث والصراط والجنة والنار ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم نبيا ورسولا ، رضيت بك شيخا وواسطة إلى الله . ثم يقول : مذهبنا في

---

[2] الآية : ١٠٣ آ ل عمران

[3] الآية : ١٣١ النساء

الفروع مذهب الشافعي ، وفي الأصول مذهب أبي الحسن الأشعري رضي الله عنهما ، وطريقتنا طريق الصوفية رضي الله عنهم . إنتهى .

وعلى الجملة فهو كالعقود الفقهية يكفي فيها إيجاب وقبول ، ومازاد على ذلك من الهيئآت وتعدد الصور والكيفيات فهو من الأمور المستحسنات ، ولكل درجات . قال : وإذا أراد أن يلبسه الخرقة فليتطهر ويأمره بالتطهير كما مر ، ثم توضع الخرقة بين يديهما ويقرأ الفاتحة ويلبسها الشيخ بيده للمريد قاصدا بذلك النيابة عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم يذكر نسبتها كأن يقول : أنا ألبسها لك كما ألبسني إياها شيخي فلان . إلى آخرها. هكذا في المشرع الروي . زاد الشيخ عبد القادر العقيمي الأنصاري في رسالته المسماة (الفتوحات الإلهية) ويستحب للمريد أن يصلي ركعتين شكرا لله تعالى على ما أنعم الله به عليه وتوفيقه له . إنتهى .

ثم قال في المشرع : وإذا أراد أن يلقنه الذكر فليتطهر كما مر ويجلسه بين يديه ويأمره بتغميض عينيه ويلقنه : لآ إله إلا الله ثلاث مرات ، ويمد بها صوته ، ثم يقرأ الفاتحة والإخلاص والمعوذتين ويهلل ماشاء الله ويهدي ذلك إلى حضرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء والمرسلين والصالحين والمسلمين أجمعين .

وأما عقد الأخوة فيقرؤن قبل عقدها (والعصر) ويعقدونها عند قرآءة { **وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** } ثم يقول أحدهما للآخر وآخيتك في الله تعالى واسقطنا الحقوق والكلفة ، ويقول الآخر مثله ، ويقرؤن {

الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا إلا المتقين }[1] ويقول : اللهم اجعلنا من الأخلاء المتقين المتحابين بجلالك ، المتنـزهين في رياض نور جمالك ، المستوجبين محبتك . إنتهى . مانقلناه بطوله .

وذكر الشيخ العارف بالله مسرع اليمني رضي الله عنه في بعض رسائله في التصوف قال : (فائدة) في التلقين وفي فضل لآإله إلا الله . روى بعض المحدثين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يارسول الله دلني على أقرب الطرق إلى الله وأفضلها عند الله وأسهلها على عباد الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بم وصلت به النبوة ؟ فقال علي كرم الله وجهه : وماذاك يارسول الله ؟ قال : مداومة الذكر ، قال يارسول الله أهكذا أفضلية الذكر فكل الناس ذاكرون ، فقال : مه ياعلي ماتقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول الله الله ، ثم قال علي : وكيف أذكره يارسول الله ، قال إسمع مني حتى أقولها ثلاثا وأنت تسمع ثم قلها ثلاثا وأنا أسمع ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لآ إله إلا الله ، لآ إله إلا الله ، لآ إله إلا الله . ثلاثا . فسمع علي رضي الله عنه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قالها علي ثلاثا ، وبعد ماسمعها منه أجاز له أن يلقن غيره ، فلقن الحسن البصري مجيزاً له فسمع الإمام الحسن البصري من علي كرم الله وجهه وقال مثل ماسمع منه . ثم ذكر مشايخ السند إلى أن أوصله إليه ، وقال بعده : فاسمع مني يا أخي وفقك الله وإياي لما يحب ويرضى ،

---

[1] الآية : ٦٧ الزخرف

وقلها كما سمعت مني فقد سمعتها من المشايخ قدس الله أرواحهم ، ودامت بركاتهم .

(قلت) وقد رأيت في بعض الروايات أن الشيخ عمر السهروردي لقن الفقيه احمد بن موسى بن عجيل نفع الله بهما هذا التلقين بالحرم الشريف بمكة المشرفة شرفها الله تعالى ، فهذا شيء معتنى به لكون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعهم وأولياء الله المقربين قد إستعملوه وأسندوه وهو هذا التلقين على شرطه المعروف ، فتكون مصيباً مأجوراً متبعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فصار هذا التلقين آكد من لبس الخرقة وأصح في إستناده ، ولاغنى عنهما للمريد الطالب أيضا .

وروي في تفسير الدرر في فضل لآ إله إلا الله قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من قال لآ إله إلا الله ومدّها هدمت عنه أربعة آلآف ذنب من الكبائر) وفي معنى هذا أيضا أن رجلين إختصما إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فحلف أحدهما على دعوى صاحبه بالله الذي لآ إله إلا هو ومَدّ بها صوته وهو كاذب ، فلما حلف نزل جبريل عليه السلام فقال : إنه كاذب فيما حلف ولكن الله غفر له لمـّا مد صوته بلآإله إلا الله . وفائدة المد تحقيق التلقين وأنه لايخلو المد من سر فيه وإجتلاب الحضور وتحقيق نفي ماسواه . ولهذا ورد في الحديث (من ذكر الله وقلبه ساهٍ عن الله فاالله خصمه يوم القيامة)

وقال أيضا : نكتة مفيدة في البيعة : إعلم أن العقد والبيعة بين الفقير والشيخ أصلية دينية شرعية ، فلا يجهل قدرها ولايهمل شرطها

وهو مارواه مسلم في جامعه بإسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال (من خلع يده من طاعة لقي الله يوم القيامة ولاحجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) ويدخل في ضمن ذلك من تتلمذ لشيخ محقق وبايعه على طاعة الله تعالى والسلوك على الطريقة إلى الله ثم باينه وعصاه فقد خلع يده من البيعة الشرعية . إلى آخره . إنتهى .

وسيأتي عن سيدي الأستاذ الأعظم الحبيب علي نقل مقالات في الأدب مع المشايخ ونقلناه هنا بطوله لتشويق فروع أهل هذه الطريقة ليصلوا إلى مافيها من معاني الحقيقة . ومعنى التحكيم وحقيقة إلقاء المريد نفسه بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل ، قال الشيخ الإمام محمد بن عمر بحرق الحضرمي رحمه الله ونفع به في كتاب (مواهب القدوس في مناقب ابن العيدروس) في شرح قصيدة الشيخ ابي بكر العدني في الكلام على قوله :

عفيف الدين محي الدين حقا … له تحكيمنا وبه إقتدينا

والتحكيم إنقياد النفس لحكم من حكّمه عليها ظاهرا وباطنا برضاء واختيار ، مع إعتقاد أن ماحكم به عليها هو الحق . ومنه قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم { **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** }[1] فنفى سبحانه الإيمان عن من لم يحكم الرسول على نفسه ثم من حكمه ووجد في نفسه حرجا ، أي ضيقا من قضائه ولم يستثقله بظاهره وباطنه . ولسيدنا العيدروس

---

[1] الآية : ٦٥ النساء

قدس الله روحه تصنيف شريف واف شاف سماه (الجزء اللطيف في علم التحكيم الشريف) أتى فيه بالعجب العجاب ، وأغنى بما فيه عن الإيجاز والإطناب ، وذكر فيه ماورد في إلباس الخرقة الصوفية من الأخبار والآثار ، وصفة التحكيم الوارد عن المشايخ ، وعد مشايخه الذين أخذ عنهم اليد والإذن في إلباس الخرقة الصوفية الشريفة . ثم قال في آخر كلامه : ومن الآثار عن الشيخ شهاب الدين السهروردي رحمه الله أنه قال في كتابه العوارف : لبس الخرقة الصوفية إرتباط بين الشيخ وبين المريد وتحكيم للشيخ من المريد في نفسه ليرشده ويهديه ويعرفه الطريق ، ويبصره بآفات نفسه وفساد أعماله ومداخل الشيطان عليه . فتحكيم المريد للشيخ على الحقيقة دخول في حكم الله وحكم رسوله الذي أقسم الله بربوبيته على نفي الإيمان عن من لم يرضى به . ثم قال الشيخ رحمه الله : فهو شبيه بمبايعة الصحابة رضي الله عنهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الثابتة في الصحيحين كقول عبادة بن الصامت رضي الله عنه : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول الحق حيث كنا ولانخاف في الله لومة لائم . ثم ذكر صفة تحكيم الشيخ عبد الله العيدروس نفع الله به : وعلى الشيخ للمريدين أن يعلمهم العقائد ومايلزم علمه من الواجبات . وسيأتي في آخر الفصل الذي فيه ذكر مشايخه إعادة لذكر لبس الخرقة والتلقين ودليلهما من السنة إن شاء الله تعالى .

(فصل) في نتيجة كبرى تتضمن لجملة أخرى من أحوال سيدي مشكاة الأنوار ومصفاة الأسرار الحبيب علي بن حسن المراد بهذه المنن ، وذلك في بيان وذكر عنوان ما تيسر له من هذا الشأن بواسطة الروح المحمدية والعترة النبوية من أسلافه الأبرار ، وماله منهم من مزيد العنايات في جميع النشئآت والأطوار ، ومن الهبات والمنن والعطايا من فضل ذي الكرم والمن التي لاتختص بزمن دون زمن ، وأكثر ذلك مأخوذ عنه ومقتبس منه . إعلم أنه رضي الله عنه ونفع به بعد وفاة مربيه ومؤدبه ، من نوره له عمر ، وسره له غمر ، جده الشيخ الحسين بن الحبيب عمر وقد تأهل للقاء الرجال ، والإزدياد من تحقيق المقامات والأحوال ، وذلك أن

الحبيب حسين بن عمر قدس الله روحهما توفي منتصف ليلة الخميس في إثني عشر جماد الثاني سنة ١١٣٩ تسع بتقديم التاء المثناة من فوق على السين وثلاثين ومائة وألف ، ولصاحب الترجمة من العمر سبع عشر سنة ، بتقديم السين على الموحدة ، فحينئذ جمع الرحلة إلى مدينة تريم على نية الطلب ، ومزاحمته الأشياخ بالركب ، مع حدة الذكاء وقوة الفهم والإتساع في ذلك ، واجتلاء معانيه ، ولقاء المشايخ الذين ممن بهم يشيد بناء الدين ويعليه . فلما وصل إلى تريم واستقر بها إذ وصل إليه أخوه رفيع القدر أبوبكر ومعه كتاب من جدهما الحبيب عبد الله ابن الحسين بن عمر يقول فيه : إلى الولد علي بن حسن سراج الظلمة بلغنا أنك تريد الإقامة في تريم ، وتريم لاتحتاج إليك ، فيها من يكفيها من أهلها ، وأنت لاتحتاج إليها وأرضك محتاجة إليك ، وحال وقوفك على كتابنا تعود إلينا في الحال . وقال لأخيه أبي بكر وأنت القائم عليه أن لايقف ساعة بعد ما تصل إليه . وكان إذ ذاك في مسجد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد بحاوي تريم في وقت خليفته الحبيب علوي بن عبد الله الحداد نفعنا الله بهم . ولما كان صبح تلك الليلة التي وصل فيها أخوه طلع لزيارة سيدنا الفقيه المقدم ومن في تلك التربة ممن ترقى في حضرة الشهود ، وتقدم لزيارة الأحياء في البلد ، الذي لايحصرهم في ذلك عدد ، كالإمام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ، والحبيب عمر حامد ، والحبيب عبد الله بن سهل جمل الليل ، والحبيب طاهر بن هاشم ، والحبيب سقاف العيدروس قدس الله أرواحهم ، وكان ذلك اليوم يوم جمعة . فبينما هو سائر إلى مسجد الجامع إذ أقبل رجل شريف شيبة أعمى تقوده جارية سوداء ، فلما أحس به وبأخيه

أبي بكر قال : قفي ! فصافحناه فقال : من أنتما ؟ فأخبرناه وسألناه من أنت ؟ فقال : أنا عبد الله بن أبي بكر خرد ، فأخذنا بيده ودخلنا المسجد وصلينا وخرجنا نحن والحبيب علوي بن عبد الله الحداد إلى بيت الحبيب عبد الله الحداد المرتبة فيه الحضرة في البلاد ، وذلك من وقت الحبيب عبد الله ، وكنا قد عزمنا نحن والصنو أبوبكر على الرواح ، فحصل جاذب قوي ومقصد أخروي للإجتماع بالحبيب عبد الله خرد المذكور ، فسرت من الحاوي إلى تريم وطلبت السيد عبد الله خرد المذكور ، فلما جلست معه قال نحن قد إشتقنا إليكم من أول البكرة وإذا عنده السيد عبد الله بن محمد العيدروس يقرأ في كتاب فتح الجواد شرح الإرشاد ، وقد كان السيد عبد الله المذكور يحفظ الإرشاد ويحفظ الألفية في النحو ، ويحفظ القرآن ، وكان ورده كل يوم ربع القرآن وربع الإرشاد وربع الألفية ، وكان أخذه عن الحبيب احمد الهندوان وغيره ، وقرأ عليه جماعة ، منهم : الحبيب عبد الله بن علوي العيدروس صاحب بور ، والحبيب احمد بن عبد الرحمن بن محمد العيدروس صاحب الدحقة بشبام ، والشيخ سالم بافضل . فلما أردت الخروج من عنده قال : الله خليفتي عليك ، فلما وصلت إلى بلدي إخترت لزيارته ماشيا على قدمي لابساً لدلقي ، آخذاً لعصاتي وأقمت عنده ماشاء الله ، ثم إني سرت أيضا لزيارة تريم سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف ثم في سنة الخمسين . وزرت أيضا تريم في جماعة من الأصحاب وزرناه . وقد ذكرته من جملة مشايخي في السلسلة ، ولما زار الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي تريم ولم يجتمع بالسيد عبد الله خرد المذكور ثم جاء خبر وفاته ونحن عند الحبيب عمر بن عبد الرحمن

البار ببلد القرين بدوعن تأسف عليه وعلى عدم الإجتماع به وقال : أما أنت ياسيد علي فقد أدركته وفات علينا . وقوله رضي الله عنه لابساً دلقي وذلك من تربية الله تعالى له كان لابسا شعار التواضع .

وبلغنا عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفع الله به أنه قال : صليت العيد مرارا في جامع تريم في مرقّعة . وهكذا عادة مشايخ الصوفية المؤدبين إذا أتاهم مريد ليسلك على أيديهم إذا كان من الأشراف أو أهل الرياسات أمره بوظيفة التي تكسر نفسه وتهذب أخلاقه كما سيأتي في حكاية للشيخ معروف بن عبد الله باجمال نفعنا الله به .

قال رضي الله عنه : ثم إني لما رجعت من تريم إلى بلد حريضة أقمت بها ، وغالب مجلسي في زاوية المسجد الجامع والقيام بالإمامة فيه مع ملازمة القراءة على سيدي الوالد عبد الله والوالد احمد ابني الوالد حسين في كتاب الإحياء وغيره من كتب الفقه والتصوف والأدب والطب . وكان الوالد عبدالله يقدمني في الصلاة فلما كان في بعض الأيام وأنا أقرأ على شيخي الحبيب احمد بن الحسين إذ جاء إنسان وأنشد قصيدة الحبيب احمد بن زين الحبشي التي مطلعها :

لبست بحمد الله لبسا محققا　　　مع الإذن في الإلباس عن قطب دورة

فلما تم إنشادها حصل لي إنزعاج وشوق لزيارة الحبيب احمد المذكور ، فعزمت على ذلك بعد أن شاورت سيدي الوالد الحبيب احمد بن الحسين فأنعم لي بذلك ، فلما وصلت إلى حضرته الشريفة حصل منه غاية الإكرام وقابلني بالبشر والترحيب والإنعام كما هي عادة أهل الله مع من يزورهم ، وجعل يسألني عن جملة أحوالي الدينية والدنيوية ، فلما

سألني عن خاصة أمر المعيشة وغيرها من مهمات الوقت قلت له في جملة الخطاب على الله ، فظهر منه السرور بهذه الكلمة وقال : نعم على الله فهو ياولدي لايطرح ، قلت له لوكان الوقت مساعد لانفارقكم ولا ساعة ، ، ولما سبقنا في الملازمة عليكم أحد . ثم إلتمست القرآءة عليه في شيء من الكتب فقال : الذي تريد القرآءة فيه ، فقلت له ماتقولون في قرآءة الفاتحة عليكم ؟ فقال : هي الجامعة لجميع المطالب ، فتربع جالسا في محراب مسجده وتوجهت إليه وقرأتها عليه ، ثم قال لي : ونحن نريد قرآئتها عليكم فإن جدك الحبيب عمر لما ألبس الحبيب عبد الله بن علوي الحداد طلب منه أن يلبسه وقال له نلبسك ياعبد الله بشرط أن تلبسنا . ثم قرأ الحبيب احمد الفاتحة حتى أكملها . وإلى ذلك أشرت في السلسلة بقولي بيتين :

وعن أحمد ابن الزين قد كان أخذنا لأم كتاب الله عين العناية
قرأها لنا من بعد ما قد قـــرأتها عليه ببيت الله في خير ساعة

قال : ثم ذاكر بأحوال سيدي الوالد الحبيب عمر ونشر شيئا مما يتعلق بأخلاقه الكريمة . هذا حاصل كلامه المتعلق بالحبيب احمد بن زين .

وقد ترجم له في كتابه سفينة البضائع ترجمة وافية . (قلت) وكالذي حصل له مع الحبيب احمد بن زين الذي يقال فيه : أنه بعد وفاة شيخه الحبيب عبد الله الحداد إنتهت إليه رئاسة حضرموت ، حصل له مع سيدي الحبيب عبد الله بن جعفر مدهر عند إجتماعه به بوادي دوعن قريبا من ذلك ، لأنه رضي الله عنه لايزال يقصد الأئمة المسلكين للإقتباس من أنوارهم والإلتمام لما ينقدح من صفاء أحوالهم وأسرارهم ، إذ

هو لتأهله لِلّقاح ، واستعداده لأسباب النجاح كضوء المشكاة ذات الزيتونة التي في الزجاجة والمصباح ، وهو أنه ذكر إجتماعه به أعني الحبيب عبد الله مدهر في رسالة مستقلة قال : لما وصلت إلى بلد القرين للإجتماع بالحبيب عمر البار طلبت منه أن يجمع بيني وبين الحبيب عبد الله المذكور في مكان خلوة ، فبينما نحن في بعض الليالي مجتمعين عند بعض المحبين في مجلس سماع ، فلما توسط المجلس قام الحبيب عمر البار وربما الصق رأسي برأس الحبيب عبد الله وقال : هذا ماضمنت لك ياسيد علي . ولما إنتهى السمر وبقيت أنا والحبيب عبد الله بن جعفر إلتمست منه الإلباس والتلقين ، فقال لي : إني أجلّك ياسيد علي أن تأخذ عني فعاودته في ذلك فأجابني إليه لكن بشرط إلباسي له كما وقع ذلك للحبيب عبد الله الحداد مع جده الحبيب عمر ، ووقع لسيدي علي مامر في قرآءة الفاتحة مع الحبيب احمد بن زين الحبشي كما ذكر ذلك وفصله في رسالة مستقلة ذكر فيها جميع مايتعلق باجتماعه بالحبيب عبد الله مدهر نفع الله بهما ، وماحصل له معه من إبتدائه إلى إنتهائه ، لأن من عادته قدس الله روحه إذا تكلم في حال أومقام أوواقعة أشبع الفصل وأشفى الغليل ، ولو لا خوف الإطالة المقتضية للملالة لأوردنا تلك الرسالة لإشتمالها على فوائد وغرائب ، وفواكه وعجائب ، وذلك من أهم مايتعلق بالمناقب ، ولحسن إيراده تستنبط للطالب . فمن أرادها فليطلبها من محلها ، إذ فيها بيان فضيلة هذين الإمامين العارفين الجامعين لعلوم الظاهر والباطن ، المجمع على جلالتهما في الصحاري والمساكن . رضي الله عنهم وأرضاهم .

(فصل) إعلم أنه مر ذكر ماكان عليه سيدي الحبيب علي في بدايته وعنفوان شبابه وإقامته في بلد حريضة واشتغاله على مشايخه وأعيان تلك الجهة جده الحبيب الشيخ الحسين بن عمر وابنيه الإمامين عبد الله واحمد قدس الله أرواحهم ، فإنه كان في تلك المدة مشتغلا بكسب العلوم وإنفاق نفائس الأوقات فيها مع ماكان فيه من ضنك المعيشة وضيق الحال ، والإشتغال بخدمة أهله وغير ذلك مما هو دليل على عناية الله به وسبب في ظهور فضله .

وقد ذكر الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب بداية الهداية في تقسيم وظائف العبادات فإنه قال : الحالة الثانية : أن تشتغل بما يصل به

خيراً إلى المسلمين ، وتدخل السرور إلى قلوب المؤمنين ، وتتيسر به الأعمال الصالحة للصالحين ، كخدمة الفقراء والصوفية وأهل الدين ، والتردد في أشغالهم والسعي في إطعام الفقراء والمساكين . مثلا : على المرضى بالعيادة ، وعلى الجنائز بالتشييع فذلك أفضل النوافل ، فإن هذه كلها عبادة وفيها رفق للمسلمين . إنتهى

فإذا كان هذا المقام حاصل لمن إتصف بهذه الصفات في الأبعدين من المسلمين فكيف بمن راعاها في الصالحين الأقربين بهذه النية ، وعلى مثل هذا المعنى فقد ذكر سيدي الإمام بحر المعارف والعلوم ، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي قدس الله روحه في كتابه المسمى (بصائر المسترشدين شرح دوائر الدين) في الدائرة الثانية في ذكر ما تتميز به الأعمال الصالحة ، وتؤثر فيه النية في العبادات على غيرها أوالعادات والحرف والصناعات ، وأن التحقيق في ذلك أن المقصود في جميع ذلك وفي سائر الحركات والسكنات الحضور مع الله تعالى . قال : فما موجب القرب من الله تعالى وماعلة البعد إلا الغفلة عن الله تعالى وإن كان في أعظم أبواب الدين . فانظر إلى بر الوالدين لعدم النية الصادقة لغلبة العادة فيه على العبادة ، وقلة الحضور مع الله فيه ، قَلّ أن يظهر أثره على القائم به وتحصل له السعادة كما حصلت لأويس القرني سيد التابعين رضي الله عنه . إنتهى .

وهذا شأن أهل العنايات . فقد ذكر الشيخ خاتمة المقربين سيدي محمد بن ياسين باقيس نفع الله به فيما ترجم به للشيخ الغوث عمر بن عبد القادر العمودي قدس الله روحه أنه كان في أول بدايته يخدم أبويه في

الحرث وغيره ، فلما توفيا تجرد لعبادة الله تعالى والإقبال عليه ، وهذا الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي من مشايخ الحبيب علي نفع الله بهما كما سيأتي ذكر ذلك قريبا . وقد شابهه في كثير من أحواله وتطوراته وسلوكه سبيل أهل التجريب في بعض حالاته .

واعلم أن سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في ذلك الوقت ومع تلك الحالة التي ذكرناها من الخدمة التي عاقبتها تكرمة ، إلتمس منه بعض فقراء بلده القيام بوظيفة الإمامة بمسجد بها في شهر رمضان ، فاستنكف من ذلك ، وحكى لجده الحسين وأنه إمتنع من ذلك وقال : لكونه يريدني معلما وآخذ أجرة على الطاعة ، فقال له الحبيب حسين : إذا أحب الله عبدا جعله قَيِّماً في مسجد ، وأن أم موسى لما طُلبت لإرضاع ولدها موسى عليه الصلاة والسلام شرطوا لها أجرة على ذلك فقبلتها منهم ومرادها التوصل إلى إرضاع ولدها . قال سيدنا الحبيب علي قدس الله روحه فمكثت في المسجد المذكور إماما في شهر رمضان أكثر من ثلاثين سنة ، وخطيبا في المسجد الجامع نحوا من ثلاث عشر سنة .

وهنا درة يتيمة يذوقها كل ذي لهجة سليمة ، وهو إستدلال سيدنا الشيخ الحسين بن عمر نفعنا الله بهما لقرعة سيدي الحبيب علي قدس الله روحه بقصة أم موسى عليه الصلاة والسلام مع آل فرعون ، وأن مقصودها وغاية رغبتها في إرضاع ولدها ، وإنما قبلت الأجرة زيادة في التعمية عليهم . وكذا المعنى فيما دعي إليه الحبيب علي فأرشده الحبيب حسين نفع الله به إلى ماكان في قصة أم موسى ، لأن في قبوله الأجرة وقيامه بالوظيفة هظما للنفس وأبعد عن الرياء والعجب وغير ذلك من

أذواق الصوفية ومراداتهم . وفي إستنكاف سيدي الحبيب علي قدس الله روحه أسوة وأي أسوة متأسيا بموسى عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين أفضل الصلاة والسلام ، وهو أنه لما قارب أن يوحى إليه بالنبوءة والرسالة وذلك أنه لما ورد ماء مدين قال { **رب إني لما أنزلتَ إليّ من خير فقير** }[1] فسأل ربه ولم يسأل الناس ، ففطنت الجاريتان ولم تفطنا الدعاء ، فأتيا إلى أبيهما شعيب عليه الصلاة والسلام فأخبرتاه ، قال شعيب : ينبغي ان يكون هذا جائعا ، ثم قال لإحداهما إذهبي فأدعيه ، فلما أتته أعظمته وغطت وجهها ثم قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا ، فكره موسى عليه الصلاة والسلام ذلك وأراد أن لايتبعها إلا أنه كان في أرض مسبعة وخوف ، فتبعها وكانت إمرأة ذات عجز وكانت الرياح تضرب ثوبها ، فتصف لموسى عجزها فيغض مرة ويعرض أخرى ، ثم قال : يا أمة الله كوني خلفي ، ثم دخل إلى شعيب عليه الصلاة والسلام والعشاء مهيأ ، فقال له كل : فقال موسى لا ! فقال له شعيب ألست جائعا ؟ قال بلى ولكني من أهل بيت لايبيع شيئا من عمل الآخرة بملاء الأرض ذهبا ، وأخشى أن هذا أجر ماسقيت لهما ، قال شعيب : لا ياشاب ولكنها عادتي وعادة آبائي قراء الضيف وإطعام الطعام ، قال فجلس وأكل . إنتهى من مجمع الأحباب من ترجمة أبي حازم سلمة بن دينار رضي الله عنه إستدل بذلك لما وعظ سليمان بن عبد الملك لما ولي ، قال : يا أباحازم هذه مائة دينار للفقهاء ولك عندي أمثالها كثير ،

---

[1] الآية : ٢٤ القصص

فردها وقال : ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسي ، ثم قال : فإن كانت هذه المائة الدينار عوضا عما حدثتك فهي حرام كالميتة والدم ولحم الخنزير ، وإن كانت من مال المسلمين فلي شركاء ونظراء إن ساويتهم بي وإلا فلا حاجة لي في ذلك ، إن بني إسرائيل لم يزالوا على الهدى والتقى حيث كانت أمراؤهم يأتون إلى علمائهم رغبة في علمهم ، فلما نكسوا تعسوا وانتكسوا وسقطوا من عين الله تعالى ، صارعلماؤهم يأتون إلى أمرائهم فشاركوهم في دنياهم واشتركوا معهم في فتنتهم . إنتهى . نقلناه بطوله لما فيه من الدليل على عناية الله تعالى بسيدي الحبيب علي صاحب المناقب من صغره . وقد ألهمه الله مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات من صغره ، فله أسوة في إستنكافه عن أخذ الأجرة على العبادة وتعففه عن ذلك مع حاجته .

(قلت) وماذكره رضي الله عنه مما يشير إلى إستنكافه أيضا عن إمامة المسجد وعن كونه يدعى معلما إذ كان في هذه الجهة يطلق إسم المعلم على من يعلم القرآن أويتولى وظيفة مسجد ، ولضعف الجهة وحقارتها وضيق معايشها في الأكثر والغالب لايتولى هذه الوظيفة إلا محتاج ، فيبتذل بالنسبة إلى من يزاحمه ويزاحمهم في غلة الوقف الخاص والعام وعلوم الوظائف ، فبواسطة ذلك يحتقر عندهم ويصير كأنه قيم في ذلك المسجد إلا كالخادم لهم فيكون هَيِّناً عليهم ، وتسميته بالمعلم مستصغرا لديهم ، والغالب أن المعلم المقام في ذلك يكون إلى الجهل والعمومية أقرب مشايخ العلم ، ولاسيما الصوفية لما عزفت نفوسهم عن الدنيا واسترذلوها وزهدوا فيها ، والذين تحققوا بالمشيخة ولم يزاحموا أهل الدنيا وطالبيها ،

وقنعوا باليسير منها ، كانت لهم العزة ، واختصوا مابين طوائف الأنام بالشرف العالي والمقام الرفيع السامي ، إصطلح على أن من بلغ مقاما عاليا من العلم والمعرفة بالله تعالى أطلق عليه اسم الشيخ ، إذ الأصل في اللغة أن الشيخ هو الكبير في السن ، لأنه يكثر إختباره ومعرفته ، فسموا بهذا الإسم من إتسعت معرفته في المعلومات الدينية ، وعظمت خبرته في الحقائق الإيمانية . وقد مَرَّ في المقدمة ان إطلاق المشيخة على من ليس كذلك فيه غرور وبيل ، وفساد كبير ، مع ذكر أحوال تتعلق وتختص بالجهة الحضرمية خاصة بوادي دوعن أخص . فراجعه تعلم به مامر عن سيدي الحبيب علي صاحب المناقب قدس الله روحه وماوقع له في هذه الوقائع والقضايا من الخصوصيات والمزايا .

(فصل) نذكر فيه بعض مايتعلق بسيدي الشيخ الأستاذ الحبيب الغوث الملاذ الحبيب علي بن حسن ، نفعنا الله به في السر والعلن . إعلم أن هذا الإمام بعد فطامه من مشايخه وانفصاله ، وبلوغه إلى غايات كماله ، وتأهله لتربية المريدين ، وإرشاد الطالبين ، ودعوة الخواص والعوام إلى طاعة رب العالمين ، وإلى توحيده ومايستحقه من صفات الجلال والجمال والكمال ، كانت له تنقلات وترددات إلى سائر الأقطار والجهات ، لاسيما وادي دوعن فإن له به عناية قوية ، ولأهله منه إنتفاعات دنيوية وأخروية ، فيقيم فيه الإقامات الطويلة ، واستراحات وتنفسات حسنة جميلة . وفي ذلك دلالة ظاهرة ، وإشارة لمقتبس جذوتها سافرة ، تشير إلى وراثته لجده قطب الزمان الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن ، فإنه إعتنى بوادي دوعن ، فإنه لما كان لم تبقى به غير بقايا من

رسوم الطريقة العمودية التي هي إحدى الطرائق الصوفية ، أرسل إليه سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن تلميذه الخاص أحد العارفين الأبرار الخواص ، الشيخ علي بن عبد الله باراس ، فدعا إلى الله تعالى العوام والخواص ، وأظهر الطريقة العلوية الشعيبية ، فأقبل إليه أهل دوعن وانتفعوا به إنتفاعا ظهرت آثاره ، وبهرت أسراره ، وأشرقت أنواره . ومن أجَلّ الآخذين عنه وعن سيدنا الحبيب عمر ، الشيخ المسمى بالكبريت الأحمر ، شمس الشموس الشيخ محمد بن احمد بامشموس ، فانتشرت الدعوة وظهرت الطريقة العلوية ، ثم تأيدت وتأطد شأنها وعلت أركانها بأصحاب سيدنا الشيخ الأستاذ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد الآتي ذكرهم نفعنا الله بهم . وكلها طريقة واحدة ، وتوجهاتهم فيها متحدة ، وإلى الله واردة . كما أن شأنهم أن وجوههم في صلاتهم متوجهة إلى الكعبة ، وقلوبهم متوجهة للذي فطر السموات والأرض ، فهم الجامعون لوراثة الأنبياء والمرسلين . ولذلك قال الشيخ علي بن عبد الله باراس المذكور في بعض مقالاته المنقولة في القرطاس وهو أنه قال : أما أنا فأنا في الصف الثخين . يشير بذلك إلى علو طريقة العلويين ، هذا في الدنيا ، وللآخرة أعظم أجراً ، وأفخم فخراً وذخرا .

وفي القرطاس أيضا أن الشيخ محمد بن احمد بامشموس رأى الشيخ علي المذكور في المنام بعد وفاته فقال له : هل إجتمعت بسيدي الحبيب عمر فقال نعم صافحته عن يمين العرش . فهذه رؤيا حق حقيقتها كشف وقع في عالم الخيال . وقد كان هذا الشيخ محمد بامشموس نفع الله به في حاله ومقامه ملكا روحانيا . سمعت شيخي الشيخ عبد الله بن احمد

بافارس باقيس يقول : كنت أقرأ على سيدي الشيخ محمد بن ياسين باقيس في رسالة المعاونة للشيخ عبد الله الحداد ، فلما وصلت إلى قوله فيها : وينبغي للمريد أن يكون نظيف الباطن والظاهر حتى يكون كأنه ملكا روحانيا . قال الشيخ محمد بن ياسين المذكور : كسيدي الشيخ محمد بن احمد بامشموس . وقد ترجمت له في كتابي فيض الأسرار المار ذكره ، وكذا للشيخ علي المذكور في ترجمة شيخهما الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس عند قول شيخي الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار في منظومة سنده :

كذا عن العطاس رأس الطائفة وغيره ممن رزق عواطفه

نفعنا الله بالجميع .

ومن عناية سيدي الحبيب علي نفعنا الله به بدوعن وأهله وإجلاله لهم قال في كتابه الرياض المؤنقة : من زار الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ولم يزر أهل الصعيد الأيسر والأيمن ، فهو عندي كمن حج ولم يتمدن ، فذلك بالجفاء أقمن . ففي الحديث : (من حج ولم يزرني فقد جفاني) وهذا حديث حسن . وقال في القصيدة المشهورة التي أنشأها عند زيارتهم للإستنسقاء فإنه قال فيها بعد ذكره لزيارة الشيخ الكبير احمد بن سعيد بالوعار :

زرنا ضريحه وروحنا نريد الدخـــول

في الوداي الطيب المبروك زين الطلول

دوعن مقر الفضائل والرجال العـــدول

وقد مَرَّ بعض مايتعلق باجتماعه بسيدي الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي عند وصوله في هذه الزيارة ، وماوقع له معه من الإشارات والبشارات ، مع ذكر طريق الأخذ عن المشايخ المسلكين وأخذهم العهد على مريديهم ، وذكر لباس الخرقة الصوفية وتلقين الذكر قريبا ، وذكر إجتماع الحبيب علي صاحب الترجمة بسيدي الإمام الجامع الحبيب عبد الله بن جعفر مدهر في زيارة أخرى ، وذلك ببلد القرين وفي حضرة الحبيب عمر البار نفعنا الله بهم . وقد مرت الإشارة أيضا أن الحبيب علي رضي الله عنه ألّف رسالة في تنقلات الحبيب عبد الله بن جعفر المذكور ووصوله إلى دوعن واجتماعه بالحبيب عمر البار ، وماجرى له في تلك الرحلة من الوقائع والأخبار .

وقد ذكر رضي الله عنه في كتابه القرطاس في مواضع منه ماكان له مع الحبيب عمر المذكور من إشاراته إليه وإقباله عليه ، وإعانته له بالمصنفات المطلوبة من غرضه من كتب الحديث وغيرها ، وأنه قال له : أخدموا أنفسكم ، وقال أنت ياسيد علي مقبل والناس قد أدبروا وقد فقشوا الطبول .

وقال سيدي الحبيب علي رضي الله عنه في المكاتبة المار ذكرها التي إلى الشيخ إسماعيل النقشبندي ثم المدني قال فيها : ثم زرنا الشيخ علي بن عبد الله باراس تلميذ الحبيب عمر العطاس ببلد الخريبة ، وقصدنا بعد ذلك بيت الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار وقد أطلعنا أخدامنا ومواشينا بيت صاحبنا الشيخ حسن بن عبد الرحمن باراس صاحب الخريبة وهو قريب من بيت الحبيب عمر البار وأمرنا عنده بالغداء ، فلما

طلعنا على الحبيب عمر البار قلنا له الناس في ضيق وقحط شديد وإني قد زرت جميع المشايخ من تربة الهجرين وأعلى ، وقرأت لجميع الزيارة التي حققتها في زيارة الشيخ سعيد بن عيسى. ثم قلت له : الفاتحة ثاني مرة وثالث مرة فقرأها واستأذنته في قرآءة المنفرجة وقرأتها عليه ، فقال بعد ذلك إن فيها كلمات من المشكلات ألفاظها علينا ؛ فأعدها لنا نأخذها من لفظك ، فأعدتها عليه ، فكان كلما بلغت شيئا من الكلمات المشكلات يقول لي كررها . وطلع الشيخ حسن باراس هو وأولاده عمر وعلي حفظ الله الجميع وحضروا زيارتنا عند الحبيب عمر وخرجنا من بيت الحبيب عمر إلى بيت الشيخ حسن وتغدينا في بيت الشيخ حسن باراس . فبينما نحن جلوس إذ أقبل عمه الشيخ عمر المجذوب ابن الشيخ علي باراس يقرأ في الزقاق ، فقلت لواحد من الحاضرين قم واغلق الباب فمالنا حاجة بمقابلته لقوة جذبه وتخريفه ، فقام فوجده في أثناء رقاد البيت فلم يمكن إلا دخوله علينا ولم يسلم بل قام فوقي وخودته مقلوفة ، وقال : أنت تزور من بعد عمر بن عبدالرحمن العطاس ، أما علمت أن مياهه بعد ماسقت الأموال قدها تجري في المناكي إلى الرحاب ، ولكنك بغيت السيل باتوصله هينن ، ثم كاشفني بأشياء أخرى ثم جلس وقال : إنما الأقوال أقوال احمد بن علوان وابن الفارض والسودي ، وأما غيرهم فكذا وكذا وخلط في الكلام ليلحقه الملام ، ويُموّه النور بالظلام ، فسبحان الملك العلام الذي أقام العباد فيما أراد ، وأجاد بما أفاد ، ولامعقب لحكمه ولاراد لأمره الذي أراد . ثم أذن الظهر بعد أن رقدنا في بيت الشيخ حسن فقمنا من الوسن وتوضينا وخرجنا إلى مسجد الشيخ سليمان وهو قريب منها وقريب من دار

الحبيب عمر البار ، وزرنا الشيخ سليمان وركعنا وخرج الحبيب عمر البار وصلّى بنا الظهر وجلس للمدرس وابتدأو القراء من بعد صلاة الظهر ، ثم ذكر بعض مامر وأنه قال له ياسيد علي إن لك وراثة في الإستسقاء كما قال أبو طالب في جدك المصطفى صلوات الله وسلامه عليه :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل

وقال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه : ولما إنتهى مدرس الحبيب عمر البار نفع الله به وأذن العصر أردنا الرواح من عنده مصعدين إلى بلد الرباط لتمام الزيارة ، فحين صافحتهم للوداع قال لي ياعلي : أما تعلم أن هذا نجم الإكليل ومرادنا منك أن تقول : ماشي هميم في دوعن ، فقلت له كيف أقول ذلك وأهل الجهات الحدرية ماشربهم إلا من وادي دوعن ! بل لوجاهم السيل من وادي عمد ماحَولوا إلا بدوعن ، فقال قل : ماشي هميم في دوعن والشعاب إلا كثير منا وأسفل ، فقلت أما إذا كانت الشعاب كثير فلا شي هميم في دوعن .

ثم قال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في وصفه حصول الرحمة : وحصل الغزر في الغيث من قيدون وأسفل ، وخرج من وادي عمد السيل غَيّر غالب الوديان لاسيما وادي عندل فإنه قد أعدمه حتى بدعوا له واديا آخر ، وأما دوعن خصوصا المكان الذي شرطه له الحبيب عمر البار أن لايكون فيه هميم حصل فيه اللطف ، حيث أن السيول تجي فيه متتابعة كلما نضبت السواقي جاء سيل آخر وأملاها . إنتهى .

وقال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في مكاتبة أخرى : وتعرف ان جهات الكسور كلها ركبها الله الحكيم على هذين الدوعين ،

الدوع الأيمن والدوع الأيسر ، وربما قد رأيت مافيها من سعة الجيلان وطول الميلان . أترى ربك ركبها مع عظم كوكبها يسقي بها الرباط والخريبة وعورة وحلبون ؛ أم الهجرين وماورآءها إلى علقون وشجعون ، إذا علمت ذلك فمن جلس على الطريق فليصبر على التدحيق ، ومن حجا المضيق جاءه مالايطيق . والحاصل إن اللطف حاصل ، والنور متواصل ، ولايخشى على أهل دوعن من ذلك فإن فيه إشارة من السلف بأنه الوادي المأثور ، وأنه لايزال حي بالحياء معمور . وقد نقلت في أول جزء من كتابي القرطاس في مناقب العطاس لما شل الهميم الأول مال دوعن ونخله شاور بعض الناس الوالد عمر بن عبد الرحمن العطاس من أهل دوعن وقالوا له : نريد نترك دوعن بالكلية ، فقال لهم : أما سمعتم قول الفقيه عمر بامخرمه حيث يقول : دوعن الحي ولم يقل الميت . فعند ذلك عزموا على العمارة ، فمن إمتثل قوله وجد في العمارة كثرت أمواله واطمأن حاله ، ومن ترك العمارة تلاشت أحواله وتحقق زواله ، والله الموفق لارب غيره ، ومن راحت عليه نخلة كتب له من الثواب كأنه مات عليه ولد صغير . إنتهى .

ومما ذكره سيدي الحبيب علي نفع الله به من محاسن والي دوعن ومراقبته لمولاه وصغر نفسه عنده الذي هو أعلى مراتب العبودية وأشرفها ، وهو أنه قال إن الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن العمودي الملقب أبو ست ، ممن أرسل له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم السلام ، وأنه لما زار سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد دوعن قال الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن لإبنه الشيخ عبد القادر : لاتذكرني عند الحبيب عبد الله الحداد فما أنا بأهل لأن أذكر عنده إلا إن سأل عني سلم عليه ، فبقي

الحبيب عبد الله في بضه مابقي ، وأصعد دوعن ورجع ولم يذكر الشيخ عبد الله حتى كان بضمير الخيس وقده راجع من دوعن والشيخ عبد القادر بن عبد الله صحبته ، فقال له الحبيب عبد الله ماحال والدك ياعبد القادر ؟ فقال بخير ويسلم عليك ، فقال الحبيب عبد الله الحداد هلا بلغت إلينا سلامه قبل ذلك ؟ فقال له منعني أن أذكره عندك إلا إن سألت عنه ، فقال له : لوقلت لنا بكلامه هذا وعاد نحن في بضه زرناه في المصنعة . إنتهى .

فانظر إلى هؤلاء الرجال الذين أثمرت لهم حقائق الإيمان وماتنتجه من خالص العلوم والأعمال العزيزة المنال ، الدقيقة المثال . فإذا كان هذا الوالي فكيف حال الرعايا الذين صلاحه بصلاحهم وعكسه ، ليعلم أن وادي دوعن كان منظورا إليه بعين الرحمات وإدرار النفحات ، تعلم أنه في هذا الزمان صار بالعكس مما كان . وإلى هذا يشير كلام القطب الإمام الشيخ عمر بن عبد الله بامخرمه رضي الله عنه في أبيات يقول فيها :

ياعيوني بكين اليـــــوم ما كنـــن يبكين
مابكي ألا على دوعـــــن على صيته الزين
من عُقَلْ مَنْوَهْ الخضراء إلى أقصى هدونين

فهذا المحل الذي عينه هو الذي كان مخصوصا بالورع والعلم والعلماء الراسخين . ففي علمائه وأوليائه خصوصيات يوفرها ماكانوا عليه من غاية الورع والعفة والإقتصاد . فحال رقم هذه الجملة عندنا كتاب يسمى (بالدشته) جمعه الإمام عمر بن احمد العيدروس نفعنا الله به ، وهو مجموع في الفتاوى رفع إلى الوالد محمد كان الله لنا وله ان يرتبه ، والمرسل له بعض

أحفاده وهو الحبيب عيدروس بن علي بن عمر بن احمد صاحب الحزم نفع الله بهم ، فإنه إذا عزا النقل إلى الأئمة الدوعنيين يبجلهم وينقل عنهم تحقيقات تدل على تحريهم وذكائهم وتبحرهم في المذهب . نفعنا الله بالجميع ولاحرمنا بركاتهم .

وسمعت شيخي الصوفي الصفوة عبد الله بن احمد بافارس باقيس رحمه الله ونفع به يقول : لمارجع الشيخ فارس بن احمد باقيس من الحج وحضر لدى الشيخ الجليل الإمام الولي الحفيل محمد بن علي باجرفيل الدوعني المار ذكره ، وكان من شيوخ الشيخ فارس المذكور قال له : ما أظرفتنا به يافارس من سفرك ؟ فقال : أتيت لكم بكتاب روض الرياحين لليافعي . فقال الشيخ محمد باجرفيل : لو شيئت لأمليت أولجمعت من حيلة بانبيع وأعلى كذا وكذا روض . (وحيلة بانبيع بالنون المضمومة والباء الموحدة والياء المثناة من تحت وبالعين المهملة في آخره) محل من بلد حلبون وأسفل قليلا ، فإذا كان ذلك من هذا الموضع فما ظنك بباقي الوادي الأيمن فالأيسر ومن فيهما من الأولياء والصلحاء وغيرهم من العلماء المحققين ، والأئمة المحررين ، ولأن أكثر أولياء وعلماء وصلحاء الأئمة العموديين ديارهم وآثارهم من هدون وأسفل ، وكذلك في الوادي الأيسر ، وأخبارهم لاتحتملها المجلدات . نفعنا الله بهم .

ومن الآخذين عنه والمترددين عليه سيدي الحبيب علي نفعناالله به فله صلة وثيقة بالشيخ الإمام غوث الأنام القائم بالعبودية المحضة والترسم برسوم العوام في الزي والكلام الأسد الضرغام والليث الهمام ، وفي الجود والسخاء والفتوة في المرتبة التي لاترام ، الشيخ عمر بن عبد القادر

العمودي نفعنا الله بهم ، فقد أكثر سيدي الحبيب علي من التردد إليه والإجتماع به عند زيارته لجده الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي تأسيا بسلفه الكرام ، وحرصهم على زيارته ، لما روي عنهم أن عنده وفيه مخزون سرهم ، ولما لجده الشيخ الحسين بن عمر العطاس بالشيخ المذكور من العناية الخاصة ، حتى أنه أوصى له بما اختاره من جيد أمواله ، فلما حضر ختم موته خاف أولاده انه يختار فرس الحبيب حسين ، فاختار السبحة والعصى . فلسيدي الشيخ عمر بن عبد القادر الإتصال بسيدنا الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله بهم من ثلاثة أوجه : من طريق الشيخ عبد الله الحداد ، والحبيب الحسين بن عمر ، والحبيب عيسى بن محمد الحبشي . وللحبيب علي بن حسن المذكور مزيد عناية وكثير رواية . وقد ذكر سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في كتابه الرياض المؤنقة أوالقرطاس أنه في بعض زياراته وتنقلاته للنفع والإنتفاع وصل إلى حوطة قيدون ، فلما حل بسوحها المنيرة التي إذا رأتها العيون أمست برؤيتها قريرة كما نقل عن الشيخ احمد بن محمد الحبشي باعلوي صاحب الشعب نفعنا الله به أنه كان إذا جاء إلى حوطة قيدون يتبرك بتربتها ومواطي الأقدام لما يرى فيها من الأنوار ، وكثرة من كان فيها من الأعلام المقربين الأبرار .

قال سيدي الحبيب علي في سياق كلامه : فلما وصلت إليها خطر ببالي وحاك في صدري أن أقدم عند الوصول زيارة الشيخ سعيد ومن في ذلك النادي السعيد من المقصودين الذين هم أحياء في القبور ، وزائرهم فائز بالظفر والأجور ، أوأقدم زيارة الحي وهو الشيخ عمر بن

عبد القادر المذكور ، قال : فرجحت زيارة الحي لما فيها من المنافع الزائدة على زيارة الأموات وإن كانت زيارة الأموات لها نفع متواصل في العاجل والآجل كما سيأتي ذكر بعض ذلك عند ذكر زيارة المشهد المشهود ، المشهورة للأنام المعمورة بالوفود إليها من الخاص والعام . فقد نقل عن سيدي الشيخ عبد الله الحداد باعلوي نفعنا الله به أنه قال له بعض من إجتمع به وزاره في حياته عند إستيداعه منه : عسى الله يقدر بكم الإجتماع في مرة أخرى . فقال : إن وجدتمونا وإلا فقبورنا نائبة عنا ، قال سيدي الحبيب علي نفع الله به : فلما وصلت إلى الشيخ عمر وتمثلت بين يديه ذكرت حكاية له مع الشيخ الحبيب عبد الله الحداد ، وذكرها أيضا في السفينة . وكان معنى الحكاية وصورتها ما سمعته عن والدي الشيخ احمد بن عبد الله باسودان يرويها عن أبيه ، وأبيه عن المعلم الشيخ احمد بن سعيد باسودان رحمهم الله تعالى وأسكنهم فسيح الجنان وهو : أن الوالد احمد بن سعيد المذكور قال لسيدنا الحبيب عبدالله الحداد وقد ذكر عنده الشيخ عمر بن عبد القادر أن هذا عمر بن عبد القادر إذا وصل إلى حضرتكم كان كالميت بين يدي الغاسل ، وإذا فارقكم وسافر فإذا وصل إلى كحلان وأعلى إستعمل آلات السماع كالدفوف وغيرها يريد أن يكون كالشيخ عمر بامخرمه أي في إستعماله آلات السماع ! فأجاب عليه الحبيب عبد الله نفعناالله بهم بقوله : يا أحمد إنا لانرضى لعمر بن عبد القادر بحال بامخرمه ، أي أنه أعظم حالا منه ، قال وعاد عمر بن عبدالقادر خص بفضيلتين لم يكونا في بامخرمه ، أحدهما أن هذا شيخه باعلوي ، وثانيهما

جده الشيخ سعيد . فبلغ ذلك الشيخ عمر فسر به سرورا عظيما . وتحمل للوالد احمد بن سعيد المذكور منة وفضلا عن أن يعاتبه أويكره ذلك منه .

قال سيدي الحبيب علي فلما خطر على بالي مافي هذه الحكاية المذكورة المروية على تلك الصورة قلت في نفسي : إن كان حضوري واجتماعي برجل في مثل هذا الوقت حاله مثل حال الشيخ عمر بامخرمه إن هذا لشيء عجيب ، وشأن عظيم ، فأجابني الشيخ عمر على الخاطر وقال : مانقل عن سيدي الحبيب عبد الله صحيح ، والناقل له صادق .

وقد ترجم سيدي الحبيب علي للشيخ عمر المذكور في السفينة فقال ماحاصله : إنه كان من العلماء بالله ، الدائبين بكنه الهمة في طاعة الله ، الناصحين لعباد الله ، الباذلين أنفسهم في مراضي الله . وله اليد الطولى التي لاتسامى في الكرم والسخاء ، لم يبلغنا عن أحد من السلف مابلغ إليه في كثرة الإنفاق ، وإكرام القاصدين والزوار للشيخ سعيد في السعة والإملاق ، ويحث الضيفان على كثرة الأكل من طعامه ، وينوع لهم مايقدمه إليهم من طعام وإدام ، وشاع ذلك وانتشر بأمور خارقة لايطيقها البشر . هذا حاصل ماذكر سيدي الحبيب علي نفع الله به . وحاصل ماذكره شيخ مشايخنا خاتمة المقربين الشيخ محمد بن ياسين باقيس نفع الله به في مؤلف له لطيف في مناقب الشيخ عمر المذكور قال فيه : كان في إبتداء أمره يتكلف الإنفاق والإيثار ويتصرف في أمواله ، وكان له زوجتان صالحتان مؤثرتان في المال ، فبذلتا له أموالها فأنفق جميعه ، ثم بعد ذلك صار ينفق من الغيب بلا ريب ، إذ كان يقدم للضيفان مايحير الناظر

ويقطع به أنه من باب الكرامة والخارق للعادة . هذا معنى كلام الشيخ محمد .

قال سيدي الحبيب علي نفع الله به : وكان الشيخ عمر بن عبد القادر يحب الفقراء والمساكين ويدنيهم إليه ويتنزل لهم ، ويكلم البدو والحضر بلغاتهم وماتبلغه عقولهم ، وكان كامل حسن الظن في جميع المسلمين ولاسيما في آل باعلوي فإنه يعظمهم غاية التعظيم ويبالغ في ذلك . ومن تواضعه وهضمه لنفسه أن بعض الناس إلتمس منه الإستسقاء في بعض المحلات فقال مامعي إلا ثلاث : حسن الظن بالله ، وحسن الظن بخلق الله ، وطرح مسكنتي فوق مسكنتهم . والحاصل أن أحوال هذا الإمام لاتتناهى ، ومقاماته مع الله لاتكاد تضاهى . وكانت وفاته عاشر شهر رجب من سنة ١١٤٧ سبع (بتقديم السين المهملة على الباء الموحدة) وأربعين ومائة وألف

وللحبيب علي من الشيخ عمر المذكور عناية تامة وحث وترغيب في الدعوة إلى الله وإلى سبيله ، والإرشاد إلى طاعته وتوحيده ومعرفته ، والتوسط بالإصلاح بين عباده . وقد عناه هو وسيدي الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار في السلسلة وذكره لمشايخ الطريق وهي المسماة بالوسيلة المكرمة والسلسلة المنظمة والوصلة المعظمة بقوله فيها :

وزرنا جماعات من المقتدى بهم ولاحت لنا من نورهم رب آية
كمثل السميين الشجاعين ذي الندى سما المجد أستاذين كل إفادة
هما البار و المحضار بن عبد قادر فخذ مني التصريح بعد الكناية

وممن لقيه واجتمع به سيدي الحبيب علي وأخذ عليه السيد الجليل العارف بالله الحبيب أبي بكر بن محمد بن الإمام شيخ الطريقين ، وإمام الفريقين الحبيب أبي بكر بن محمد بافقيه باعلوي ، وهو المذكور بقوله في السلسلة :

وبحر العطايا بافقيه قصدته وأشفا فؤادي بالعطا والبشارة

ومن شيوخ سيدي الحبيب علي الإمام الصديق الكامل الحائز لمجامع الفضائل ، الجامع بين الظاهر والباطن ، وصفا عناصر الأصول والمعادن ، الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي قدس الله روحه ، فقد أخذ عنه وقرأ عليه وتردد إليه . قال : وقد قصدته مرة لقضاء حاجة واحدة لا أطلب سواها ، وهي أني لما وصلت إليه ومثلت بين يديه قلت له : إني أطلب منك أن تسأل الله أن ينزع من قلبي الغش والحقد والحسد والعداوة لأحد من المسلمين كائنا من كان ، فعجب من ذلك وسُر به مني ، وحصل لي منه غاية الإقبال والتأنيس ، وأردت أن أسأله تلقين الذكر ولباس الخرقة ولكني تأدبت معه ومع شيخي الوالد الحسين بن عمر ، فلما كان في بعض الأيام إذ جاءه إنسان فطلب منه التلقين والذكر ، فقال كلكم ياهؤلاء الحاضرون تلقنوا وحصل لي المطلوب . قال : وهو الذي أشار إليه الوالد الشيخ عبد الله بن علوي الحداد بقوله : نحن معتمدون في الدعوة إلى الله وتعليم الجهال وإرشاد أهل الضلال في جهة الكسر ووادي عمد ودوعن على حسين بن عمر العطاس وعبد الله بن عثمان العمودي . هذا معنى كلامه . قال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه : وقدحصل لي من الشيخ عبد الله المذكور القرآءة والمجالسة والمذاكرة والتلقين

والمصافحة . وكان هذا الشيخ عالما عاملا ورعا زاهدا تقيا . كانت وفاته لسابع عشر شهر ربيع الأول سنة ١١٤٣ ثلاث وأربعين ومائة وألف . وقد رثاه سيدي الحبيب علي بمرثاة بليغة . وأحوال هذا الشيخ وثناء الأكابر عليه مشهور في خموله وزهده ومبالغته في الورع الحاجز ، لاسيما شيخه الشيخ عبد الله بن علوي الحداد فإنه قال فيه : الشيخ عبد الله بن عثمان العمودي عالم عامل ورع ، لولا حرج في صدره . أي من حيث تضييقه على نفسه .

ومن لقيه الحبيب علي نفع الله به واجتمع به أولاد الشيخ الغوث علي بن عبد الله باراس الثلاثة وهم : محمد واحمد وعبد الرحمن ، كانوا من أهل العلم والصلاح والورع والإنابة ، وهم الذين عناهم بقوله :

وأبناء علي احمد ومحمد   وثالثهم ذاك الوجيه بنسبة

ومن زاره واجتمع به من الدوعنيين الشيخ العارف بالله تعالى أحد أولياء الله الخواص ، المرادين في عبادتهم وعبوديتهم ومعاملتهم بالصدق والإخلاص ، الشيخ سعيد بن عبد الله بن محمد باعلي باعشن نفع الله به وهو المشار إليه بقوله :

وذاك العشيني قد سعدنا بسعده   سعيد ابن عبد الله مجلي الجلالة

أي مظهر الجلالة ، والمراد بالجلالة مسمى الذات العلية ، وهو الله ، وهو ذكر الروح ، وهو أن العارف إذا وصل إلى حقيقة الكشف والشهود ، وفَني لديه ماسوى الإله المعبود ، وصل إلى هذا المقام وصار مظهراً من مظاهر الدخول في باب السلام . وأخذ الشيخ سعيد بن عبد الله المذكور عن سيدنا الشيخ الحبيب الحسين بن عمر العطاس ، فإنه

تمسك به واعتمد عليه وتردد إليه . وأما شيخه الذي فتق رتقه وتأدب به وألقا قياده إليه ، واعتمد في مهمات الطريق في إرادته عليه ، فهو الشيخ الكبير ، خطة الأسرار ومظهر الأنوار ، الإكسيرالعارف بالله ، الجامع للرقائق واللطائف الموهوبة لأهل الله ، الشيخ محمد بن احمد بامشموس ، وهو من أجل تلاميذ سيدنا الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، والشيخ علي بن عبد الله باراس ، نفعنا الله بهم . وقد بلغ هذا الشيخ محمد بن احمد بامشموس مبلغا عظيما ، وشأنا جسيما من الولاية الكبرى ، وتحقيق مقامات الصوفية وأحوالهم وأخلاقهم ، من الصدق مع الله والإخلاص له والزهادة في الدنيا ، ومن الفقر المحض الذي هو عزوف النفس عما سوى الله ، وكان يجتمع برجال الغيب وأهل البرزخ . وقد ترجم له تلميذه الشيخ محمد بن ياسين باقيس في مؤلف لطيف بالتماس لذلك من سيدنا الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة ، مع أنه لو ألف ماله من الأحوال الفائقة والكرامات الخارقة لبلغ مجلدات .

وقد ترجمت له في كتابي المسمى (فيض الأسرار) المار ذكره قريبا . وكان الوالد رحمه الله يحفظ له من الكرامات وماكان عليه من الجمعية للأسرار التي ضاها بها الملائكة الروحانيين عن والده الجد عبد الله بن محمد باسودان ، وعن شيخه الشيخ محمد بن ياسين المذكور أمورا من الكرامات والمكاشفات ، وفي زهده في الدنيا وكمال روحانيته خارجة عن الإستقصاء . واتفق له معه أعني الجد عبد الله المذكور أنه زاره بعد موته واستحضر روحانيته مع كمال الإمتلاء به والتعظيم ، فما شعر به إلا وهو خارج عليه من قبره على هيئته في الحياة ، فغشي عليه حتى جاء من ينبهه

ظانا أنه نائما . وقد أثبت هذه الحكاية شيخنا الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفع الله بهم ورحمهم أجمعين عن الوالد بخطه .

وقد ذكر سيدنا الحبيب علي صاحب الترجمة قدس الله روحه في السفينة مثل هذا عن الشيخ سعيد بن عبد الله باعشن المذكور سابقا وهو أنه ذكر مامعناه : أن جده الشيخ الحبيب حسين بن عمر العطاس قدس الله روحه إلتمس من تلميذه الشيخ سعيد بن عبد الله المذكور أن يستسقي لهم ويزور من إستطاع زيارته من مشايخ دوعن ، فامتثل إشارته ووافق أمره ، وخرج مع جماعة زائرين على هذه النية وسار إلى زيارة شيخه المذكور الشيخ محمد بامشموس ، وتوجه متشفعا به إلى الله تعالى فخرج له من قبره ومعه واحد من أهل بلده ، فتواجد الشيخ سعيد تواجداً عظيما ، وهذا غير منكور ولامستبعد من أحوال أهل الله وخاصته ، فإنهم أحياء في قبورهم بل متنعمين في جنات ربهم . فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال (القبر روضة من رياض الجنة أوحفرة من حفر النار) .

وكهذه الحكاية ماحكى الوالد عن والده الجدعبد الله بن محمد رحمهما الله تعالى أنه زار نبي الله هادون بن هود عليهما الصلاة والسلام في جماعة ليلا ، فلما رجعوا وكان رجوعهم في آخر الليل قال لهم الجد عبد الله : الوقت متسع نطلع نزور الشيخ علي بن عبد الله باراس ، فلما وقفوا عند ضريحه خرج عليهم ، فلم يثبت ويتحقق في رؤيته إلا الجد عبد الله رحمه الله ، والباقون هربوا وبعضهم سقط وقيل أنه عانقه ، وهو شيخ والده الجد محمد بن عبد الرحمن كما سيأتي ذكر ذلك إن شاء الله . وقد وقع

لبعض الناس مع الجد عبد الله بن محمد رحمهما الله أنه بعد موته لقيه رجل في بعض أزقة بلدة الخريبة وصافحه ، فلما غاب عنه ذكر أنه متوفيا وحلف بالطلاق أنه رآه يقظة على الحال التي يلقاه حيا .

وقد روي عن الشيخ القطب صاحب الحقائق والعرفان ، احمد بن عبد القادر باعشن أنه كثيرا مايخرج يده يمسح بها على جريح ، أويصافح بها من له فيه من المتأهلين مشهد صحيح ، فقد روى الثقة أنه أخرج يده وصافح سيدنا وشيخنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفعنا الله بالجميع ولاحرمنا بركاتهم . وقد كان بعض العلماء إذا أشكلت عليه مسئلة يخرج إلى قبرشيخه ويسأله عنها فيفتيه . وهذا باب واسع تتبعه يحتاج إلى مؤلفات وإنما لما كان الذكر متعلقا بهؤلاء العارفين ذكرنا هذه الوقائع .

(قلت) وقد نبه الحبيب علي نفع الله به في إلتماس الحبيب الحسين بن عمر من الشيخ سعيد بن عبد الله الإستسقاء والدعاء الخاص والعام مع كونه شيخه وملاذه فإن ذلك من السنة ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الوسيلة العظمى إلى الله لعمر بن الخطاب رضي الله عنه (لاتنسانا يا أخي من دعاك) .

واعلم أنا ذكرنا هنا وفيما مر بعض من أخذ عنهم وتتلمذ لهم وزارهم وانتفع بهم من أهل عصره سيدنا العارف البصير والناقد الخبير الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب الترجمة ، ومن تحكم له وتأدب به وتتلمذ له بمجرد صحبة ، ومن زاره وأخذ عنه تبركا وتيمنا بأهل الله ، واقتباسا من أسرارهم وأنوارهم ، وانتفاعا بعلومهم وأعمالهم وملاحظاتهم .، فأما الذي

تحكم له واعتمد عليه واستضاء بنوره وأفاض عليه من أسراره فهو الشيخ الذي إنتفع به أهل النهى والعقول ، وكانت له اليد الطولى في المعقول والمنقول ، والذي ألحق الفروع بالأصول ، وتربى به الأئمة الفحول ، الليث الهمام ، والأسد الضرغام ، إذا عد الرجال في رجاحة الأحلام ، والتصدر في المحافل ورسوخ الأقدام ، في مراتب الإيقان ودرجات الإحسان وحقائق الإسلام ، خليفة والده الذي هو خليفة الله في الأرض في زمانه على الإطلاق ، ومقدم الرفاق ، الشيخ الحسين ابن سيدنا أستاذ الأكابر الواصلين ، وقطب الأقطاب العارفين ، الراقي إلى أعلى مقامات الدين ، الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس باعلوي نفعنا الله بهم .كان سيدنا الشيخ الحبيب الحسين إماما به يقتدى ، وعلما به يستنار ويهتدى ، قصده العلماء وأم نحو حضرته الأكابر العظماء ، لإستمداد بركاته وشمول إمداداته . وكان يكرم الوافدين ويؤنس القاصدين ، وقد تكرر ذكر فضائله في هذا المؤلف نقلا عن حفيده الناشر لواء فضائله وخصوصياته ، الوارث لعلومه وآدابه ، والتوجه لجهاته ، سيدي الحبيب علي بن حسن المذكور ، وإنما القصد في ذكره هنا أنه عمدته من المشايخ ، والمخصوص بالسير الخاص على قدمه الراسخ ، وأنه تحكم له دون غيره من الأشياخ كما قال في سلسلة أخذه الطريق الصوفية :

فإني أدعو في الأنام وأقتدي ... بشيخ الملاء سلطان أهل الحقيقة
حسين أبا الإحسان إنسان وقته ... له راية تعلو على كل رأية
عنيت به العطاس بن عمر الذي ... هو المنتهى لأهل النهى والنهاية

فقد جمع في هذه الأبيات صفات الكمال في جده الشيخ الحسين ووالده اللذين هما الأصلان فيما ناله من طارفة وتالدة ، ثم ذكر بقية من أخذ عنهم وتتلمذ لهم وهم : الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد باعلوي ، والشيخ عبد القادر الجيلاني مناماً ، والسيدين الإمامين القدوتين جده الحبيب عبد الله وجده عم أبيه الحبيب احمد ابني الشيخ الحبيب الحسين بن عمر ، والشيخ احمد بن زين الحبشي ، والشيخ الإمام عبد الله بن عثمان العمودي . وقال بعد ذكرهم :

فإني أخذت اليد من يد هؤلاء وتمت بحمد الله فيهم إرادتي

ثم قال نفعنا الله به :

وزرنا جماعات من المقتدى بهم ولاحت لنا من نورهم رب آية

إلى آخر من تقدم ذكرهم من المشايخ القادات الحضرميين والدوعنيين . ثم قال بعد ذلك :

وعمدتنا الأستاذ مع كل هؤلاء حسين المرجى للعطا والحماية

ثم ذكر أخذ جده الحسين عن والده عمر رأس أرباب اليقين ، وما أحسن ماقاله فيه بالتلميح والتعيين :

فياقمرا بين الحسينين مشرق توالى على الأقطار نور الثلاثة

وهذه القصيدة لو كان في الوقت سعة وفي العمر إمتداد لبلغ شرحها إلى مجلدين كبار كما شرحت كذلك سلسلة إسناد سيدي وشيخي الحبيب الإمام عمر بن عبد الرحمن ابن القطب الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي ، فإنه وقع في مجلدين كبيرين كما مر ذكره ، وكذلك سيدي وشيخي الحبيب شيخ بن محمد الجفري باعلوي نفع الله به له قصيدة

أرجوزة في سند الخرقة العيدروسية القادرية ، وأخرى في سند الخرقة والأخذ عن الآباء والجدود وشرح القصيدتين ، فأما شرح الأخيرة فقد بسط فيه بسطا وأملاه من الفوائد والشوارد ، وسماه (كنز البراهين) وكثير من سادتنا آل أبي علوي لهم قصائد في الإسناد وطريق الأخذ .

ولسيدي الحبيب علي بن حسن نفع الله به صاحب المناقب ، والمنشورة بذكره هذه المطالب ، سلسلة في ذكر الأخذ عن مشايخ الطريق مر ذكرها قريبا ، وأخرى في التوسل بهم . قال رضي الله عنه في أثناء مكاتبة إلى بعض محبيه السالكين المتمسكين بالإنتماء لأهل الطريقة الصوفية : والصادر إليكم هدية ووصلة ووسيلة إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهي القصيدة التي نظمنا فيها إسناد مشايخنا وهو الإسناد الذي زادت به أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الأمم ، وهو حبل الله المتين ، وسلطانه المبين ، وهي السلسلة المتصلة التي من لم يكن له بأهلها علقة ، ولم تتصل منه بها حلقة ، لم يوف الله حقه ، فحقك تدرسها وتحفظها وتتخذها حرزا وكنزا ، وهي التي حققنا فيها بلباس عن من أخذنا عنهم كلمة التوحيد ولباس الخرقةالصوفية والمصافحة وغير ذلك مما هو من ضروريات الإسلام والإيمان والإحسان ، وقبول الأعمال الصالحات ومحو السيئآت ، ورفع الدرجات وهي فصلان ، أحدهما : العدد وهو الذي من الخلق إلى الخالق { **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** }[1] والثاني : للمدد وهو النازل من الحق إلى الخلق { **مايفتح الله**

[1] الآية : ١٠ فاطر

للناس من رحمة فلا ممسك لها ومايمسك فلا مرسل له من بعده }[٢] إنتهى ماذكره سيدي الحبيب علي نفعنا الله به وهو مما يستدل به في هذا الباب ويرغب في الدخول في غمار أهل الطريق ذوي الألباب . وقوله في آخر العبارة أحدهما في العدد ، والثاني في المدد ، والأول من الخلق إلى الحق والثاني النازل من الحق إلى الخلق مستدلا على ماعناه بالآيتين من كتاب الله تعالى . وكلامه رضي الله عنه يشير إلى حالين من أحوال الصوفية وهما حالا الترقي والتدلي ، فأما الترقي فإليه الإشارة بالإسناد وهو الأخذ عن شيخه الأقرب والأدنى ، ثم ذكر مشايخه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجبريل عليه السلام فالتلقي عن رب العالمين وهو المراد بقوله العدد ، وأما قوله المدد وهو التدلي والتوسل بأهل الطريق ، ويبتدي فيه بالفيض عليهم وعلى قلوبهم الأسرار والرحمات وهو الله الوهاب الكريم التواب الرحيم ، ثم بالواسطة العظمى وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم بعلي بن أبي طالب وابنيه سبطي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين ، ثم بزين العابدين إلى آخر الآباء والجدود . وفي الطريقة الشعيبية بعد علي رضي الله عنه وعنهم بالحسن البصري إلى الشيخ شعيب بن أبي مدين ، فالأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي شيخ الطريقة ومعدن الحقيقة ،ثم من بعده إلى شيخه الذي أخذ عنه . وللحبيب علي في هذا المعنى منظومتين الأولى في الإسناد وهي المار ذكرها التي مطلعها :

---

[٢] الآية : ٢ فاطر

سمع سائلي عن سلك إسناد سادتي وأشياخ تلقيني لقول الشــهادة
وعن من لبست الصوف عنهم من الأولى بهم أقتدي في عادة وعـــــبادة
ومن كان تـخريجي به وتـــــأدبي وعنهم بحمد الله صحت قـراءتي
لكتب الشريعة من جميع فــــنونها سماعا وتدريسا ومنهم إجـازتي
فإني أدعو في الأنام وأقــــتدي بشيخ الملاء سلطان أهل الولاية
حسين أبي الإحسان إنسان وقته له رأية تعلو على كل رايـــــة
عنيت به العطاس بن عمـر الذي هو المنتهى لأهل النهى والنهايـة

وأما التي عناها للمدد النازل من الحق إلى الخلق التي قال فيها ، وهذه أم المدد من فضل الله الواحد الصمد فهي هذه :

إلهي توسلنا لنبـــــلغ ســؤلنا ومأمولنا في حق أهل الوسـيلة
بك الله يا من بيده الأمر كله ومنه إبتداء تدبير خلق الخليـقة
بك الله يا من لاسواه إلهنـا له قد عنت وجوهنا بالعـــبادة
بك الله يا من قد عـــلابكماله بأرضيه والسبع الطباق العلـية
بك الله يا من ليس نحمد غيره على نعم السراء وغم الضـــرورة
بك الله يانعم النصير على العدا ويا من هو المولى فعجل بغـارة
بك الله دفع الصائلين ومن عدا علينا ببغي الإعتداء والعـــداوة
بك الله ياذا البطش والقهر والغنا وقوتك العليا وعز وقـــــدرة
نعوذ برضوان وفضل ورحـمة لديك من السخط الوبيل وسطوة
تشفع لنا ياربنا بشـفاعــــــة إليك وعاملـــنا بلطف ورأفـة
وشفع رسول الله فينا وكن لـه سميعا مجيبا في قبـول الشـفاعة

وجبريل والأملاك في الملاء العلا　　تحنن علينا عندهم بالمحـــــبة
وآل رسول الله في البيت والكساء　　ومن ديننا في ودهم والولايـــة

ولولا خوف الإطالة لأوردناهما تيمنا بكلام هذا الإمام ، المنسوج من الحكمة الإلهية وتأسيس أصول وأحكام ، وإشارات إلى معارف وأعلام .

(فصل) قد ذكرنا فيما مر عند إلتماس سيدي الحبيب علي من جده الشيخ الحسين بن عمر نفعنا الله به تلقين الذكر ولبس الخرقة الصوفية ، وأخذ العهد عن الحبيب عبد الله بن علوي الحداد وغيره وصورة ذلك وكيفيته ومايتعلق به ، وأن الحبيب علي ألقا له القياد وحكم جده المذكور على نفسه وطرحها عليه كالميت بين يدي الغاسل كما يشير إليه في منظومة السند في قوله

وعمدتنا الأستاذ مع كل هؤلاء　　حسين المرجا للعطا والحماية

وقال في منظومة أخرى :

ألا ياحسين إستمعنا   لك الخير ياخير هادي
فمها لغيرك رجعنـــا   ولو كان غـوث العباد
ظمينا وجعنا وضعنا   وعدنا على غير زادي

إلى غير ذلك من مشاهده فيه ، وانطوائه في جوانبه ونواحيه . وهكذا شأن المريدين الصادقين حتى يكونوا مرادين مقصودين . قال الشيخ السهروردي في عوارفه : وبين المريد وشيخه أن يتحكم للشيخ في نفسه ، والتحكيم سائغ في الشرع لمصالح دنياوية ، فماذا ينكر لبس الخرقة على طالب صادق في طلبه ويقصد شيخا بحسن ظن وعقيدة يحكمه في نفسه لمصالح دينه ليرشده ويهديه ويعرفه طريق المواجيد ، ويبصره بآفات النفس وفساد الأعمال ومداخل العدو ، ويسلم نفسه إليه ويستسلم لرأيه ويسلطه في جميع تصاريفه . فلبسه الخرقة إظهارا للتصوف فيه ، فيكون لبس الخرقة علامة للتفويض والتسليم ، ودخوله في حكم الشيخ دخوله في حكم الله تعالى وحكم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم . ثم روى حديثا بسنده عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : بايعنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على السمع والطاعة في العسر واليسر ، والمنشط والمكره ، وأن لاننازع الأمر أهله ، وأن نقول بالحق حيث كنا ، وأن لانخاف في الله لومة لائم . ففي الخرقة معنى المبايعة ، والخرقة عتبة الدخول في الصحبة والمقصود الكلي هو الصحبة ، وبالصحبة يرجى للمريد كل خير . إنتهى كلام السهروردي .

وقال الشيخ ابن بنت الميلق الشاذلي رحمه الله في منظومته الشهيرة في السلوك ومايحصل به للمريد من الأسرار بحسن أدبه مع الشيوخ وتوقيرهم بعد أن ذكر شيئا من أخلاقهم وخصوصياتهم قال :

واعلم يقينا بأن الله ناصـــره إن لم تكن ناصراً فاالله يكفيه

وأنزل الشيخ في أعلى منازله واجعله قبلة تعظيم وتنـــزيه

ولست تفعل هذا إن ظننت به نقصا ولا خللا فيما يعانـــيه

واترك مرادك واستسلم له أبداً وكن كميت مخلا في أياديـــه

إلى آخرها . وقال شيخ الشيوخ الأقطاب أبو مدين شعيب ابن الحسين التلمساني في رائيته الشهيرة التي مطلعها :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقراء هم السلاطين والسادات والأمراء

وراقب الشيخ في أحواله فعسى يرى عليك من إستحسانه أثـرا

وقدم الجد وانهض عند خدمته عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا

إلى آخرها . وعليها شرح جامع لابن علان ، وشرح للشيخ علي بن عبد الله باراس سماه (الروضة الخضراء) وقد مرت دلائل التلقين والإلباس وكيفية ذلك والعمل به مستوفاة عند ذكر إلتماس سيدي الحبيب علي نفع الله به لذاك من والده الشيخ الحسين بن عمر رضوان الله عليهم .

ونقل سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في السفينة المسماة (سفينة البضائع وضميمة الضوائع) نحو الكراس في قطع النصف ، مقالات لأهل الطريق في الأدب مع المشايخ المسلكين في طريق الصوفية ، والفقراء الصادقين في التحقيق بمقام المعية . ولنتبرك في ترجمته ببعض مانقله لاسيما في هذا المبحث إتماما للفائدة لاسيما فيما يتعلق وينسب إلى هذا الإمام نقلا

واختراعا ونفعا وانتفاعا . فأول ذلك قال الشيخ محمد بن سهل الصائغ الدينوري رحمه الله : مادخلت قط على فقير إلا فارغا من جميع العلوم والمعارف والأدب أنتظر مايرد عليّ من رؤيته وكلامه ، فإن من دخل إلى شيخ بحظ نفسه إنقطع عن إمداده وربما مقت . ودخل أبوحفص الحداد على الجنيد فرأى أصحابه من الأدب معه كأنما على رؤسهم الطير ، فقال له : أدبتهم بآداب الملوك ، فقال : لأن حسن الأدب في الظاهر عنوان الأدب في الباطن . فقد قال عليه السلام (لوخشع قلب هذا لخشعت جوارحه) وقال ممشاد الدينوري : من دخل على شيخ بحظه إنقطع من بركته . وقال الشيخ إبراهيم بن شعبان : من ترك حرمة المشايخ إبتلى بالدعاوي الكاذبة وافتضح بها . وقال : الشرف في التواضع ، والعز في التقوى ، والحرية في القناعة . وقال الشيخ احمد بن يحيى الجلا : من لم يحفظ حق أستاذه وشيخه لا يكافى في حياة الشيخ لأن له بالمريدين رحمة وشفقة ، بل وينتقم الله منه بعد موت الشيوخ . وقال الشيخ احمد بن عطا الروذباري : أقبح من كل قبيح صوفي شحيح ، ومن تبع طريق القوم إنتفى عنه الشح ، ومن كتب الفقه إنتفى عنه الجهل ، ومن خدم الأولياء بلا أدب هلك . وقال : لكل علم بيان ، ولكل لسان عبارة ، ولكل عبارة طريقة ، ولكل طريقة أهل ، ومن لا أهلية له لاشيء له . وقال ابن نجيد : إذا أراد الله بعبد خيراً رزقه صحبة الصالحين والعمل بما يشيرون به عليه . وقال أبو الخير الأقطع : مابلغ أحد حالة شريفة إلا بلزوم الموافقة ومعانقة الأدب وصحبة الصلحاء وخدمة الفقراء الصالحين . وقال : لايصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله ، ولابدنك إلا بخدمة أوليائه . وقال الشيخ أبوالحسين

بن بنان : لايعظم قدر الأولياء إلا من عظم الله عنده . وقال الشيخ القاسم ابن القاسم النيسابوري : إنما يروض المريد نفسه بالصبر على ألأوامر وتجنبه النواهي وصحبة الصالحين وخدمة الفقراء . وقد قال ابو القاسم بن احمد المغربي : من كمال خلق الفقير أن يحسن خلقه مع عدوه ، ويبذل له المال ، ومن أدبه تصديق المشايخ في كل مايخبرون به من كراماتهم ، وإن لم يصدقهم حرم بركاتهم . وقال جعفر بن محمد بن نصير الخلدي : من لم يحفظ قلوب المشايخ سلط الله عليه كلبا يؤذيه . وقال : عليكم بصحبة الفقراء فإنهم كنوز الدنيا ومفاتيح الآخرة . وقال الشيخ شاه بن شجاع الكرماني : من صحبك ووافقك على مايحب وخالفك فيما يكره فإنما يصحب هواه . وقال : الفتوة من طباع الأمراء ، واللوم من شيم الأنذال ، وماتعبد متعبد بأكثر من التحبب للأولياء لأن محبتهم محبة الله تعالى . وقال محمد بن الحسين بن علي الترمذي : الإستهانة بالأولياء من قلة المعرفة بالله ، وماوصل العبد لمقام إلاوهو محترم لأهل ذلك المقام ، إذ الإخلال بواجب حقهم يطرد عن حضرتهم . وقال أبو سهل الصعلوكي : عقوق الوالدين تمحوه التوبة ، وعقوق الأستاذين لايمحوه شيء البته . وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب الثقفي : لوجمع رجل جميع العلوم ، وصحب جميع الطوائف لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة على يد شيخ ناصح ، فإن لم يلقه وادعى الطريق فدعواه رعونة نفس ، ولايجوز الإقتداء به . فهذه إحدى وعشرون مقالة في هذا المبحث ، مما أثبته سيدي الحبيب علي بن حسن نفع الله به من مقالات الشيوخ في آداب الصوفية وطريق التخلق

بأخلاقهم ، وذلك من نحو مائة مقالة ذكرها في السفينة ونقلها في المكاتبات وعزاها إلى أهلها .

(فصل) إعلم أيها المقتفي لآثار الصالحين الطالب للتخلق بأخلاقهم والتمسك بما سلكوه من المقامات الرفيعة ، وماحلاهم الله به من الأحوال التي كانت لهم إلى رضى مولاهم أقوى ذريعة ، أن سيدي الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة قد هيأ الله له أسباب هذه الآداب بطيب المنابت الطاهرة ، وملاحظة أصوله الجامعين للعلوم الباطنة والظاهرة ، كما قدمنا ذلك في أول نشوءه مع سبق رعاية العناية الأزلية وطهارة الطينة الأولية . فأعظم ما من الله به عليه حسن الظن الكامل ، وقد حصلت له الرياضة

الجامعة للأخلاق الحميدة والأدب بما قدمناه فيما كان عليه في إبتداء أمره وعنفوان شبابه بالمجاهدة التامة في العبادة ، مع الفقر والزهادة وخدمة آبائه وأصوله وغير ذلك مما هو شأن من بايع الله ورسوله ، وحظي بالقبول عند وصوله ، مع مامر ذكره من حسد المعاندين ومزاحمة المماثلين حتى خرج من بلاده ، تاركا لطوارفه وتلاده ، كما قال في بعض قصائده وإنشاده :

وخرجت من بلدي فرارا منهم　　　فلقيتهم خُلقوا بكل بلادي

وله أسوة بجده المصطفى وآبائه الكرام مما يطول الكلام بتعدادهم . وكالشيخ أبي الحسن الشاذلي الشريف الحسيني فإنه أخرجه الحساد من بلده وكتبوا إلى مصر أنه سيقدم عليكم رجل صفته كذا ، ساحر كذاب فلا تصدقوه ولاتغتروا به . وانظروا مافي مقدمة طبقات الأولياء للإمام الشعراوي فإنه أورد وقائع وحكايات في ذكر من أوذي وعودي من الأولياء والعلماء ، وقال في آخره مامعناه : إن الله تعالى يبتلي الأولياء والعلماء بايذاء الحاسدين ومكابرة المتجبرين في البدايات وفي النهايات ، فتنكرهم العامة وتؤذيهم ، وذلك لئلا يعتمدوا عليهم ولايشغلوهم عن ماهم عليه في إقبالهم على الله تعالى واشتغالهم واعتمادهم في مقاصدهم وأنحائهم وحاجاتهم عليه تعالى . هذا معنى كلامه وحاصله وإن أطال الكلام .

واعلم إن ما تقف عليه في كتب سيدي الحبيب علي قدس الله روحه نثراً ونظما من إظهار التألم والشكوى والتوجع بمزاحمة الأضداد وإيذاء المنكرين والحساد إنما هو على ظاهره وفي كلامه وليس هو من مقامه ، بل هو الجبل الذي لاتزعزعه عواصف الرياح ، ولاتنفذه جوائح الرماح ،

ولاتزعجه صوائح المساء والصباح ، وإنما يجري ذلك منه على وجه التسلي وليكون لغيره التأسي ، وذلك مما يشهده له بالكمال ، وأنه بلغ مبلغ الرجال الموصوفين بالصبر والإحتمال ، فإنه إنما يؤذي ويعادي من رسخ قدمه في مقامات الإيمان واليقين من الأنبياء والمرسلين ، والعلماء الراسخين ، والأولياء العارفين . ولعل مايظهره من ذلك خوفا من مفسدة عظيمة نَبّهَ على مفسدتها العلماء بالله تعالى ، وهي أنه إذا إنتقص أولياء الله والعلماء بالله نفرت العامة منهم وبعدوا عنهم ولم يقبلوا دعوتهم وتعليمهم . ولهذا فارق حكم غيبة العلماء غيرهم بأنها تكون كبيرة لما ذكر من الفساد والهلاك . فقد نقل الإمام الشعراوي في العهود المحمدية عن بعض العلماء أنه قال : من قال هذه عُميمة عالم بالتصغير تحقير له كفر ، لإستهزائه بهم وتحقيره لهم . واعلم أن سيدي الحبيب علي نفع الله به له كلام فيمن إعتقد بعض الأولياء وأحبه وأساء الظن بغيره أو أبغضه ولو واحدا منهم ، فإنه لايفيد ذلك كما نقله بمعناه الإمام الشعراوي عن الشيخ علي الخواص قدس الله روحه أنه قال : من ظن أنه ينال حظا من الله تعالى لقرابته من أولياء الله تعالى مع عدم صلاحه ومخالفته طريقتهم ومع إساءة أدبه مع أحد منهم فقد كذب في زعمه ، فكما تجب محبة الرسل كلهم وإن إختلفت شرائعهم فكذلك الأولياء تجب محبتهم كلهم وإن إختلفت طرائقهم ، وكما أن من آمن بالأنبياء والمرسلين إلا واحداً منهم لغير طريق شرعي لاتصح محبته ولايفيده ذلك الإعتقاد شيئا ، وذلك لأن الرسالة لا تتبعض كما هو الأمر في التوحيد فإنه لايقبل الإشتراك أبداً ، وطريق الولاية التي يأمر بها الأشياخ مريدهم هي طريق الرسالة التي يأمر بها الرسل أممهم ، فليس عند الأولياء تشريع من

قبل أنفسهم ، وجميع مايدعون به الناس إنماهم نواب للرسل عليهم الصلاة والسلام لأنهم الذين أثبتوهم ، فمن رد دعوة ولي فقد رد دعوة نبي وذلك كفر فاحذر ذلك . إنتهى كلام سيدنا على الخواص .

واعلم أن سيدي الحبيب علي قدس الله روحه بعد وفاة جده وشيخه الحسين بن عمر نفعنا الله بهم وقد حصل له منه الفطام المعروف عند الصوفية واستقل بنفسه ، ومعنى ذلك أنه يصير الولي المستقل بنفسه بحيث أنه لايشغله الخلق عن الحق وعكسه ، وذلك مقام الدعوة إلى الله والوراثة لرسل الله . وحصل له في بلده ما مرت الإشارة إليه في بيت القصيدة في قوله : وخرجت من بلدي فراراً منهم . إلى آخره . أتى إلى بلد الهجرين الشهيرة بالعلم والعلماء ، فأقبل عليه أهلها ، ونصب نفسه للتدريس ونفع الخاص والعام ، فتوجه لأخذ العلم عليه الجم الغفير ، وبذل لهم نفسه ونفائس أوقاته رغبة في نشر العلم الذي ساوى مداد حملته دم الشهداء . قال رضي الله عنه : فخطر في بالي ذات ليلة أنه لم يحصل لي ماحصل للسلف من الحسد والإنكار ، فلما كان صبح تلك الليلة تغير أكثر الجماعة الذي يحضرون عندي الدرس . هذا كلامه ذكره في السفينة ، وإليه يشير في بعض قصائد الديوان وهي التي يقول فيها :

بني مغراه قلبي وحل ياأهل المعاني وصبري من شغوبي كمل والجسم ضاني
وفكري حار في وقتنا وقت الشواني من أصحبته وبالغت في وده جفاني
ومن شنفت له كاس حلوى صرف هاني جزالي في الجزا من حدج خس المجاني

ومن شيدت حصنه بيدي واللساني هدم ما قد تقدم برجله من معـــاني
زمان العق فيه إبتذل والبر فـــاني ولو عديت ذي دارسوني في المثـــاني
ودرسوا عندي العلم واستسقوا دناني حسبت آلاف رجعوا لحسادي عـواني
ولكن حسبي الله وتدبيره كفـــاني إليه إرجع ومنه الفزع والكل فـــاني
وصلى الله على المصطفى طه اليماني محمد جدي الهاشمي قرشي كنـــاني
عليه الله صلى عدد ماسب شـاني وعد أهل الحسد والعـداوة والشواني

وسيأتي في الباب الثالث في شرح القصيدة زيادة نقل فيما نال هـذا الإمام وأمثاله من سلفه السابقين واللاحقين ومن غيرهم من العلماء بالله والأولياء لله ممن أنكر فضائلهم وما من الله به عليهم من الخصوصيات والأحوال والمقامات .

سمعت سيدي الوالد رحمة الله عليه يقول : كنت أتردد على سيدي الحبيب علي عند قدومه إلى وادي دوعن أنا وصاحب لي من أهل العلم ، فكنا إذا جلسنا معه كان يقرأ ذلك الرجل على سيدي الحبيب علي في كتب الحديث والرقائق وغير ذلك ، فإذا خرجنا من عنده قال هذا الحبيب علي بحر من العلم وأما الولاية فلا أدري إنه ولي ، قال الوالد : فكنت إذا أتيت الحبيب علي منفرداً عن صاحبي قال : ياسبحان الله صاحبك الذي يأتي معك إذا قبضت على قلبه وجدته كالحجارة . نعوذ بالله من غضب أولياء الله . وقد نص الله تعالى على ذلك في قوله { **ثم قست قلوبكم فهي كالحجارة أوأشد قسوة** }[1] الآية . وقد سئل الشيخ

[1] الآية : ٧٤ البقرة

الفقيه علي بن علي بايزيد الدوعني عن رجل حلف بالطلاق إن قلبه أقسى من الحجر ، فأجاب أنه لايحنث ولاتطلق زوجته مستدلا بالآية المذكورة .

وسمعت سيدي وشيخي الحبيب عيدروس بن عبد الرحمن البار باعلوي قدس الله روحه يقول ويحكى عن الحبيب علي نفعنا الله به أنه حضر الجمعة بمسجد جامع الخريبة فاستنابه الخطيب يصلي بالناس فكان المقتدون به يرونه متوجها إلى القبلة ، وبعض الفقهاء يرونه متوجها إلى المشرق وظهره إلى القبلة ، وكان سيدي الحبيب عيدروس يتعجب من ذلك . ويظهر من كلامه إستشكال صحة صلاة الفقيه المذكور .

(قلت) وهذه من الخوارق التي يجري مثلها على أيدي أوليائه ، ولعل الفقيه المشار إليه من المنكرين أحوال سيدي الحبيب علي نفعنا الله به الآتي ذكر شيء منها . وأما حكم إقتدائه به والحال ماذكر فصلاته باطلة أخذاً بالظاهر ولها نظائر ، منها ما سئل عنه الفقيه علي بايزيد أيضا ، وصورة السؤال : أنه لدغ رجل في نهار رمضان فاحتيج إلى الرقية ، ومعلوم أن الراقي يشلا العضو الملدوغ ويمص الدم ويرى أنه يزدرده ، وأن الجني يلتقي ذلك لأنه لو سقطت منه قطرة في جوف الراقي لضرته ، فأجاب : بأن الراقي يفطر بذلك لأن العبرة بما نراه في الظاهر لأنه يزدرده ويدخل جوفه . وعلى هذا لايصح إقتداء الفقيه المذكور والحال ماذكر وصلاته باطلة كما مر . وأما كون الحبيب علي نفع الله به صار له وجهان في جسم واحد ووقت واحد فذلك من كرامات الأولياء ، كما إن الولي قد يرى متصورا في صور متعددة كما حقق ذلك الإمام السيوطي رحمه الله في رسالة سماها (القول الجلي في تعدد الولي) .

(فصل) يتعلق بأمور يعود تفصيلها وإجمالها إلى مافي الفصل الذي قبله : إعلم أن سيد المسلمين حجة الإسلام الغزالي قدس الله روحه في كتاب آفة الغضب والحقد والحسد عقد بيان أسباب الحسد وقسمها إلى سبعة أقسام أودوائر بين الحاسد والمحسود . ففهمت من حال سيدي الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به أن ماتعلق به من الحسد في بلده وغيرها من سببين من الأسباب السبعة المذكورة ، أحدهما في المحسود :

وهو وجود الفضيلة فيه والتميز على غيره من العلم والمعرفة والعبادة ، ومايلتحق بذلك فقال في السبب الثالث : أن يكون في طبعه أي الحاسد أن يتكبر عليه ، أي على المحسود ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الإنقياد له والمتابعة في أغراضه ، فإذا نال نعمة خاف أن لايحمل تكبره ويترفع عنه وعن متابعته ، وربما يتشوف إلى مساواته أوإلى أن يترفع عليه فيعود متكبرا بعد أن كان متكبرا عليه ، ومن التكبر والتعزز كان حسد أكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم ، وكيف نطأطي له رؤسنا { **وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم** }[1] أي كان لايثقل علينا أن نتواضع له ونتبعه إذا كان عظيما . وقال تعالى يصف حال قريش { **أهولاء من الله عليهم من بيننا** }[2] كالإستحقار والأنفة .

واعلم أن ما حصل لسيدي الحبيب علي نفعنا الله به من الحسد من إبتداء أمره إلى إنتهائه ، له أسوة في ذلك برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، بل وسائر الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين من سلفه وغيرهم كما يأتي ذلك مبسوطا في الباب الثالث في شرح المنظومة عند قوله رضي الله عنه :

ولولا الله قال لجـــــدنا قل   لما قلنا لمناع وقــــــالي
خذ العفو واعرف المعروف حقا   وصل قوم القطيعة بالوصالي

[1] الآية : ٣١ الزخرف
[2] الآية : ٥٣ الأنعام

ولما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ رأوه يُقرّب فقراء المهاجرين صهيباً وبلالا وخُبيباً قالوا له أهولاء من الله عليهم من بيننا ؟ فأنزل تعالى { **أليس الله بأعلم بالشاكرين** }[3] يعني أنهم سبقوا إلى الإسلام وآمنوا بالله ورسوله وعملوا بحقائق الإسلام قبلكم فاستحقوا التقديم عليكم والقرب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولاكل سابق تحقق بمزية علم أوولاية كما حقق ذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه في كتاب الحسد من الإحياء ، قال : إن الحسد لايجري إلا بين المتماثلين المتزاحمين على الأغراض ، كالأخوة والأقارب والعلماء مثلا والتجار من كل مايزاحم على جاه أومال ، بخلاف ما إذا تفرقت أغراضهم ، فإن العالم لايحسد التاجر والمحترف ولاعكسه ، وذلك لأن المتماثلين المتزاحمين على شيء واحد بقدر مايحصل الإقبال على واحد ينقص على الآخر ، ومهما إمتلاء قلب شخص بتعظيم عالم إنصرف عن تعظيم الآخر أونقص منه لامحالة ، فيكون ذلك سبب للمحاسدة . ولهذا لوكان العالم لايلتفت إلى الجاه والمال لايحسد غيره على العلم ، إذ العلم ليس له نهاية ولاغاية ، وإذا وقع في قلب شخص لا يرتحل عن قلب الآخر ، بخلاف المال فحينئذ لامزاحمة بين العلماء إلا لغرض الجاه والمال ، فمن عوّد نفسه الفكر في جلال الله وعظمته وملكوت أرضه وسمائه صار ذلك عنده ألذ وأطيب من كل نعيم ، ولم يكن ممنوعا عنه ولامزاحما فيه ، فلايكون في قلبه حسد لأحد ، فجنة المعرفة كجنة النعيم الموعود بها في الآخرة . قال تعالى { **ونزعنا**

---

[3] الآية : ٥٣ الأنعام

مافي صدرورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين }[1] فهذا حالهم وهم بعد في الدنيا . ومن هذا المعنى لايكون في الجنة محاسدة لأن الجنة لا مضايقة فيها ولامزاحمة ، ولاتنال إلا بمعرفة الله تعالى . هذا حاصل ماذكره الإمام الغزالي من كلام طويل . وبه تعلم أن سيدي الحبيب علي بن حسن نفع الله به بلغ هذا المقام وانتهى إليه ، وأنه نتج أحوالا ثلاثة ! الأول : أنه رضي الله عنه كان متأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أن يكون سليم القلب على جميع المسلمين فإنه صلى الله عليه وآله وسلم ينهي أصحابه رضي الله عنهم عن أن يبلغه أحد عن أحد مايكره ليخرج عليهم وهو سليم الخاطر على جميعهم .

ودليل إتباع سيدي الحبيب علي نفع الله به لجده صلى الله عليه وآله وسلم ماكتب به إلى بعض محبيه قال من أثناء مكاتبة : نعم ياولد عبد الرحمن أنت وكافة الأولاد والمحبين نطلب من الله ومنكم الجميع إذا سمعتم كلمة فينا أوفيكم حفية لا تبلغوها إلينا ولاتكشفوا عورة قائلها لدينا ، فإنها مثل الخرية التي يطرحها مولاها في خدود ، والذي يبلغها وينقلها مثل من يشلها بيده ويبلغها إلى من قالها فيه ، فما بلغ المكروه إلا من نقل ، واعلم أنا جعلنا كل قائل في حِل وتصدقنا بعروضنا على من إشتهاها :

واستوى عندي المادح ومن كان يعذل   يهذي أوبايجور أويسكت أوبا يضول

مامعي فرق بين الخل واللي يخلل   *والذي قد رضي فعلي ومن هو مشهول*

والمناصر ومن عادى وقادا يخذل   لا بذا افرح ولانا بالمناوي معـــــول

---

[1] الآية : ٤٧ الحجر

غير جمله قطعنا البيع والله يجمل صافي الصدر ماعندي على من غلا غل

قوله نفع الله به : قطعنا البيع ، أي عقدنا مع الله عقدا أنا لانكافي من أساء إلينا إلا بالإحسان ، والله يجمل ، أي نرجوه يثيبنا على ذلك ، وقوله : صافي الصدر ، يحقق ماذكرناه عن الغزالي فاستحضره في معنى هذا البيت . وانظر إلى قوله : وتصدقنا بعروضنا على من إشتهاها ، فبه تعلم أنه رضي الله عنه بالمقام الذي ذكره ، وقد تحقق به . ففي ذلك التأسي بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ قالوا يارسول الله وما أبوضمضم ؟ قال : كان إذا أصبح تصدق بعرضه على من تعرض له) .

وقوله كلمة جات من غير عَمَدْ وعلى غير تأمل ، أي بغير تأمل تنزلا منه للناس بما يفهمونه للحديث وعدم التعقد لإستعمال الكلام الفصيح مع من لايفهمه ، فربما يكون ذلك من التنطع المذموم ، وإذا احتاج إلى ذلك إستعمله كما حكي أنها عرضت كلمات من غريب اللغة تكلم بها الحبيب علي على شيخ مشايخنا الشيخ محمد بن ياسين باقيس نفع الله بهما فقال الحبيب علي بن حسن كله قاموس ، إشارة إلى إتساعه في اللغة ، الثاني أنه رضي الله عنه لايريد أن يعلم القادح أنه بلغه كلامه أوفعله فإن ذلك يزيد المبغض جراءة وعنادا . وفي كلامه إعتذارا للقائل كما هو شأن كرماء النفوس وأصحاب العقول والقلوب كما لايخفى ذلك من سيرهم كما ورد : (المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يتتبع العورات) وقيل : طريقة العارفين الإعتذار عن المعايب ، وطريقة المنافقين تتبع المثالب . فإن قلت إن الحبيب علي قدس الله روحه لما سمع أبيات الرياشي الآتي ذكرها تؤمي

إلى الإعراض عما كان من بني أمية في بني هاشم من العقوق والظلم لما كان لهم من الحقوق معتذرا لهم لأن من هو فيهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عملا بقوله عليه السلام (إذا ذكر القضاء فامسكوا ، وإذا ذكروا أصحابي فاسكتوا) وقوله (لاتسبوا أحداً من أصحابي) وقوله (من حسن إسلام المرء تركه ما لايعنيه) (قلت) أبيات الرياشي جرت منه على هذا الوجه ، وأما رد سيدي الحبيب علي على الرياشي فعلى وجه الحمية على الأقربين والغيرة على الدين ، لأن الأمور التي جرت ووقعت من بني أمية على بني هاشم أمور فضيعة ووقائع تكعها النفوس وتشيب منها الرؤس ، فما كان منها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فينزل على الإجتهاد ، والمصيب منهم مأجور والمخطي مغفور ومتجاوز عنهم كما ذلك اللائق بأحوالهم وبمن تشرفوا بصحبته كما جرى على ذلك إجماع علماء السنة وقرروه في محاله ، وأما ماكان من غيرهم فينزل على الظلم والعدوان والسعي في الأرض بالفساد ، وفاعله آثم مأزور . وأبيات الرياشي الفضل ابن عباس بن الفرج الرياشي رحمه الله تعالى هي قوله :

لعمرك إن في ذنبي لشغلا … بنفسي عن ذنوب بني أميه

على ربي حسابهم تناهى … إليه علم ذلك لا إليه

وليس بضائري ماقد أتوه … إذا ما الله أصلح مالديه

فلله دره من شاعر حكيم مجيد ، إقتصد في القول السديد . وأما أبيات سيدي الحبيب علي التي رد بها عليه ، على الوجه الذي يحسن منه ولديه ، فهي هذه ، وقد أجاد في ذلك وأحسن ، مبرأ عن إتباع الظن ،

بل ظهور عدوان أولئك كالشمس في رابعة النهار ، وليس في الإعتذار لهم طريق إلا العناد والحسد والإستكبار ، إلا من إعتذر لكاتب وحي الرحمن ، معاوية بن أبي سفيان ، ومن وافق إجتهاده من أصحاب الرسول ، فالتأويل لهم مقبول ، رضوان الله عليهم أجمعين .

ألا قل للرياشي قد بدا ما ... لديك اليوم فاسمع ما لديه
تقول بني أمية كنت فيهم ... على الحالين في حكم السويه
ولك شغل بنفسك عن جناهم ... على الأشراف من جرم وسيئه
فذاك الجهد منك وكل ظرف ... بما هو فيه ينضح من خبيه
فلم يعنوك ذاك الجهد منهم ... ولم تصلى بهاتيك البليه
ولو قتلوا أباك لكنت قاضٍ ... بأخذ الثار في تلك القضيه
ولكن الأولى قتلوا سواكم ... بنوا الزهراء بدور الهاشميه
فلم يحرق حشاك الكي منهم ... كأنك لم ترى ماكان كيه
ولم تبغضهم في الله حقاً ... كما بغض النبي للشرفيه
ولم تنكر من المنكور نكراً ... بيد ك واللسان ولا الطويه
وقد مات النبي على قلاهم ... هم وثقيف ثم الحنفيه
وقد بغضوا عليا خير حبر ... وقد ظلموه ظلم الجاهليه
وآيات النفاق تلوح فيهم ... ببغض المرتضى خير البريه
فمالك لا تبوح ببغض قوم ... رضوا بالعار في حب الدنيه
وشقوا بالإمام ونازعوه ... وليسوا للمقام بآهليه
أليس الحب والبغضاء جميعا ... لوجه الله من أهل التقيه
فلو كنا حضوراً حين ظلوا ... ضربنا رؤسهم بالمشرفيه

مع الجيش الذي فتح الصياصي وزلزل بالحصون الخيــــبريه
وكان به الإمام مع بنــــــيه حسن وحسين وابن الحنفيه
وعبد الله بن عباس فـــيهم خزانة عـلم الأسرار الخفيه
وعمار ابن ياسر واهل بـدر وقد قاموا مع الهـادي بنـيه
ويكفينا علي ذو المعــــالي هو الهادي على حكم السويه
ولي الله والإسلام يــــؤتي زكاته في الصـــلاة مع بنـيه
وقال الله في نص المقـــاري لهذا القول آيات جلـــــيه
وقال محمد من كنت مــولى له فعلي بلا شك ولــــــيه
هو البدر المنير بغـــير لبس أجل حق هو الشمس الضحيه
وهل يمتار فيه وينتقصــــــه ويبغضه سوى القوم الغـويه
سألت الله يرزقــــني ولاه مع الحب المكـين مع المعـيه
كما قال ابن عباس بهــــذا وحسبي بالـولي ذا الألمعـيه
وواليت الإلـه وناصـــــريه وعاديت المعادي بالعـــديـه
وقلت الله حسبي ثم حسـبي محمـــــد والولي حيدر ولـيه

****

الثالث ، أي من أحوال سيدي الحبيب علي بن حسن رضي الله عنه التي يعامل بها من تحامل عليه بالبغضاء من الحساد ، وأحرصهم على ذلك الأمثال والأضداد ، فإنه كانت له الوراثـة التامـة أيضا في مقـابلة من آذاه أوتعدى عليه ، بالرحمة ولين القول مع المؤاسـاة والدعـاء له ، كما ذلك من أخلاقه صلى الله عليه وآله وسلم مع أجلاف العرب والمنـافقين مما هـو مذكور في محله ، ومعروفا عند أهله ، فلا نطيل بنقله . وخلفه على ذلك

من أصحابه الخلفاء الراشدين ، والسبطين وزين العابدين ومن بعدهم الذين قاموا بحق الدين ، ومن غيرهم العدد الذي لا ينحصر من التابعين ، ومن في رسالة القشيري وتواريخ آل أبي علوي . ومن أكابرهم جده القطب المكين الذي يقول فيه حسبما حكى أحواله في القرطاس فإنه قال على وجه المبالغة والإشارة إلى كثرة من يحسده ويبغضه : أستغفر الله ، أولآ إله إلا الله عدد بغضاء عمر بن عبد الرحمن العطاس ، ومع ذلك فإنه ممن دفن نفسه في أرض الخمول ولم يلتفت إلى تربية جاه ولاجمع مال ، من كل مايعد من الفضول . وهكذا شأن أولياء الله لايجعلون مساعيهم إلا في مراضي الله والرحمة بعباد الله وإن أساؤا إليهم . ففي رسالة للإمام السيوطي نفعنا الله به سماها (الغبي في تبرئة ابن عربي) قال :

وحكى لي الشيخ عبد العزيز أن شخصا بدمشق فرض على نفسه أن يلعن ابن عربي في كل يوم عقب كل صلاة عشر مرات ، فاتفق أنه مات وحضر ابن عربي جنازته مع الناس ثم رجع وجلس في بيت بعض أصحابه وتوجه إلى القبلة ، فلما جاء وقت الغداء لم يأكل ، ولم يزل على حاله متوجها يصلي الصلوات ويتوجه إلى بعد العشاء الأخيرة ، فالتفت وهو مسرور وطلب الطعام ، فقيل له في ذلك ! فقال : إلتزمت مع الله تعالى أن لا آكل ولا أشرب حتى يغفر الله لهذا الذي كان يلعنني ، فبقيت كذلك وذكرت له سبعين ألف من لآ إله إلا الله وأرانيه قد غفر له . إنتهى .

فهذا شأن العارفين بالله الراحمين لعباد الله برحمة الله التي وسعت كل شيء . وفي الحديث (الراحمون يرحمهم الرحمن) وهم الوارثون للقائل

(اللهم اغفر لقومي فإنهم لايعلمون) وقد أصغا الإناء للهرة لتشرب منه ، وشفاعته ودعوته من الرحمات المدخرة يوم القيامة الخاصة بالمؤمنين ، فما أعظم ما وصف به من قوله تعالى { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** }[1] صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

وسيأتي في الباب الثالث في شرح القصيدة مافي الإيذاء والحسد للأولياء والعلماء في شرح قول سيدي الحبيب علي رضي الله عنه :

ولو لا الله قال لجدنا قل　　　لما قلنا لمنَّاع وقالي

*****

(فصل) نذكر فيه بعض مايتعلق بأحوال سيدي الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة وهو لمعتقديه والمنتسبين إليه من أهم المطالب ، ليعلم الواقف على ذلك قول الشيخ ابن عطاء الله : أولياء الله عرائس ولايرى العرائس إلا المحرمون . (بفتح الراء) أي لايعلم ما تتصف به العروس إلا محارمها . ولهذا قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الله تعالى . أي لأن دلائل معرفة الله وبراهين آياته ظاهرة باهرة ، وأما الولي فليس له من الدلائل إلا إشراق نور الإيمان واليقين على باطنه وظاهره ،

[1] الآية : ١٠٧ الأنبياء

ولايعرفه إلا مثله بالنور المبين . قال الإمام السيوطي في الرسالة السابق ذكرها : قال اليافعي في الإرشاد : إجتمع الشيخان العارفان الإمامان المحققان الربانيان : الشيخ شهاب الدين السهروردي ، والشيخ محي الدين ابن عربي رضي الله عنهما ، فأطرق كل واحد منهما ساعة ثم افترقا من غير كلام ، فقيل لإبن عربي ماتقول في الشيخ شهاب الدين فقال : مملوء سنة من قرنه إلى قدمه ، وقيل للسهروردي ماتقول في الشيخ محي الدين ؟ فقال : بحر الحقائق . إنتهى .

وحكي أن الشيخ شهاب الدين السهروردي المذكور وكان أمير الطريقين ، وشيخ الفريقين ، قصد قضيب البان وكان من المولهين ، فلما أقبل عليه كشف عورته فقال له : لايصدنا هذا عن زيارتك .

ومن أحوال سيدي الحبيب علي رضي الله عنه الدالة على الوراثة النبوية ، وكمال الإنسانية والرجولية ، أنه كان مكثرا من التزوج وهو مما تنكره العامة وتحط عندهم من قدر المكثرين منه ، وذلك من مقاصد الأولياء الصحيحة ، لأن الخاصة من الصفوة في الولاية يتباعدون عن كل ماهو وصف الربوبية ، ويتظاهرون بما هو وصف البشرية والعبودية . سمعت بعض الآخذين عن سيدي الحبيب علي بن حسن رضي الله عنه يقول : كنت أتردد إليه مدة إقامته في بلد الهجرين وغيرها فأراه يستغرق الليل في مطالعات الكتب من جميع فنونها ، وكان يحن عند مروره فيها ، فإذا أعيا وتعب مسح على عينيه وأنّ ، فقلت له في بعض الليالي مباسطا له وأنت ياكذا كذا مرادك تقسم نفسك بين العلم والعبادة

والنساء ؟ فقال لي : أما النساء سيبتليك الله بأكثر مما ابتلاني به . قال : فتزوجت بنحو ثمانين إمرأة .

وقد حكى القرآن أن لنبي الله داود عليه الصلاة والسلام من النساء تسع وتسعون ، ووفا المائة بزوجة وزيره بعد ان قتل مجاهدا . وورد انه أتى على جميعهن في ليلة واحدة . ولرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسع نسوة وقد يدور عليهن في ليلة واحدة . وفي كتاب النكاح من الإحياء للغزالي قال فيه : أن النكاح فيه ترويح النفس وإيناسها بالمجالسة والنظر ، وفي المداعبة إراحة للقلب وتقوية له على العبادة. قال : ولقد كان صلى الله عليه وآله وسلم مع تسع من النسوة متخليا لعبادة الله تعالى . فكان قضاء الوطر في حقه غير مانع . وكان سفيان بن عيينه رحمه الله يقول : كثرة النساء ليس من الدنيا ، لأن عليا رضي الله عنه كان أزهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان له أربع نسوة وسبع عشر سرية . قال وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لايكاد يخلو من إثنتين أوثلاث ، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال : هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة ، أووقف بين يدي الله موقفا في معاملة فخطر في قلبه خاطر شهوة ؟ فقالوا : يصيبنا كثير من ذلك ، فقال : لورضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقت واحد لما تزوجت لكني ماخطر على قلبي خاطر يشغلني عن حالي إلا أنفذته لأستريح منه وارجع إلى شغلي ، ومنذ أربعين سنة ماخطر على قلبي معصية .

وأنكر بعض الناس حال الصوفية فقال له بعض ذوي الدين : ماالذي تنكر منهم ؟ قال : يأكلون كثيرا ، قال وأنت أيضا لوجعت كما يجوعون لأكلت كما يأكلون . قال : وينكحون كثيرا . قال : وأنت أيضا لوحفظت عينك وفرجك كما يحفظون لنكحت كما ينكحون . إنتهى . من الإحياء .

وقد رأيت منقولا بخط سيدي وشيخي الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير عبارة منقولة عن المنن الكبرى للشعراوي نفعنا الله به : قال بعض العارفين : لايفتح على سالك قط إلا من باب الإكثار من النوافل ، فإنه لايتقرب بها خوفا من الله تعالى وإنما ذلك محبة له جل وعلا ، فقال وأعظم النوافل الإكثار من النكاح لما فيه من الإزدواج والإنتاج ، فيجمع العبد فيه بين المحسوس والمعقول فلايفوته شيء من العلوم الصادرة من حضرة الباطن والظاهر ، فلذلك كان إشتغال العبد بنوافل النكاح أتم وأقرب لتحصيل مايرومه ، وكان محبوبا لله تعالى ، ويصير قلبه عرشا لإستواء الحق تعالى عليه باقامة العلوم ، وسماء للنزول وكرسيا لظهور أوامره ونواهيه ، فيضم له من علوم الكرسي مالم يكن معه مع أنه كائن فيه . وهذه الطريق من أجدى الطرق وأقربها على السالكين . إنتهى .

ويتبين معنى هذه الرموز والإشارات مما ذكره الإمام الغزالي قدس الله روحه في الفائدة الثانية من كتاب النكاح من الإحياء قال : (تنبيه) يتعين الوقوف عليه : وهو أنه ينبغي لكل مؤمن أن يعلم أن الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم وكُمّل ورثتهم من العارفين بالله أنه لايسلك بهم

في الأعراض البشرية كالنكاح مسلك غيرهم من المحجوبين بالشهوات ، النازلين فيها منزلة البهائم ، واعتبر ذلك بما حكي عن السيد الجليل أبي الغيث بن جميل قدس الله روحه وذلك أن بعض مريديه رآه في مقام عال ، ثم رآه نزل عنه ، فأخبره بالرؤيا فقال له لا أعبرها لك حتى ترى رؤيا ثالثة ، فمكث سنة لم يره ، ثم رآه بعد ذلك وأنه عاد إلى مقامه الأول ، فأخبره بالرؤيا فقال له تأويل ذلك أني دنوت من أم الفقراء يعني زوجته فقبلتها بغير نية فنزلت عن مقامي الأول حتى جاهدت نفسي فعدت إليه . فهذا معنى الحكاية . فهذا يظهر لك أن الأولياء كالأنبياء لايسلك بهم ولايقاس عليهم غيرهم في العادات الدنيوية والشهوات النفسانية ، وذلك لأن الأنبياء معصومين ، والأولياء محفوظين عما لايليق بمقاماتهم وأحوالهم ، لأنه قد إرتفعت عن سرائرهم الحجب الظلمانية ، وامتلأت بالأنوار والأسرار الربانية ، ولقوة ذلك من أسرارهم لايدنو منها الشيطان ، وذلك لأنهم ضيقوا مجاريه بالجوع وطردوه بالذكر وغاظوه بالعمل بالحق والقول به . كما ورد (ماسلك عمر فجا إلا وسلك الشيطان فجاً غيره) .

وفي حاشية ابن علان على الأذكار عند قوله عليه الصلاة والسلام (يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا نام ثلاث عقد ، فإذا إستيقظ وذكر الله إنحلت عقدة ، فإن توضأ إنحلت الثانية ، فإذا صلى إنحلت الثالثة . ثم أورد الحكاية المشهورة عن إبراهيم ابن أدهم رضي الله عنه وهي : أنه كان نائما في بعض المساجد ورجل آخر يصلي ، فأراد بعض أهل الكشف والنور دخول المسجد فإذا هو بالشيطان واقف على باب المسجد نحيف الجسم باكيا ، فقال له : مابالك واقفا هنا فقال : إني أريد الدخول أوسوس

لهذا المصلي ويمنعني نفس ذلك النائم . قال ابن علان : فهل ترى الشيطان يعقد على قافية مثل هذا السيد ؟ أقول لا لقوله تعالى { **إن عبادي ليس لك عليهم سلطان** }[1] هذا معنى الحكاية . فاعتبر أيها المؤمن في جناب سيدي الحبيب علي صاحب هذه الترجمة نفع الله به فيما مر وفيما سيأتي ، فهذه الأحكام والمشاهد تعد عليك صلات العوائد ، وحسنيات الفوائد ، وتكون بمحبتك للمحبين لله محبا لله رب العالمين .

الثاني من أحوال سيدي الحبيب علي رضي الله عنه أنه كان يستروح في بعض الأحيان ومع بعض الأشخاص بالمزح والمداعبة ، وذلك لكونه أيضا وارثا لجده عليه الصلاة والسلام ، لأنه يمزح ولايقول إلا حقا ، وذلك مما يخفف عند بعض العوام أبهة الحشمة والتعظيم في الصدور ، وذلك أمر مقصود عند الصوفية وعليه مدار عبوديتهم ، فإنهم يتباعدون عن كل وصف فيه مشاركة الرب تعالى من العظمة والعزة والكبرياء ، ويميلون إلى كل ماتنحط به مراتبهم بحيث لايخل ذلك بمقصودهم من الدعوة إلى الله وإرشاد عباد الله والسعي في تآلفهم بالمطايبة والمنادمة والتنزل معهم فيما هم فيه ، كما ذلك شأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أصحابه رضي الله عنهم ، فإنه مأمور في دعوتهم إلى الله بالحكمة ومعاملتهم بالرحمة . وقد عدوا هذا الحال من شأن ذوي القلوب المنيرة الهينة اللينة . قال الشيخ محمد بن عبد الله العيدروس في كتابه المسمى (أيضاح أسرارعلوم المقربين) ماوهب الله لعبده مثل قلب هين لين . لأن من

[1] الآية : ٤٢ الحجر

القلوب قلوبا قد جبلها الله تعالى بمشيئته قريبة من الخير بعيدة من الشر ، فهي بجبلاتها تناسب الخير وتتصف به ، وهي هذه القلوب اللينة المنورة الرحيمة ، التي تحب الله تعالى وتحب خلقه ، لأن من أحب الصانع أحب صنعته ، فأصحاب هذه القلوب هم أهل القرب من الله تعالى ، وبينهم وبين أعمال البر مناسبة أكيدة ، فإذا راموا الخيرات تسهلت لهم للمناسبة التي بينها وبينهم .

ومن أنسب أصحاب هذه القلوب إلى الصفة التي في الكتاب العزيز { **يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء** }[1] فأصحاب هذه القلوب هم المرادون بقوله تعالى فيما أنزله في الكتب السالفة (إن السموات والأرض لم تطق أن تحملني وضقن أن يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين) فهذه القلوب هي أوطان الأسرار الإلهية ، ومعادن العلوم الربانية . ثم ساق كلامه إلى أن قال : فَقَلّ أن ترى رجلا من رجال الحق تعالى إلا وهو ذوقلب رقيق ، فعلامة صاحب القلب الرقيق ميله إلى الدعابة لخفة روحه ولطف سجيته . ويستدل على صاحب القلب برقة ماء وجهه . ومن شأن هذا الإنسان أن يكون سهل الخليقة لين العريكة بساما ضحاكا . وهذا القسم من الناس هم أكثر أهل الجنة ، لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (حرمت النار على الهين اللين السهل القريب) فأعمال هذا الجنس من الناس تكون أعمالا حسنة للمناسبة التي بين قلوبهم وبين الخيرات ، لأن رقة القلب معينة

---

[1] الآية : ٣٥ النور

على الخير إعانة بالغة ، لأن جبلة هذا القسم من الناس الرحمة والشفقة على الخلق ، وهي أقرب إلى الله تعالى وأحبها . وهذا الفريق من الناس ترى أعمالهم غالبة مؤكدة لطهارة الضمائر وصفاء البواطن ، فاليسير من أعمال هؤلاء يقوم مقام الكثير من أعمال غيرهم . إنتهى .

وقد نقلنا هذا لأن المزاح له فوائد إذا كان من أهله وفي محله ، وأما إذا كان على الوجه المذموم فهو حرام ، وقد يثير فِتناً وأحقادا ومحنا وأنكادا كما نبه على ذلك الحجة الغزالي في بداية الهداية ، وبأبسط منه في الإحياء . والله أعلم .

الثالث من أحوال سيدي الحبيب علي صاحب المناقب رضي الله عنه وهو مما كان سببا في الإنكار عليه وعلى غيره من الصوفية من سلفه وغيرهم ، وذلك إشتغاله في بعض الأوقات ، وعند ورود مقتضى له في نادر من الحالات ، بالسماع مع تنوع الآلات ، فالسماع المذكور مما يقول عليه الصوفية ، وفيه كلام لهم مذكور في أمهات كتبهم : كالإحياء ، والعوارف ، والرسالة . واختلاف منتشر وإليه يشير قول القطب الشيخ أبوبكر بن عبد الله العيدروس نفع الله بهما في قوله :

إياك ياصاح السماع تأتيه فإنه في الشرع مختلف فيه

إلى آخرها . إعلم أن سيدي الحبيب علي رضي الله عنه يعمل على السماع ويرغب فيه وهو من أهله ، لأن الولي إذا كان من أهل الأحوال فهو أما أن يتداوى به أويثير به له أحوالا كامنة فيه ، فيظهرها أويفرق به أحوالا ترد عليه ويتحققه ويكون في دفعها نفعا له أوللعامة أوغير ذلك مما لايطلع عليه ويتحققه من نفسه ، لأن الولي أوغيره من أمثاله

العارفين بأحوال اللوامع واللوائح ، والبوادي والبوادة وغيرها مما يظهر لهم من الأحوال . وقد سمعت سيدي تلميذه العارف بالله تعالى شيخي الحبيب جعفر بن محمد العطاس قدس الله روحه يقول : كان سيدي الوالد علي نفع الله به جالسا بحضور جمع وهو في المشهد في المدرسة التي هي بجري القبة ، وكان ذلك في وقت الزيارة مع تعدد الآلات المعدة للطرب والسماع واللهو في مواضع من بقعة المشهد ، فقال للحاضرين : أترون وتسمعون إلى هذه الأنواع المشار إليها ؟ فقالوا له نعم ! قال : والله إني مقهور على ذلك من هنا ، وأشار بأصبعه إلى أعلى أذنه ، قال : ولقد كنت أمر على بعض المشتغلين باللهو فأحث الدابة وأضع أصبعي في أذني خوفا من أن ينزل عليّ خسف في ذلك المحل ، ولكني مغلوب على ماترون .

ويقرب من ذلك ماحكي عن العارف بالله صاحب الأحوال الغريبة الحبيب جعفر بن الشيخ الحبيب احمد بن زين الحبشي نفعنا الله بهم أنه كان لايمشي إلا متطيلسا إحترازا من فلتات النظر ، ويتباعد عن السماع وغيره من كل مافيه ميل للنفس وشهوة لها ، فلما وصل للأخذ عن الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار بدوعن فمن جملة إشاراته له : أشهد الله في الكل واصنع ماشئت . فما وصل إلى بلد شبام إلا واستدعى المسمعين من أهل الشرح المعروف عند أهل حضرموت وغيرهم ، ولم يتقيد بعد ذلك في لباس ولاغيره كما ذلك معروف من حاله . ومافي كتاب مناقبه الذي جمعه سيدي الإمام الحبيب سقاف بن محمد الجفري نفع الله بهما جملة من ذكر أحواله .

وأيضا قد كان هذا أعني ماذكرناه عن الحبيب علي كان من حال كثير من آل باعلوي وغيرهم ، كالشيخ عمر بن عبد القادر العمودي أحد مشايخه المار ذكره ، فإنه لما تذاكر الحكاية السابق ذكرها الحاصلة له مع الأستاذ الشيخ عبد الله بن علوي الحداد بواسطة الوالد احمد بن سعيد باسودان رحمه الله تعالى قال له الشيخ عمر : ياحبيب علي معاد قصرنا يعني مع إستعمال الآلات إلا القحيبات ، يعني البغايا . وسيدي الحبيب علي نفع الله به يستعمل هذه الآلات لاسيما في زيارة المشهد حتى في تلقي الركبان وتشييع الأعيان . فقد ذكر في بعض المكاتبات انه لما ورد عليه السيد الجليل الحبيب عيدروس بن سالم بن الشيخ أبي بكر باعلوي قال : ومن عجيب الإتفاق أنه وصل إلى حوره ليلة وصول جمع الخليقة إليها ، ووصل مع وصول الناس الجميع ، فتلقيناه إلى خارج المكان بالخانات والقصب ، وجميع أهل النوب ، والسادة والعرب . إلى آخر كلامه .

وسمعت سيدي وشيخي العارف بالله الصوفي الشيخ عبد الله بن احمد بافارس باقيس نفعنا الله به يقول : حضرت زيارة المشهد في وقت الجمع في حياة سيدي الحبيب علي ، فبينما أنا جالس عنده إذ أستأذن عليه الشحاذ بنسائهم وآلاتهم ، فأذن لهم في الدخول عليه ثم أخذوا في لعبهم ، وكن النساء يدرن ويرقصن متبرجات سافرات الوجوه وفي بعض الأحيان والرؤس ، فخطر في نفسي أني في مجلس هذا الولي لا أغض بصري ولا أختم أذني وأرسل فكري فانظر في أنه يوصلني إلى أي معنى ، قال فلما أكملوا لعبهم جلسوا فجعل الحبيب يتوبهم ويستغفر بهم ويلقنهم كلمة التوحيد ، فلم يظهر لي حينئذ وجه إحتماله منهم تلك الأفعال

المحرمة وغير اللائقة بحضرة مثله في مقابل ماكان منه لهم من الإستتابة والإستغفار وتلقين كلمة التوحيد ، فلما انقضى وقت الزيارة إستأذنته في الوصول إلى بلد عندل لحاجة لي ، وكان ذلك في وقت حصاد الزرع فيها ، فاجتمع أولئك الشحاذ ونصبوا خيامهم فكان الجند وأصحاب الفسق والخنا يترددون إليهم ، ونساء فقراء أولئك المحل يترددون إلى محارثهم ويحفظن الثمر ، والدواب طالعات نازلات إلى محارثهم ، فذكرت حينئذ ماقاله الإمام الشعراوي رضي الله عنه وهو : أخذ علينا العهود أن نأخذ بخاطر بنات الخطا لأن بهن صيانة الحرائر . إلى آخره . فظهر لي أن مايفعله الحبيب علي مع أولئك من هذا المعنى . والمعنى الأول أيضا من تذكيرهم بالله تعالى صحيح .

منزع صوفي يتمم معنى مامر من هذه الأحوال ويستوفي . واعلم أن ماذكرناه من أحوال هذا الإمام الغارف من بحر الأسرار والمعارف فإنه كان يستمد من أربعة أبحر : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والأستاذ الأعظم الفقيه المقدم لأنه مظهر هذه الطريقة ، وله الإنتساب إليه روحا وحسا وجسما . والثالث جده الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس وولده الشيخ الحسين . والرابع : الشيخ القطب أبو الحسن الشاذلي . وأما مشايخ المشهد فسيأتي أنهم سبعة رضي الله عنهم ، ومدد الكل من الحضرة النبوية ، والمدد بحسب التوجه والتأهل والإستعداد ، وقد يقع مع الإمدادات وتجليات الأنوار المفاضة على قلوب العارفين تنقل في الأحوال المعروفة عندهم ، كحالة الجمع والفرق والفنا والبقا

والسكر والصحو وغير ذلك مما هو مشهور في اصطلاحاتهم بالوصف . وأما الشهود والعيان فلا يحصل إلا بالذوق والوجدان .

وقد سمعت شيخي العارف بالله تعالى عبد الله بن احمد بافارس المتقدم ذكره نفعنا الله به يقول : لماتواردت أنوار التجليات على سر الحبيب علي بن حسن رضي الله عنه لم يزل يسعى في تفريقها طلبا لبقاء حالة الفرق والصحو والبقا التي هي من مقامات الرسل وكمّل ورثتهم ، وذلك إرادة لنفع العباد والقيام بمصالحهم وإرشادهم ، فأكثر من التزوج ثم الترددات والتنقلات في البلدان والإشتغال بالسماع ، وبمثل المداعبة والمزاح الذي مرّ أنه كان يستعمله في نادر الأحوال ، فلم يرسب ويستقر ويؤثر في مراده الإشتغال بجميع ذلك حتى أنه اشتغل بعمارة المشهد . فعند ذلك ثبت على حالة الفرق والبقاء بواسطة ماتحمله في ذلك من الأعباء والتعب والكد . ويأتي قريبا ذكر ذلك وأخباره وعيونه وآثاره .

(قلت) وماقدمناه عن شيخنا الشيخ عبد الله بن احمد بافارس المذكور نفعنا الله به من المفهوم المنتزع من المشهد الصوفي الصحيح السالم بالذوق عن الرد والتجريح ، هو ماذكر من الأحوال التي اشتغل بها في الظاهر ، وأن مراده تفريق مايرد على سره من الأحوال التي تستغرقه وتشغله عما هو مراده مما مرت الإشارة إليه ، أنه أراد أعني شيخنا عبد الله بالواردات الإشارة إلى حالة الجمع المعروفة عند السادة الصوفية . وقد سئل عنها قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به فإنه رضي الله عنه سئل عن الخواطر التي ترد على الواصل إلى الله تعالى فأجابه بقوله : إعلم أن الواصل إلى الله تعالى من وصل إلى الله

تعالى إلى حد ينتهي إليه علم العلماء به من خلقه ، وأهل هذه المرتبة يتفاوتون فيها تفاوتا لاينحصر ، وللواصل إلى هذا المقام حالتان تسمى إحداهما بالجمع والأخرى بالفرق ، فإذا وردت عليه حالة الجمع فني عن نفسه وغيره من أبناء جنسه واستغرق بربه وذهب فيه بالكلية ، فلا خاطر هناك يخطر ولاموجود ثَم يظهر إلا الموجود الحق جل وعلا . ثم ذكر سبب الخواطر التي تقع لغير الواصل فقال : وإلى الجمع الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لي وقت لايسعني فيه إلا ربي) ثم إن دوام وارد الجمع عزيز جدا ، وعند دوامه تظهر أمور عجيبة ، وتبدو شئون غريبة .

وقد دام هذا الوارد على بعض مشايخ العراق تسع سنين ثم أفاق يسيراً ، ثم عاد واستغرقه تسعاً أخرى ، وكان في هذه المدة لايأكل ولايشرب ولاينام ولايصلي ، بل كان واقفا في البرية شاخصا ببصره إلى السماء . وبلغنا عن بعض مشايخ مصر أنه توضأ ثم إضطجع وقال لنقيبه لا توقظني حتى إستيقظ بنفسي ، فمرت تسعة عشر سنة وهو في نومته ثم إستيقظ وصلّى بوضوءه ذلك . والعارفون يشتاقون إلى الجمع والحق ينقلهم عنه لطفاً بهم ، وليقوموا بالتكاليف ، ولئلا تضمحل أجسامهم وتتلاشى عظامهم ، لأن الواردات الإلهية إذا قويت واستولت لم تثبت لها القوى البشرية . ثم أطال في ذلك رضي الله عنه وذكر بعده حالة الفرق .

ذكرنا ذلك بيانا لما أشار إليه شيخنا عبد الله بافارس من الإشارة إلى أن الحبيب علي رضي الله عنه أكثر من التزوج ومايستعمله ويشتغل به من المزاح والسماع أنه يريد بذلك رفع حالة الجمع وعدم دوامها ليعود إلى

حالة الفرق والبقاء الذي هو مقام الدعوة إلى الله تعالى وإلى توحيده وعبادته . وقد يكون ذلك لإسترواح النفس لتعود إلى العبادات بهمة وقوة أخذاً بما سئل عنه الشيخ عبد الله أيضا ، فقد سئل عن قول بعضهم : تقول النفس للقلب أحضر معي في العادات أحضر معك في العبادات ، فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به : هذا يكون قول النفس المطمئنة للقلب المنير ، فإذا حضر القلب معهافي عاداتها التي لابد لها منها كالأكل والشرب ونحوهما حصل لها بحضوره الإستقامة في العوائد والأخذ فيها على الوجه الأحسن والأفضل . وأما حضور النفس مع القلب في العبادات فلكي يحصل له النشاط فيها والإجتماع بالباطن والظاهر عليها ، فإن الباطن إذا كان مع الظاهر في تصرفاته ، والظاهر إذا كان مع الباطن في تطوراته كان الباطن والظاهر على الغاية من الإجتماع على المطالب . إنتهى الجواب الجامع في هذا المعنى لفصل الخطاب .

وفيه الإشارة إلى أن الأولياء لهم أحوال وتطورات ونشآت لاتكيف ولاتنحصر كما قال ابن بنت الميلق الشاذلي رضي الله عنه :

وللفقير وجـــوه ليس يحصرها	عد وكل وجـود فهو واديه
لو كنت تدري وجوه العبد كنت ترى	فيه الكمال كما النقصان تنفيه
والعبد هذا هو الحر الذي حصلت	له الخلافة جل الله معطيه
أوصافه ظهرت من وصف مبدعه	وكله مظهر يبـدي تجلـيه
إذا رؤي ذكر المولى برؤيـته	وفاز بالسعد والتقريب رائيه

وقد ذكر القطب اليافعي رضي الله عنه في كتابه (نشر المحاسن) تطورات الأولياء فذكر منهم الملامتية ويسمون أهل التخريب وهم الذين

يظهرون المساوي ويخفون المحاسن ، ومنهم القلندرية (بالقاف والنون بعد اللام) وهم الذين لا يتقيدون بشيء بل يلبسون الثياب الفاخرة ويتبسطون في الأطعمة الناعمة ، والأكثر والأغلب منهم لايتقيدون بشيء بل يلبسون ويكتسون ماوجدوا تأسيا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد رؤيت هذه الشئون والأحوال ، ونقلت عن سيدي الحبيب علي بن حسن صاحب الترجمة نفعنا الله به .

ومن ذلك ماسمعته عن سيدي وشيخي تلميذه الإمام العارف بالله تعالى الحبيب جعفر بن محمد العطاس نفع الله بهما قال : وصل إلى المشهد السيدان العارفان الحبيب محمد بن زين بن سميط ، والحبيب جعفر بن احمد بن زين الحبشي قدس الله أرواحهم عند مرورهما زائرين لوادي دوعن ومن به من الأحياء والأموات وكان وقت الظهيرة ، وقصدا الوالد علي فانشرح وانفسح لهما ، فلما كان بعد القهوة قال لبعض الحاضرين هات المحفر الحتي والشول ، يعني الماء المبرد في الشن والحتي دقيق النبق يعملونه كما يعمل أهل تلك الجهات السويق ، قال الحبيب جعفر : فأما أنا فكدت أغيص في الأرض من كثرة الإستحياء لأن مثل هذين السيدين ربما مر وقتهما فيما تقدم من الزمن ولم يذوقا الحتي أولم يعرض عليهما ، قال : وسيدي الوالد يذاكر ويتحدث مع الإنبساط الكلي والإنشراح التام ، قال فلما عادا من دوعن أضافهما وقدم لهما ماشاء الله من أنواع الأطعمة الطيبة .

ومما يحكيه أيضا مما يدل على كماله وعدم مبالاته بمن أقبل أومن أدبر كما مر ذكر ذلك قريبا . قال أشار عليّ سيدي الوالد علي بزيارة

حضرموت والإقامة في سيئون لقصد الطلب والإستفادة ، قال : فعند مسيري رتب لي الرحلة وتنقلي في سفري ، قال : فقلت في معرض كلامه : إني لا أقصد الإجتماع بالحبيب محمد بن سميط والحبيب جعفر بن احمد الحبشي ، قال : وكانا في بعض زيارتهما لما سامتا المشهد حركا مركوبهما وتعديا ولم يجتمعا بالوالد علي ، قال : فانتهرني وقال : إذا لم تزر هذين العارفين فمن تقصده في حضرموت ، قال : فسرت ومكثت مدة مديدة في بلد سيئون ولم أبلغ إلى تريم ، فبينما أنا في بعض الأيام إذ حصل زاعج قوي وتيسر لي مركوب جواد ، فلما وصلت إلى سيدي الوالد علي جعل يسألني عن رحلتي من حين خرجت من عنده إلى أن رجعت ، وإذا انقطع الكلام عاد إلى ماكان عليه ، قال : فقلت له عند إنتهاء خبر الرحلة عسى تأذنون لي في العود إلى حضرموت ، قال : فغضب وقال : قدرت ياجعفر تواجهني بهذا ؟ أي بمفارقتي ، قال فبكيت ، فقال : فجعل يسترضيني ، فأكببت على قدمه وقبلته . ولم تتيسر لسيدي الحبيب جعفر زيارة تريم إلى أن توفي . قال ولده سيدي وخليلي الحبيب محمد بن جعفر قدس الله روحهما : عزم الوالد جعفر في بعض الأوقات من بلد حريضة وأحضرنا له المركوب وخرجنا إلى خارج البلد وزرنا سيدنا الحبيب عمر والحبيب حسين ، فلما توجهنا وقف وقال : إعلم أنه لم يؤذن لي في المسير ، وأنت والولد علي يعني صنوه سيروا على ماقصدتما ، قال : فلما وصلنا إلى مدينة تريم وزرنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ومن في التربة ، قصدنا زيارة سيدنا الحبيب حامد بن عمر حامد نفع الله به ، فلما دنوت منه لأصافحه قال لي : نكص

جعفر يعني تأخر والدكم وقد عزم على الزيارة ، كشفا منه نفعنا الله به وبسلفه .

ومما يحكيه سيدي الحبيب جعفر نفع الله به في تربية سيدي الحبيب علي له وتهذيبه وتأديبه قال : كان من عادته معي في الأكثر أن لايدعني أقرأ عليه في شيء من الكتب وإنما أحضر معه وأستمع قرآءة غيري . قال : فعزمت في بعض الأيام على القرآءة عليه في شرح الشيخ بن حجر على بافضل ، فرآه معي أنتظر الفرصة وأقرأ ، فقال لي : ماهذه النسخة التي معك ؟ فقلت : شرح بافضل ، فطلبه مني وتصفحه وقال نسخة مليحة ووضعه عنده ومكثت قليلا وقال : جعفر ! قلت له لبيك فقال لي : قم هات نَجُو[1] للمحضرة الفلانية ، فسرت مسرعا لأعود ، فأمليت ذلك المحل وعدت ، فقال لي زد المحل الفلاني وللمدرسة وللمسجد وحتى أخلية السوق ، وهو في كل مرة يأمرني بمحل كذا ثم كذا ويقول : نق ذلك من كل مايؤذي ويتضرر به المستنجي ، قال : فعدت إليه كالمستخفي من مانالني من التعب ولم أقرأ ، يعني في تلك العشية ، قال : وكنت في بعض الأيام جالسا عنده وقارئ يقرأ عليه ، فكنت إذا إستشكلت معنى كلمة سألته عن ذلك ، فكان يجيبني ، فبعد ساعة قال لي : جعفر هات حجيرة صغيرة نحو الأوقية ويقدرها لي بإصبعه ولم أدرك ماأراد بذلك ، فخرجت وأصبت حجيرة مدورة ملسا وأتيت بها إليه ، فتناولها مني وقال : هذه المطلوبة ثم ناولني إياها وقال : إذا أتتك شهوة الكلام فاجعلها في

---

[1] النجو باللهجة الحضرمية هو حجر الإستنجاء

فيك . وهذا شأن أرباب التربية والتأديب والتسليك والتهذيب ، حتى تخرج به هذا الإمام الصفوة ، وصار نورا مشرقا ، وقمرا تمتد الأعيان بنوره ، لاسيما أهل القلوب السليمة القابلة للتلقي والترقي ، فهو بمجرد النظر إليها يكتسبها عناية ورعاية . وهو أيضا من الذين إذا رؤا ذكرالله . نفعنا الله بالجميع .

واعلم أن الصمت من أركان السلوك وكذلك إمتهان النفس بنحو وظيفة حجر الإستنجاء واستسقاء الماء وغير ذلك فهو من أنواع الرياضة . فكان سيدي الحبيب علي لما رأى من مريده سيدي الحبيب جعفر حب معالي الأمور كطلب العلم وكراهة سفاسفها، فإن ذلك وإن كان مما يحبه الله تعالى ويرضاه من عبده لكن قد يكون قبل الرياضة مما يسلك به المريد طريق التعاظم ، ويجره إلى العجب وممارات الأمثال والأقران ، فأراد سيدي الحبيب علي سياسة العلم والمعرفة كسر نفس سيدي الحبيب جعفر حتى يصفا تِبره فيعود إلى طلب العلم بنفس منكسرة خاضعة لمولاها خاشعة له ، لأن العلم كالمال له طغيان بل طغيانه أعظم لما فيه من العزة . وأنفس الأشراف لها زيادة ميل إلى العلو ، لكن للطافتها رياضتها سهلة قريبة كما مثلوها بالماء القريب في الأرض يظهر بالحفر باليد فلا يحتاج إلى آلات كثيرة وعنا كثير وطول زمن .

ويلحقون بهم أولاد الصالحين إذا قاربوا آباءهم في لطافة النفوس . والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . وقد يختلف ذلك لأمور خفية لايعلمها إلا الله كما قال تعالى { **يخرج الحي من الميت**

ويخرج الميت من الحي } [1] وقال الشيخ ابن حجر في مقدمة الزواجر : وكم جاء من أولاد الأنبياء والأولياء والصالحين على خلاف ماكان عليه آباءهم كما قال تعالى { **فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا** } [2] وذلك لأسباب : أما من جهة البذر كما في قوله تعالى { **والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لايخرج إلا نكدا** } [3] ثم ذكر أسباباً بعضها يورث الكمال في الولد وبعضها يورث النقص . ثم قال بعده : فلهذه الأسباب يبقى السر كامنا ولايظهر إلا في ولد الولد وفيما هو أنزل منه . وقس على هذا سائر معادن الأخلاق والشيم المحمودة والمذمومة . إنتهى .

وفي العهود المحمدية للإمام الشعراوي يروي عن الشيخ علي الخواص نفعنا الله بهما قال : وسمعته مرة يقول : إنما كان غالب أولاد الأولياء والعلماء لا حياء فيهم ولا أدب ولافضيلة ، لأنهم عكارة ظهور آبائهم حين تصفو من الكدورات فينزل ذلك في نطفهم ، بخلاف أولاد الفلاحين والعوام الغالب عليهم إكتساب الفضائل لموت آبائهم من غير تصفية . إنتهى . وكلامه رضي الله عنه كالتعليل لما كان عليه اكثر أهل مصر أن غالب أولاد الأولياء والعلماء لا ينتجبون ولا تكون النجابة إلا في أولاد العوام كما ينقل ذلك عنهم . وهذا منزع صوفي . والأول هو الأكثر والأغلب .

---

[1] الآية : ١٩ الروم

[2] الآية : ٥٩ مريم

[3] الآية : ٥٩ الأعراف

واعلم أن مامر من ترويض سيدي الحبيب علي لمريده الحبيب جعفر بن محمد نفعنا الله بهما بإنزاله من درجة طلب العلم إلى إشتغاله بوظيفة حجر الإستنجاء لما ذكرنا أولا من كونه إستخلصه واستصفاه وأدبه بالرياضة ، حتى صار وارثا عنه وخليفة له ولسلفه . وللمسلكين في ذلك طرائق يراعون حالة المريد مما هو أصلح له كما كان صلى الله عليه وآله وسلم يراعي أحوال الصحابة رضي الله عنهم في وصاياه وخطبه وتعليمه خصوصا وعموما . وكذلك المشائخ المسلكين كما مر .

وقد ذكر شيخنا الإمام الجامع الحبيب عمر بن سقاف بن محمد السقاف في كتابه (تفريح القلوب وتفريج الكروب) عن القطب الشيخ معروف باجمال نفعنا الله بهم حكاية تشبه ما مر عن سيدي الحبيب علي بن حسن ومريده وولده شيخنا الحبيب جعفر ، قال فيه : لما طلب الشيخ شراحيل من القطب معروف باجمال التحكم له والإندراج تحت نظره وسره ، أقامه مقهوي بالشحر يكتسب منها ، إلا من فقير فمتبرع وعلى الله الخلف . وحكي له ما صح عن الإمام الغزالي أن بعضهم أراد السلوك على يد بعض الأكابر فقال : قد أشغلنا أصحابنا كل برتبة ووظيفة مابقي إلا أحجار الإستنجاء هي عليك ، فامتثل ففتح الله عليه بأسرع من الجميع ، ورجانا فيك ياشراحيل كذلك ، فكان أجل تلامذته . ثم ذكر له من الكرامات والكشوفات وأنها شاعت أحواله . وقال في آخره بعد ذكر حكاية له مع السلطان بدر بن عبد الله بن جعفر العادل قال : ولما وقع للسلطان بدر المذكور ما وقع للشيخ معروف باجمال لإتهامه إثارته لعمه الإمام العادل علي بن عمر ، وأخذه قلاع آل محمد ، قال الشيخ معروف

لتلامذته الآثرون : هذا يعمل بنا ونحن براء عما أتهمنا به ، فثارت همة شراحيل فقال : معي له كانون القهوة وأخرج لهاة كلهات البعير الهائج من فيه ، لها لهب نار شعلة واحدة ، فتلقاها شيخه معروف بيده ، فاحترقت يد الشيخ وأطفأها وقال : إنما أردت المباسطة معكم لاحقيقة الإنتقام ، لأنه أخذ عليه العهد من شيخه الأخضر باهرمز لاينتقم لنفسه كما هو مذكور في مناقب الشيخ معروف للعلامة محمد بن عبد الرحمن بن سراج . إنتهى .

(قلت) والذي يظهر من حال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه مما يحكيه في السفينة وغيرها مما جرى له من الشواني أنه معروف الثاني ، فصبر ولم ينتصف لنفسه ولم ينتصر كما أشار في الأبيات ، ذات المباني المار إيرادها قريبا ، قوله فيها :

ومن شنفت له كاس حلوٍ صرف هاني جزاني في الجزا من حدج خس المجاني

كما مَرّ ذلك في الفصل الذي قبل هذا .

(فصل) ولما إنتهى بنا المقام إلى ذكر هذه الآثار لهذا العلم المنار ، مع قلة المعرفة بأحواله والقصور عن ما يؤثر عنه من الأخبار ، لتباعد الزمن عن الزمن وتنائي الدار عن الدار ، نذكر الآن أثراً من آثاره ، بل حقيقة من حقائقه التي سارت بها وإليها الركبان ، وشاعت بفضيلتها الأخبار ، وهو إحياء الأرض الميتة حتى صارت روضة من رياض الجنة ، بعد أن كانت قطعة من النار . إعلم أن السبب في إحياء بقعة المشهد

وابتداء ظهوره واشراق نوره ، أن سيدي الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به كان في هذه الجهات كثير الترددات والأسفار كما مر ذلك فيما مر من الأخبار ، فلما مر في بعض تنقلاته بالمحل المسمى بالغيوار ، خطر بباله أن يلقي به عصى التسيار ، ويعمره بالإحياء الحسي والمعنوي ويكون الأمر المعنوي عليه المدار ، وهو عمارته بالصلوات والتلاوة والدعوات والأذكار ، وهذه هي الحياة الحقيقية التي بها تتشرف البقاع في جميع الأقطار . فلما طنب به الخيام وخلع بعمارته العذار ، وأعد لطرد شيطانه حصي الجمار ، مع التكبير عليه ليلجأ إلى الفرار ، ليكون خطة للأمان والجوار ، وملتقى الرفاق ومحط الرحال ، وكعبة مقصد ذوي الكمال من الرجال ، فكانت تلك الحضرة الربانية ، واللامعة النورانية ، بذرة لحبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة من الفضائل والفواضل بما لايحصيه حصر حاصر ، ولايحويه نقل ناقل ، وكم ترك للأواخر الأوائل . وكان ابتداء عمارته وإحيائه والتوجه إلى بنائه وإشاعة أنبائه منتصف شهر ربيع الأول أحد شهور سنة ستين ومائة وألف . وأما الحضرة التي لاحت لغرس هذه البذرة فكانت يوم الخميس الحادي عشر من شهر القعدة الحرام سنة تسع وخمسين (بتقديم المثناة من فوق) وخمسين ومائة وألف عند مروره به وهو ظلام داجي ، لخلوه الأزمان الطويلة عن المناجا والمناجي ، بل كان مأوى لقطاع الطريق والبغاة . وبقاعه خالية عن أن يذكر فيها الإله ، يمر فيه المار وهو على خوف ووجل ، كأنه يزاحمه حينئذ ورود الأجل . ولما أحيي واعتمر ، سماه ورسمه بمشهد عمر ، يعني به جده الذي صنف في مناقبه كتاب القرطاس وهو الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد

الرحمن العطاس ، فدرت على وارديه وقاصديه أمطار الإرفاقات والمنافع ، والفوائد والعوائد لكل ساكن وناجع ، على ممر الساعات والأنفاس ، يخرج عن الإحصاء ويستقصى عن الإستقصاء ويبعد عن القياس ، وفي كل وقت وله مظاهر تتجدد ، ودلالات وآثار وآيات تعد وتمتد ، كما قال القطب الحداد نفع الله به في الإنشاد :

وشواهد الأحوال تغني ذا الحِجا والفهم عن نطق اللسان الذائع

وقال رضي الله عنه في كتابه المسمى (المقصد إلى شواهد المشهد) في فهرسته وسبب تأليفه وترتيبه وتصنيفه ، المقصود بنشرالفضائل وزبر المناقب والرسائل ، بنشر قلوب المحبين لأهلها ، الموسومين بمعرفة محلها . وأما أهل العداوة والجحود ، وأهل العناد من كل حسود وحقود ، فلا ينجع فيه ولاينفعه بذلك من يوافيه ، بل ربما زاده عتواً ونفورا ، وأفاده بهتانا وزورا . { **يريدون أن يطفئوا نورالله بأفواههم** }[1] { **وليزيدن كثيرا منهم مأنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا** }[2] {**ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ماكانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** }[1] إنتهى . ثم ساق من الشواهد والفوائد فيما نَوّعه فيه من الفصول والأبواب ، مايرى الواقف عليه من العجب العجاب ، ويكون الداخل فيه بالإعتقاد من أولئك الأحباب ، كالداخل فيما مثله تعالى

[1] الآية : ٣٢ التوبة

[2] الآية : ٦٨ المائدة

[1] الآية : ١١١ الأنعام

{ **بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** } [٢]. واعلم أنا قدمنا الإشارة إلى أن سيدنا الحبيب علي بن حسن عامر المشهد المنتفع به كثير من أمة المبعوث إلى الأحمر والأسود ، أنه كان من الأسباب التي ردته من حالة الجمع والفنا إلى حالة الفرق والبقاء المشار إليها بأنها حالة أكمل وأنفع وأفضل لما فيها من الدعوة التامة ، والتذكرة العامة ، والنصائح الدينية والوصايا الإيمانية ، والوراثة للمرشد الأكمل صلوات الله وسلامه عليه ، يتكرران بالبكرة والعشية . وقد إستوعب نفع الله به في الكتاب المتقدم ذكره الخصوصيات التي اختص بها المشهد والفضائل التي شارك بها غيره من المشاعر والمشاهد والمآثر ، فهو مشهد إنطوت فيه الأسرار وفاضت فيه الأنوار بعد أن كان يسمى الغيوار ومحل المغار ، فأمسى روضة بعد أن كان قطعة من النار ، فسبحان الواحد القهار الرحيم الغفار ، الذي له قلب الأعيان من القصور والنقصان ؛ إلى الشرف والرفعة بمحض الكرم والإمتنان . وقد قرر أئمة العلم والعرفان أن الأشخاص والأماكن والأزمان لاتفضل بعضها على بعض إلا بمضاعفة الأعمال والإقبال على وجه الإخلاص لمن له به يدان .

وقد صار هذا المشهد من مآثر الكرام ومشاعرهم العظام . وقد أثنى عليه وعلى محبيه السادات الأعلام . ومن نظمه الذي لم يزل يضمنه المكاتبات والمراسلات ، ويأمر بقرآءته في الجموعات . ومن أبلغ ما نَوّه به في شأن إحياء هذا المشعر ومافيه من الخير المخبى ماكتبه لبعض محبيه

[٢] الآية : ١٣ الحديد

جواب كتاب وصل منه إليه ، فإنه قال في أثنائه : وتذكر من أجل مولانا الحبيب حسين بن عبد الله العيدروس ، مولانا الحبيب شيخ بن شهاب ، ومولانا الحبيب عيدروس بن الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه ، فقد حققت لهم أخبار المشهد وما ترتبت عليه من المنفعة والسرور والحضور والحبور لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وحصل منهم الفرح بذلك وفرحتم كما يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء . فاعلم سيدي من أجل الحبايب المذكورين وأمثالهم من بدور الدين ، إنهم خلفاء سيد المرسلين الذي هو رءوف رحيم بالمؤمنين ، ومبعوث رحمة للعالمين . أما سمعت مايقول الملك الحق المبين حيث يقول وقوله الحق عند المصدقين { **ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون * إن في ذلك لبلاغا لقوم عابدين * وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** }[1] وفي حديث سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم (الخلق عيال الله وأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله) وقوله عليه الصلاة والسلام (من لم يهتم بأمور المسلمين فليس منهم) وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : خير المسلمين من أعانهم ونفعهم . وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (إني رأيت رجلا في الجنة بسبب شجرة تؤذي المسلمين في طريقهم فقطعها عنهم) وقوله صلوات الله وسلامه عليه (من حمى مؤمنا من منافق حمى الله لحمه ودمه من نار جهنم) وتعلم أن السادة اليوم أعيان الخلق بجهة حضرموت وغيرها ، يعني ويلزمهم القيام بالواجبات العينيات والكفايات

[1] الآيات : ١٠٥ – ١٠٧ الأنبياء

زيادة على غيرهم كما خصوا بنحو الولايات ، والغيوار كما حققنا لك في القصيدة أنه فرض عين ، والله ثم والله ثم والله أنه فرض عليكم وأفضل لكم يا أهل الجهة من الحج إلى بيت الله الحرام ، لأن الحج ماينفع غير الحاج وحده ، وهذا ينفع المسلمين كلهم ، خصوصا من في وجهه رعية أوله شفقة عليهم وحمية ، ويلتام على تبتوت . قال لي الشيخ الأمي العالم علي بن سالم الجنيد القائم بنصر الله ونصر رسول الله وأهل بيته ، ياعلي الحذر تقول باعزم للحج أو إلى الهند أو إلى أرض أخرى من أرض دين أودنيا ، فإنك إن عزمت من هذا المكان بخصت نحن ياأهل الجهة . ثم قال : هو من بايقع لنا مثلك ، إن بغيناك أبونا ، أو إبننا ، أوخادمنا ، أوشريفنا، أوسيدنا ، أوعالمنا ، أوبدوينا ، أوقبيلي لنا ، أوعسكرينا ، أورعوينا ، . إلى أن عدد خصالا كثيرة من خصال الخير النافعة . ثم قال يعني الشيخ سالم باوزير : أشهد الله إن عاد ﭺ الغيوار بايمتلي قبب ومساجد ، وعاد تالي خيمة في الوقفة باتقع عند بئر باحميد . وكلامه في شأن الغيوار كثير ولاشيء قصر من كلامه . وأما القصيدة التي قلناها وجعلناها رسالة إلى جميع الثقات من أهل جهتنا وأهل جمع الجهات فهي هذه :

مسقط النور ياجوهر وقع في الدبيات — مثل ماتسقط أمزان الحيا بأرض الإسنات

غيث قد عم ساكن الأرض واهل السموات — بخت مولى مراوح واهل سدبه ولقلات

وآل مهدي ومولى ميخ في عافيه بات — واصبح الخوف روضه فيه سلوه ولذات

فيه وقفه كما الوقفه لها شاعت أصيات — ذاك نور النبي ذي عم الأحيا والأموات

في حريضه وفي الغيوار قل لي تبا أيات — ما هن ألا سوى حوطة مشايخ وسادات

شرفوها كما الغنا ومشطه وعينات — والعدن ذي عدنها العيدروس الكبارات

والمدينه ومكه من سلفنا بها آيـــات ... بئر زمزم وبيت الله ومروه وعرفـــات
واهل جمع الفضائل من قدانا لهم جات ... كل بقعة شريفه شرفوها ذوو الـــذات

أهل بيت النبي أهل الدرك والحمايات

إلى أن قال :

قل لساده ودوله واهل سيف وحـربات ... والمشايخ رجال العـــلم واهل الكرامات
وينكم ياحصون الدين واهل الحمـــايات ... هيا هيا بكم هيا بكم هـيا هـــــيات
ساعدونا وقوموا بالحراسه وحدصات ... في عماره فضيله من عظـــيم العمارات
فرض في العين ماهي من فروض الكفايات ... خصت أهل المناصب والدول والولايـات
ثم عمت جميع الناس الآباء والأمـــات ... مالحد عذر من ثقلا تها ياأهــــل لالات
من معه شيء يجيبه جمكم والشويات ... ياأهل الإيمان والبرهان والمال غــــارات
مثل ماقال بن سالم علي في الشـهادات ... عقدوا الوعد ما بين القنص حل مبيات
والصلاة على من خصه الله بالآيـــات ... قال صلوا عليه آلاف وأميـات صلوات

وآله الكل وأصحاب السنن والجماعات

واعلم أيها الواقف على هذه الدلالات والإشارات والبشارات مما قاله سيدي الحبيب علي نفع الله به وغيره ، وماسيأتي مما نذكره أولم نذكره خاص بالمشهد أوبغيره مما لا يفهمه الغمر الجاهل ، أوينكره الحاسد المتغابي العاذل ، أن ذلك جميعه وارد على القانون الشرعي والقواعد الفقهية ، الأصولية والفروعية ، فلا نطيل بذلك لأن المعتقد إذا لم يفهم المقصود من العبارات وما في الرموز من المشكلات ويكلها لأهلها وأهل عقدها وحلها ، والذي يفهم منها المعنى ويؤولها بأحسن التأويل ، فهو من السالكين لأقصد سبيل ، فهم ناجون بل فائزون مع أسعد جيل ، وأما المنتقد فلو تليت

عليه آيات القرآن والتوراة والإنجيل ، لم يزده ذلك إلا زيادة في الحسد والإنكار والتنكيل . وتأمل ماذكره القطب اليافعي رضي الله عنه في خاتمة الروض وغيره من كتبه ككتاب نشر المحاسن . وقد مر قريبا مانقلناه عن السيوطي عند ذكره للقطب ابن عربي ، وهذا الباب واسع . ومما قرره أعلام الأئمة الصوفية أن أرباب الأحوال من الأولياء قد ينكر بعضهم بعضا لإختلاف مشاربهم وأذواقهم ، وموارد أحوالهم ومصارد أقوالهم وأفعالهم كما جرى ذلك لكثير منهم مما هو مذكور في محله ، ومعروف عند أهله .

وأما قوله في القصيدة : مسقط النور ياجوهر وقع في الدبيات . المسقط هو موضع السقوط ، والنور هو الإضاءة بعد الظلمة ، ويطلق على الهداية والقرآن والنبي صلى الله عليه وآله وسلم . وقوله : ياجوهر . فإنه خطابا لرجل معروف ، فالمراد به العقل الأول والحقيقة المحمدية الذي منه مدد الأرواح والعقول ، ولذلك قال في البيت الذي هو أحد أبيات القصيدة : ذاك نور النبي ذي عم الأحيا والأموات . أي هدايته ودلالته صلى الله عليه وآله وسلم لأمة الإجابة كل على قدر جهاده وقابليته واستعداده ، وأكمل هذا النور وأعلاه عند أهل الله وارد إلهي يطرد الكون ومن فيه عن القلب فلايبقى فيه إلا الواحد الرب ، كما قال ابن الفارض نفع الله به :

ولو خطرت لي في سواك إرادة		على خاطري سهوا قضيت بردتي

يعني : حكمت بعدم إستغراقي بك واستهلاكي فيك . أشار سيدي الحبيب علي نفع الله به بقوله : ذاك نور النبي . يعني أن نوره عليه الصلاة والسلام شارق في كل مكان ، ومتناسق في كل زمان . ولاسيما

في المـآثر النوريـة والأوراد الذكريـة ، ولاسـيما اللطيفـة أرواحهـم ، فـإن روحانيته صلى الله عليه وآله وسلم مالية الكون .

سمعت سيدي وشيخي الحبيب جعفر بن محمد العطاس المار ذكره يقول : كنا يوما حضور في مجلس الوالد علي في المشهد في وقت الزيارة فقال ماتقولون في قول المصلي : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته هو خطاب لحاضر أم لغائب ؟ فقالوا : بل خطاب لحاضر ! فقال : حتى في المشهد ! فقالوا حتى في المشهد ، فكأنه رضي الله عنه يقرر أنه لما عُمر بالصلوات والأذكار والتلاوة والدعوات لاسيما ممن هو مثله من أهل النهايات فروحانيته صلى الله عليه وآله وسلم ونوره مشرق في هذا المكان وعلى من فيه من الطارقين والقطان ، والقائمين فيه بالشعار والأعوان ، بعد أن كان مغرسا للشيطان ، وأهل البغي والعدوان كما قال رضي الله عنه :

عل بن حسن حوط الغيوار وامسى مزار	صيح بقومه وبينها كرامه جهار
وقام جده عمر قيدوم جنده وثار	والقاه للخلق جنه بعد ماكان نار
قصدوه الأخيار والقوا في عروضه ديار	ساده ودوله وفقرا والقبل والتجار
وسوق فيه البضائع واجده بالبهار	فيه التلاوه ودرس العلم دائم سبار

وحضرة الذكر في زهو الجموع الكبار

ومما يلتحق بهذا المعنى من النور الحال بهذا المآثر وكل المآثر المنسوبة لخواص البشر الممتدة من نور صفوة مضر ، لأن نوره وروحانيته صلى الله عليه وآله وسلم وسائر الأنبياء مالئة الأكوان لاسيما وروحانيته عليه الصلاة والسلام أكمل وأشمل ، إذ هو أبو الأرواح القائمة بها

الأعراض والأشباح . ويدل لذلك ماذكره الشيخ حسين بن عبد الشكور في كتابه المشهور مؤيدا لكلام سيدي الحبيب علي ولما قلناه من المعنى المار . قال رضي الله عنه : وهنا إتباع في زيارة المآثر والأتباع ، إذ لكل مأثر ظهوره في معالم عوالم نوره ، ففي زيارة كل مكان زيادة نور وبرهان وإيمان وإيقان وإحسان ، وخيرات حسان ، صنوان وغير صنوان ، تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأذواق والمشاهد ، من تلك المعاهد . فمن توجه إلى تلك الحضرات فليتعرض للنفحات ، إذ في كل حضرة مدد وفتوح ، وباب إلى الحضرات من حضرة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم مفتوح ، والأرض جميعا قبضة دينه ، والسموات مطويات بيمين يقينه . قال تعالى في بعض الكتب المنزلة (ابن آدم خلقت كل شيء لأجلك ، وخلقتك لأجلي) أو كما قال تعالى . مما هذا معناه . وهو الإبن المخصوص بجميع النصوص . وقال صلى الله عليه وآله وسلم (جعلت لي الأرض مسجدا) الحديث . فطوبى لمن إهتدى فاقتدى ، وانتهل من كل محل موردا ، أوشاهد في كل منزل مشهدا ، فإنه صلى الله عليه وآله وسلم روح هذا الجسد وممد هذا المدد . فإذا علم ذلك فليتوجه الطالب في تلك المسالك متهيئاً لنيل ماهنالك من الإمدادات المتنوعة ، والفيوضات المتجمعة ، فيقول لا أريد إلا الرسول ، فقد حصل القصد والسول بالوصول ، فإنه وإن كان في مقاله ، لايكون كمن فاز بوصاله ، في مشاهد كماله ومجالي جماله وجلاله . إنتهى كلام الشيخ حسين وهو شاهد بما قاله صاحب المشهد ، بل هو عين معين مورده ، ولسان صميم معتقده

. والسر في صلاح العقود والوفا بالعهود في الشاهد والمشهود . والله سبحانه وتعالى أعلم .

وقوله : حوطة مشايخ وسادات . الحوطة مأخذها من الحياطة وهي حسية ومعنوية ، فالحسية مايحيط بالشيء ويمنع من الوصول إليه من الأسواء والمكروهات ، والمعنوية مايمنع الوصول إلى القلوب والأسرار والأديان من الآفات والشواغل والشوائب والعلل المحبطة للأعمال الصالحات والأحوال الدينيات . والحوطة أيضا في عرف الجهة الحضرمية ماسيأتي ذكره .

قال الشيخ محمد بن بن عبد الله باجمال في كلامه مقال الناصحين : قال بعض العلماء : كان مشايخ الجهة أهل التربية بجهة حضرموت ينفردون بأنفسهم عن القرى والعمران ، ويسكنون بأهلهم في حافة منفردة بقرب القرى يسمونها (الحوطة) يسكن عندهم من سلك طريقهم وتشبه بهم في تلك الأشغال ، والإنقطاع عن العلائق والإنفراد عن الخلائق ، والصبر على الفقر ، وتكون هذه الحوطة بهذا الوصف محترمة جدا ، معظمة بين الناس ، لاتهتك حرمتها في شيء حتى لو جنا جانٍ على أحد والتجاء إليها يتركونه مادام فيها إحتراما لها وإن عظمت الجناية ، وتكون هذه الحوطة عند أهلها وسكانها مميزة عن غيرها بالصيانة عن الفواحش والمعاصي وعن ذكر الدنيا وأموالها وزينتها ، وتكون معظمة بالديانة وإظهار شعار الدين ، فنهاية أهلها وقلوبهم مؤلفة بالتعاون على البر والتقوى ، والإنصاف فيما بينهم ، ولايتركون أحدا بينهم إلا أن تشبه بهم وسلك

طريقهم ، يطلبون بالإنفراد الفرار عن مشاهدة الراغبين في الدنيا فضلا عن أهل المنكرات . هذه قاعدة أهل الحوطة المطلوب لأهلها . إنتهى .

واعلم أن هذا الشيخ الإمام الهمام المقدام في سني الأحوال ، وعلي المقامات التوام المراد بهذه المنن ، الشيخ الحبيب علي بن حسن نفع الله به لم يتحمل من هذا المحل غواشي عين الظلمة والكدر ، إلا وقد ركن إلى ركن شديد ، من حول الله وقدرته ورعايته في أن يكون حِماً محميا ، وحرما أمينا مأمونا رضيا للأهل والجار والزائر والمزار ، وأن يكون له من أولياء الله تعالى وخاصته المرادين بفضل الله ورحمته ، حملا وضمنا وكفلا وأمنا يسند ظهره إليهم ، ويعتمد في أمره عليهم ، كما ذكر مشايخ المشهد فطرز بهم الطراز ، وصلح منه بهم النضال والبراز ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ويحرمه من غفل عن ذكره وغشاء .

فقد نقل في المشرع الروي وغيره عن الشيخ عمر المحضار بن الشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوي قدس الله روحهما أنه قال : لما حوّط الشيخ عبدالرحيم بن سعيد باوزير حوطة الغيل الشهير ، قال الشيخ عمر رضي الله عنه : مالعبد الرحيم وللحوطة ؟ ماتصلح الحوطة الآ لرجل ساعده مدرج ليس له مفصل ، وله سيف لمعه يخطف البصر ، طوله أربعة أذرع وعرضه ذراع ، إذا وضع حده على الأرض قطع ما أصابه عليها كَبُر أوصَغُر ولايزال متقلده ، وله قناة خمسة عشر مفصلا طول حربتها ذراع ونصف ، وعرضها شبراً ، ولها أذنان طول الواحدة فِتر ، ودبوس فيه عشرة أمنان ، وحصان مصيل لايركب إلا وقت صائح الحرب ، غذاؤه اللحم ، وشرابه اللبن ، لايزال هو وراكبه لابسين آلة الحرب من راية

ودرع ومغفر ، وبيضة شعاعها كالكوكب ليلا ونهاراً ، لايعقد عليه الصلح ولايزال منصتا لصائح الحرب ، إذا سمع الصائح ركب حصانه ووقف على قارعة طريق القوم ، فإذا وصلوا إليه غار عليهم ، فمن ضربه بسيفه قده نصفين ، ومن ضربه في رأسه بدبوسه تركه رضاضا ، ومن طعنه برمحه علقه في الهوى ورمى به الأرض . قال ناقله من العقد النبوي للشيخ العارف بالله العيدروس . إنتهى ملخصا . فانظر إلى هذا الحال الذي تأهل له بالجلال والجمال ، وقهر به كل معتدي وجندي ، من يقول ياجدي وياجندي . فكم ترك الأوائل للاواخر من هذه المظاهر ، وكلها أسرار سارية ، ورحمات جارية ممتدة من البحر المعين ، المنزل فيه { **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** } [1] .

(قلت) وهذا الغيل المذكور المسمى غيل باوزير ، يسمى في التواريخ بالغيل الأعلى ، وغيل أبي سودان المذكور فيما مر يسمى بالغيل الأسفل . ولما إنتقل أهله إلى وادي دوعن واستقروا في القرية التي شرقي الخريبة كان لهم الإلتحاق بالفقراء المذكورين فيما نقله الشيخ باجمال في شأن الفقراء المحترمين ، حتى أن السلطان بدر بن عبد الله الكثيري الملقب أبوطويرق لما طال حصاره على قرية شرق واستولى عليها طم بئرها لما رأى فيه من الضرر ، ونقل القاطنين بها إلى بلد الخريبة إلآ آل أبي سودان فأبقاهم فيها لما ذكرناه من المعنى الذي نقلناه عن باجمال حتى ظهر في هذا الزمان الولاة الظلمة والفرقة الغاوية ، جعلوا الناس أمة واحدة متساوية

[1] الآية : ١٠٧ الأنبياء

حتى إنتهى بهم الحال أن زادوا في هتك حرمات المسلمين والتنقيص في أقدارهم ، بأن لم يراعوا فيهم إلا ولاذمة ، ولم يقوموا لهم بحق ولاحرمة ، وسلكوا بهم في أعراضهم وأموالهم مسالك أهل الذمة ، بل أخس وأدنى مذمة . اللهم ارفع عن الخلق مانزل بهم ، ولاتسلط عليهم من لايرحمهم ، فقد حل بهم مالايرفعه غيرك ، ولايدفعه سواك يا أرحم الراحمين .

واعلم أيها الواقف على مايضعه الأولياء بحسن الظن ، أن سيدنا الإمام الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به بعد ما هيأ في هذا الوطن للأهل والأولاد والسكن ، نشر بالمشهد شعارا ، وأشعر له آثار ، وذلك ببناء المسجد والمدرسة والقبة ، ورتب في المسجد الأذان والصلوات والجماعات ، وفي المدرسة نشر العلم والمذاكرات ، والأذكار والدعوات ، مع أصناف العبادة في الخلوات والجلوات ، وتلاوة القرآن في أشرف الأوقات وأنفس الساعات . فأما القبة فأعدها للحياة الحسية والمعنوية والممات ، ففيها مارتبه في حياته وبعد مماته مافي المدرسة والمسجد والقبة من وظائف العبادات ، فهذه بالنسبة لوظائف الطاعات أبناء علات ومآثر السادات ، لاسيما مافيه تكثر الجموعات وترتفع الأصوات لإقامة الصلوات والأذكار والدعوات . فقد قال بعض الحكماء : إرتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ماعقدته الأفلاك الدائرات . إنتهى . وأيضا بهذه المعاملات تتنزل الرحمات والأنوار ، وتحصل المكاشفات والأسرار .

وقد إتفق في بعض زيارات سيدي بحر المعارف الشيخ الحبيب الحسن بن صالح البحر الجفري باعلوي متع الله بحياته إلى دوعن فقصد

محضرة سيدنا القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي نفعنا الله بهما فقرأ هو ومن معه سورة يس المعظمة وما تيسر من القرآن ، فقال بعد التختيم : مآثر الأولياء أفضل من قبورهم . وذلك لما مر من أنهم عند تلك المعاملات الصادقة والتوجهات الفائقة يفاجئون بالأسرار والمكاشفات ، وتتنزل على قلوبهم وأرواحهم الأنوار والرحمات ، فيتنعمون ويتلذذون بها كما قال بعضهم : إن كان أهل الجنة كالذي نحن فيه إنهم لفي عيش طيب . ومقالاتهم في ذلك مشهورة . وأما نفع زيارة قبورهم ومشاهدهم وتعهد مآثرهم ومعابدهم فذلك أيضا من الفضائل الشرعية ، والفوائد والعوائد الأخروية والدنيوية .

قال السيد الإمام البدل عبد الرحمن بن سليمان الأهدل نفعنا الله به في جوابات على الشيخ عبد القادر بن احمد الحفظي العجيلي عند ذكر كرامات الأولياء وأنها لاتنقطع بموتهم كما صرح بذلك غير واحد من الأئمة . ولهم في قبورهم أسرار ونفحات يمدونها زائرهم بمحض فضل الله سبحانه وتعالى . قال العلامة زروق في قواعد التصوف مانصه : قال شيخنا أبوعبدالله الغوري رحمه الله تعالى : إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن إجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الدار وهو يوم وفاتهم ، فزيارتهم فيه تهنئة وتعرض لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم ، فهي إذن مستحبة إن سلمت من محرم أومكروه بَيّن في أصل الشرع ، كإجتماع النساء وتلك الأمور التي تحدث هناك ، أولمراعات آدابها من ترك التمسح بالقبر ، وعدم الصلاة عنده للتبرك وإن كان عليه مسجدا

لنهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك وتشديده فيه ، ومراعاة حرمته ميتا كحرمته حيا . إنتهى كلام زروق .

وقد ذكر الإمام فخر الدين الرازي في المطالب في الفصل الثاني عشر في بيان كيفية الإنتفاع بزيارة القبور والموتى أن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر ، وقف هناك ساعة وحصل تأثر في نفسه من تلك التربة حين يحصل من نفس الزائر تعلق بتلك التربة ، ولايخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا . فحينئذ يحصل إجتماعهما على تلك التربة فصار هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع عن كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فكل ماحصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى يقتبس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت ، وكل ماحصل في نفس ذلك الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة ينعكس منها نور إلى روح هذا الزائر الحي . وبهذه الطريقة تصير تلك الزيارة سببا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح هذا الزائر ولروح المزور . فهذا هو السبب والأصل في مشروعية الزيارة . ولايبعد أن يحصل فيها أسرارا أخرى أدق وأخفى مما ذكرنا . وتمام الحقائق ليس إلا عند الله تعالى . إنتهى كلام الرازي .

وقال العلامة الدهلوي في شرح المشكاة مانصه : والنقل في ذلك كثير عن هذه الطائفة ، يعني الصوفية ، ولم يعرف في السنة وأقوال السلف ماينافي ذلك ويرده . كيف وقد ثبت في الدين أن الروح باقية ولها

شعور بالزائرين ، وأرواح الكمل قريبة من جناب الحق كما كانت في الحياة أوأتم من ذلك . إنتهى ، نقل ذلك شيخنا العلامة فخر الإسلام في تحرير المهتدين . هذا ومع ذلك فقد ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه (إغاثة اللهفان من مكائد الشيطان) مناكير كثيرة تتعلق بماذكر . وقد بين هو ذلك بأعظم بيان . وقد تبعه في جميع ذلك جماعة من المتأخرين وتعقبه في بعضه آخرون ، فليراجع ذلك والله الموفق والمعين والهادي إلى أقوم طريق . إنتهى .

ولسيدنا وشيخنا الإمام الجامع ، الحامد بن عمر بن الشيخ عمر حامد باعلوي التريمي نفعنا الله به مشهد عظيم في زيارة تربة تريم ، وقد إلتمس منه شيخنا الإمام الحبيب عمر بن سقاف بن محمد السقاف رضي الله عنه كيفية الزيارة وماورد فيه من الفضل والعوائد كما مر . وقد جاء في الأخبار والآثار في إجتماع المسلمين وعائدة بركة ذلك دنيا وأخرى مالايحصى . وقد سنها الشرع ليمنها وبركتها للمسلمين وعليهم في كل سنة مرة ، وذلك في عرفة وفي الجمعة من كل أسبوع ، والصلوات الخمس في كل يوم .

وسيأتي في الفصول الآتية زيادة نقل ونشر شعار لهذا الفضل ، وذلك في آخر الفصول التي فيها مشاهد سيدي الحبيب علي نفع الله به في هذه الجهة التي جعلها للمار بها تحية وتذكرة للذكر والدعاء ووجهة . وهذا المشهد له هذه الخصوصية في كل سنة ، وقد تكرر ذكر منافع هذه الجمعية ، وأن عامره لم يزل في خدمة الدين والسعي في نفع الإسلام والمسلمين ، ولاسيما بعد عمارته وتحويطه للمكان الذي رسمه بمشهد عمر ، وطاب فيه

المقيل والسمر ، وكان مثابة وأمنا لمن أقام به ولمن مَرّ ، فلما ظهر بهذا المظهر إضطرم من نار الحسد سعيرها ، في غالب قلوب ذوي الرئاسات وذلك سنة الله الجارية في صغير طوائف الناس وكبيرها ، أنه كلما زاد الفضل والشرف زاد الحسد والعنف والحتف . وكان رضي الله عنه لما كان عارفا بأن المحسودين لايزالون في زيادة بلا نقصان ، كان يتظاهر ببعض ماينكره أهل الجفا والمرادين بالحرمان ، فزاد بذلك حسدهم وحنقهم ، وتفرعت فيه أراضيهم وطرقهم ، فكان ينشر الشكوى من ردئ أفعالهم وأقوالهم ويتسلى به لدى من له حظ في حب الأولياء والراغبين في نيل منالهم . فقال رضي الله عنه في أثناء قصيدة أرسلها إلى أخيه الحبيب ابي بكر بن حسن نفع الله به قال فيها :

قل له علي دوبه مسمسر ساهر   مشغول ياولد الشرف وحلاني

يبات في الداجي سمــير السامر   مذهول هائم يافتى ولــــهاني

وكل جانب جاه منه ثاعــــر   حتى تكاثر شاغلي واضناني

قيدي ملوص بالمنور قاصــــر   في قصتي ياصنو مالي ثــاني

شيبت في الدهر الخئون الماكر   واهله تعاطوا كل بعــــدٍ داني

ماعاد حد بالخير منهم يأمــــر   أما الخطا صاروا عليه أعــواني

إلى أن قال :

والله مالي من بلاهم ناصــــر   إلا إذا رب السماء نجــــاني

إلى آخرها . عرضنا بذكر ماعرض هنا إذ الحديث شجون ، وله من بعضه بعضا ظهورا وبطون . وإذا علمت أن هذا المشهد حوطة ومأثر من مآثر الأولياء تحاماه الأسود ، وتلجاء إلى أمنه أهل الأغوار والنجود . وقد

إستحال ماكان فيه من نار الخوف والذعار ، إلى أن صار جنة ومحلا للأمن والجوار، لما غشيته من الرحمات العلوية النبوية والأنوار ، والسرور والأسرار . كما قال منتقيه ومقتنيه ومنشيه بإذن الله ومحييه ، لما رأى تزاحم الزوار ، وتراكم جميعهم وظهور الرسوم العلية والآثار ، قال عند ذلك الملك لله الواحد القهار ، الذي أزال الظلم وأنزل الأنوار ، وجعل الأخيار طهارة لمحل الأشرار ، ورنات التلاوة والموالد والأذكار، مكان الصياح والضغائن عند المغار ، والشفاء والوفا والصفا في منازل الظلماء والهموم والأكدار ، أحياها كما تحيا الأرض الميتة بالأمطار ، وأطفأ مافيها من الفتنة والمحنة كما أطفأ الماء النار ، وجلأ ظلمتها كما تجلي المصابيح حنادس الأغدار .

ومما أثبته في بعض رسائله إليه السيد القدوة الحبيب عبد الله بن محسن بن سالم بن الشيخ الحبيب عمر العطاس نفع الله بهم قال : وهذه الترجمة والنشيدة لسيدنا القدوة الطبيب عبد الله بن محسن بن سالم بن عمر العطاس ، تقبل الله منه بمنه وكرمه وجوده آمين . بسم الله الرحمن الرحيم ، هذه النشيدة الفريدة الخريدة مبشرة بالمظهر الكبير ، والمشهد المنير ، عمارة القطب الكبير ، برسم جده الشيخ الغوث الشهير ، إجتهد فيها بالإشارة ، وقام بالعمارة ، حيث شوقته أنواره ، وذلك المحل المعمور الذي كان في سالف الدهور ؛ مأثور بعمارة الكفار ، ومحل عبادة الأحجار ، ومشتهر بالهراء والمغار ، المسمى في زمان الكبار الكفار بالغيوار ، موطن الأشرار ، وملفا أهل الغيار . فحينئذ إنتحبت عبراته ، وارتفعت إلى الله أصواته ، وبث شكواته وتغيرت حالاته . وبث الشكوى ، وخشع

وبكى ، فأجابه سامع الدعاء ، ونظر إليه بعين الإسعاد ، ومده ينبوع الإمداد ، وتجلى له في ظلام الأغدار ، ولحظه بتجلي عمود الأنوار ، فصار ليله نهار ، وأذن له بالعمار ، فصار مؤنساً في الأغلاس ، فتجلى له رب الجنة والناس ، فحضر تلك الليلة وسيع الإيناس ، عمر العطاس ، وفاز المشهد بجملة الإقتباس . فلما أراد الله إحياء ذلك الموطن ولاحظه وأمعن ، فاختار من بريته عبده الحائز والجامع لكل فن ، علي بن حسن . فوسع العمارات بذلك المكان ، ولاحظته الأعيان ، وسارت إليه الركبان ، وجاءته عباد الرحمن من كل مكان ، فهو الآن محل الجود والإحسان ، والعمل والعلم بالإيمان . أدام الله بحياته ، وطول ساعاته ، وأعانه على عمله وطاعاته وعمارته . إنتهى . والقصيدة نحو الخمسين بيتا وهي التي أولها :

ياعلي بن حسن منك وصلن البشارات

وليس ذلك بعظيم في جنب أوليائه المتولي لهم بعنايته وولائه ، ومعرفته ومحبته ورضائه .

قال الشيخ العارف بالله تعالى عبد الرحيم بن احمد باوزير صاحب الغيل قدس الله روحه في وصفهم : أخي إن قرأت مكنون سعدهم فيحبهم ويحبونه ، وإن نظرت منشور مجدهم فرضي الله عنهم ورضوا عنه . وإن سألت عن مقامهم فعند مليك مقتدر ، وإن أردت وصفهم فأولئك أعظم درجة ، وإن كبر ماظهر منهم فما تخفي صدورهم أكبر ، وإن علمت نفس ما أحضرت فلا تعلم نفسٌ ما أخفي لهم من قرة أعين . إخواني رحمكم الله : عليكم باتباعهم تكونوا من أتباعهم ، وسلموا إليهم مايسمع عنهم تنالوا السعادة . إنتهى من ترجمة المذكور من طبقة الشرجي .

ومر في المقدمة عن الشيخ حسين بن عبد الشكور قريبا من هذه العبارة .

وقد ذكر الإمام الغزالي رضي الله عنه : أن الكعبة قد تُرى تطوف ببعض الأولياء بل الكون كله قد يتوجه إلى الولي بالسجود . ثم قال رضي الله عنه في القصيدة المتقدم ذكرها المبني أمرها على ذكر ماهو على وجه الإتساع في شرف البقاع ، ومايقصد عامرها من الإنتفاع . قال في أول الأبيات المارة بذكر أنواع العبادات والنفائس المستجادات ، ثم ذكر بعده مايروح النفوس ، ويحديها بذلك الإسترواح المحسوس ، في حضرات القدوس ، الموروث من قوله صلى الله عليه وآله وسلم (أرحنا بها يابلال) (وجعلت قرة عيني في الصلاة) . نعم من قَلّ بها المبالاة في الخشوع ، فلاحظ له في تلك المناجاة ولاالشرب من ذلك الينبوع . قال رضي الله عنه :

والشرح ذي يشرح الخاطر بقصبه وطار　　والظاهري والدحيفه والـبرع والمدار
والخلق في صفو دائم ليلهم والنهار　　وعندهم ماء عطيه طب من كل ضار
أجراه ربك لبن من حوض بالحلو دار　　من فت به قرص حانذ لايدور خصار
إذا شرب منها المعتاق روح وسار　　طب الحُمه يذهب الحمى شهادة قرار
والجابيه والسقايه مطفيه كل حار　　حوض النبي من شربها صح قلبه ونار

إلى أن قال :

والمشهد اليوم فيه الفائدة والضمار　　بني على خمس يكفي من عرف واستخار
الكون في عون جمع المسلمين الخيار
والسقي للعاطش المحرور فيه الحوار　　والموصله يوم ينقطعون فيها مرار

وانس المواحيش في ليل الخلا والنهار وأمان من خاف من لا خاف نار وعار

إلى آخرها . وقوله رضي الله عنه : والشرح ذي يشرح الخاطر . إلى آخره . فقد قدمنا الإشارة في الإختلاف في السماع وما للأولياء فيه من المشارب والأذواق . وأما تعاطي ذلك في المشهد وفي أوقات الزيارة فله في ذلك مآرب أخرى : منها إنجذاب الناس إلى حضور هذا الجمع لأنه من المطالب التي يستروحون بها ويميلون إليها ، فإذا حضروا أدخل لهم التذكير والوعظ في معرض ذلك في وقت جمعياتهم . ومنها أن من في نفسه شيء من ذلك الجانب المقدس أن يجعل ذلك من الأسباب التي ينكر به عليه . قال بعضهم : إياك وسوء الظن بمن تراه من الفقراء يختلف الناس في أمره إذ لايشترط في كمال الداعين إلى الله تعالى من الأولياء إطباق الناس على تصديقهم ، إذ لوكان ذلك شرطاً في الكمال لكان وقع لنبينا وللرسل قبله صلى الله عليه وعليهم وسلم ، وقد صدقهم قوم هداهم الله بفضله وكذبهم آخرون أشقاهم الله بعدله ، وإنما كان الأولياء على قدم الرسل عليهم الصلاة والسلام في مقام التابعين لهم ، فإذا إنقسم الناس فيهم فريقان فريق معتقد صدق ، وفريق معتقد كذب كما وقع للرسل عليهم الصلاة والسلام ليحقق الله بذلك ميراثهم ، فلايصدقهم ويعتقد صحة علومهم وأسرارهم إلا من أراد الله أن يلحقه بهم ولو بعد حين ، وأما المنكر عليهم والمكذب لهم فهو مطرود عن حضرتهم لايزيده الله بذلك إلا بعدا ، ومن إعتقد في الأولياء الماضين وأنكر على أولياء زمانه فهو كبني إسرائيل صدقوا بالنبي موسى عليه الصلاة والسلام حين لم يروه وكذبوا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم حين رأوه ، وهو أشرف وأعظم من نبينا موسى

ومن سائر الأنبياء والمرسلين بيقين ، وإنما كان ذلك حسداً منهم وعدوانا وشقاوة . إنتهى من تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس .

وماذكرناه عن سيدي الحبيب علي قدس الله روحه فيما مر في قوله في الأبيات : والشرح ذي يشرح الخاطر . إلى آخره ، فإنه يريد بذلك إنشراح الأوداء وإغاضة الأعداء ، وذلك على طريقة أهل التخريب . قال القطب اليافعي نفعنا الله به في كتابه نشر المحاسن : واعلم أن مذهب أهل التخريب مبني على إظهار المساوئ وإخفاء المحاسن . وأنواع التخريب كثيرة ، والمخربون كثيرون لايزالون يتعاطون مايؤدي إلى إساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم بالعظائم ، لايحتفلون بمدح الخلق ولابذمهم إستجلاء بالكمال والإخلاص ، واستبراء للنفس من شوائب الشرك الخفي الذي لايسلم منه إلا الصديقون ، وذلك لأن الإنسان إذا كان يطلب المنزلة في قلوب الخلق رآهم بأعماله ، وصانعهم في أقواله وأفعاله ، فيبقى على حذر من أن يظهر لهم شيء من النقص فيه ، وذلك عين الرياء الذي هو الشرك ، وأما إذا كان لايبالي بهم أقبلوا أم أدبروا ، أحسنوا أم أساؤا فقد كمل حاله وصفا إخلاصه ، فهو لايبالي إذا كان عند الخلق زنديقا إذا كان عند الله صديقا ، فلهذا سلك كثير من أولياء الله تعالى طريق أهل التخريب المار معناها. فبعضهم يؤهم الناس أنه لايصلي ولايصوم وهو يصلي ويصوم بالباطن فيما بينه وبين الله تعالى ، وقد شوهد كثير منهم يصلون في الخلوات ولايصلون بين الناس ، وبعضهم إذا بات عند الناس يوهمهم أنه نائم ويخرج إلى المزابل يوهمهم أنه يبول وليس به بول ، بل يصلي الصبح بوضوء العشاء ، وبعضهم يكشف عورته بين الناس ،

وبعضهم يشتم الناس بالألفاظ القبيحة ، وبعضهم جاءه بعض الملوك زائرا في عسكره فاستدعى بطعام فجعل يأكل أكلا شنيعا ويلطخ نفسه ، فانصرف الملك وقال ليس عند هذا خير . إلى آخر ماذكره في نشر المحاسن . إلى غير ذلك مما ذكروه في قصة الحمام .

واعلم أن سيدي الحبيب علي بن حسن صاحب هذه المناقب المحكي عنه في جميع أفعاله رفيع المراتب رضي الله عنه ونفعنا به لعلو مقامه وتمام فراسته وخبرته بما يصلح به حاله وحال من عاشره من أهل الزمان من الموافقين الصادقين والمارقين المماذقين ، كان نفع الله به متوسط الحال ظاهر الإستقامة لم يغلب عليه حال أهل التخريب ولم يحتج إليه إلا نادرا ، وله في ذلك غرض وأي غرض ، وهو أنه من كان يحبه ويعتقده يجري مايقع منه من استعمال آلات السماع ويحمله على أحسن المحامل ، ويرى أن ذلك في حقه يحصل له به من آثاره الأذواق والأحوال التي تحصل للأولياء عند السماع ، هذا في حق نفسه . وأما في حق الغير فيرى أن مراده في حق العوام بأن يشغلهم عن محرمات أضر عليهم من السماع ، وأفسد لقلوبهم ودينهم منه ، وذلك كالإشتغال بالغيبة في مجالسهم ومحاضرهم فإنه ورد : أن الغيبة أشد من اثنتين وثلاثين زنية بالأم . وقد سئل الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به عن ذلك أنه كيف تضاعف وزر الغيبة على الزنا بالأم هذا العدد مع أن الزنا بعد القتل أكبر الكبائر وأعظم الفواحش ؟ فأجاب رضي الله عنه بما معناه : أن الزنا وإن كان بهذه المثابة وفيه إختلاط الأنساب ومفاسد فهو في الأمر الظاهر فاحش ، ولكن الباعث عليه مجرد الشهوة وهي من أوصاف البهائم ، وأما

الغيبة فإن الباعث لها الحرص على هتك أعراض المسلمين ، وأن في قلب المغتاب غش وغل على أخيه المسلم وذلك من أوصاف الشياطين ، ولذلك تضاعف التشديد فيها . هذا معنى جوابه .

ومن مقاصد سيدي الحبيب علي قدس الله روحه في إشغال العوام بآلات اللهو ماذكره الشيخ محمد بن عمر بحرق الحضرمي في مناقب القطب العيدروس العدني رضي الله عنه قال : وكان يروض العوام من الفقراء والغلمان ليحفظهم عن المعاصي بالسهر ، فيوهمهم أنه يريد الأنس بهم ، ويجعل لكل من واظب معه على السهر مرتبا يعطيه إياه في صبيحة كل ليلة في مقابلة سهره ، ويزيد من يخشى عليه الإنهماك في المحرمات في المرتب ، فتراهم ملازمين للسهر ليلا وللنوم نهارا حتى يمضي على أحدهم مدة ولاعلم له بما الناس فيه رغبة في تحصيل ذلك المرتب ببركته ، ومن حيث لاشعور له بذلك من الفواحش في الليل والغيبة وغيرها بالنهار . فللّه دره ما ألطفه في سياسته ، وماأظرفه في تربيته ، ومأ أرأفه بعباد الله ، وما أرحمه بخلق الله . ولذا كان يقول : إني إذا رأيت المؤمن قد وفقه الله لأداء الفرائض واجتناب الكبائر أرحت خاطري منه لأنه قد صار مع الركب يمشي على قدميه ، وإنما أشغل خاطري منه وأصرف عنايتي وأبذل جهدي في خلاص من رأيته منهمكا في العصيان ، واقفا في حبائل الشيطان .

(قلت) ولايخفى أن هذا مقام عظيم ، وقد وصف الله نبيه الكريم بقوله { **عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** }

[1]وقال صلى الله عليه وآله وسلم لعلي رضي الله عنه (لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم) متفق عليه . ويروى عن الشيخ الكبير العارف بالله عمر بن ميمون صاحب أحور رضي الله عنه أنه كان من أصحاب القطب الرباني إسماعيل بن محمد الحضرمي ثم اليمني قدس الله أرواحهم لما توطن أحور كتب إليه الفقيه إسماعيل يقول له : كيف آثرت سكنى أحور على تهامة ؟ فأجابه : بأن أكثر أهل تهامة مشاة على أقدامهم وإني وجدت بلد أحور بلد الساقطين لكثرة الربا فيها والزنا والخمر وغيرها من الفواحش ، فأرجو أن ينقذ الله أحدا منهم من النار على يدي . فرد عليه الفقيه إسماعيل رحمه الله : هنيئا لك لقد ظفرت بما لم نظفر به . فهدى الله به خلقا كثيرا . ومن أجل من إنتفع به الشيخ القطب الفرد شهاب الدين احمد بن أبي الجعد قدس الله أرواحهم . ولهم رضي الله عنهم مقاصد صالحة يرشدهم الله إليها ويكون هو المتولي لهم فيها لقوله تعالى { **وهو يتولى الصالحين** } فيجب تسليم أحوالهم لهم وتطلب التأويلات الحسنة والمحامل الجميلة . وقد قال الفقيه العالم الرباني الشيخ محي الدين النوفي قدس الله روحه في كتاب التبيان بعد أن حث على ذلك : لايحرم التأويل لما يصدر من الشيخ إلا شقي . إنتهى من مواهب القدوس نقلناه وماقبله بطوله لأنه واقع من أحوال سيدي الحبيب علي صاحب المناقب رضي الله عنه ، وأن له فيهم أسوة وله قدوة بأهل الله من سلفه وغيرهم ،

---

[1] الآية : ١٢٨ التوبة

فلم يبق للمنكر شيئا من أحواله طريق بحال ، ولا للمتوقف والمتحير توقف ولا إشكال .

وأما قوله في القصيدة المار ذكرها رضي الله عنه : والمشهد اليوم فيه الفائدة والضمار . يشير في ذلك إلى الآية المنزلة في الموقف العظيم ، المغفور فيه للذنوب من كل ذي قلب سليم ، عن الشك والشرك والإفترأ والإفك وهي قوله تعالى { **وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله** }[1] الآية . قال أهل التفسير : المنافع تطلق على الأخروية وهي مافي الحج من الأعمال الفعلية والقولية ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم : إنما أقيمت الصلاة وأشعرت المناسك لإقامة ذكر الله كما قال تعالى { **ويذكروا اسم الله** } ومن المنافع التجارة وغيرها من المنافع الدنيوية . قال الشيخ عبد الخالق المزجاجي الزبيدي رحمه الله على قوله تعالى { **ليشهدوا منافع لهم** } على لسان أهل التأويل والإشارة ، وهي يعني المنافع تنمية أعمالهم وتوقيعات حوائجهم وتوفير مشاربهم وأذواقهم ، ويأخذ كل عضو منهم حظه من هذه الحضرة العلية . إنتهى .

وقد إقتبس سيدي الشيخ الحبيب علي قدس الله روحه من تلك المشاعر والمشاهد أن لكل مشهد ومشعر يجمع المنافع الأخروية والدنيوية حظ من تلك المشاعر العظام ، يشير إلى ذلك بقوله رضي الله عنه : والمدينة ومكه من سلفنا بها آيات . يعني أنهم هم الأصل في كسوة المشاعر

[1] الآيات : ٢٧ – ٢٨ الحج

بالأنوار ، وبهم مظاهرها فيما أشير إليه من كلام واسع المهيع ، عزيز المنبع . وكل أهل دائرته لهم هذا المعنى خاص وبينهم دائر كما قيل : لكل قوم مشرب ، ولكل جيش مطلب ، وللناس فيما يعشقون مدخل ومذهب . ولله در ذي الرمة حيث يقول :

إذا هبت الأرياح من نحو جانب ... به أهل ميّا هاج قلبي هبوبها
هوىً تذرف العينان منه وإنما ... هوى كل نفس حيث حل حبيبها

ولله در القائل :

ألا أيها الوادي الذي طاب ريحه ... عسى لك عهد من سعاد قريب
فحييت من واد بكل تحية ... لأنك من أهل الحبيب حبيب

****

(فصل) قد علمت مافي الأبيات التي مطلعها : مسقط النور ، والتي بعده : عل بن حسن حوط الغيوار والقا مزار ، مافيهما من

الإشارات والبشارات ، والقياسات الجليات الظاهرات . وله أيضا أشعار مستجادات فمنها قوله في أثناء قصيدة :

واسمع قوافي كما ذوب العسل يلتقم　　فيها معاني ومن له قلب زاكي فهم

تشهر ليالي وفاها بالوفـــا يرتسم　　مامثلها لا ومن له وصف كامل يتم

ليالي النور ذي من لاحضرها ندم　　ثالث ورابع وليـلة شـهرها ينقسم

ربيعها في ربيع أول لـــنا ينسجم　　وقفة عمرالأولياء في وعدها تـزدحم

تحكي زمر ياعمر من مروادي عصم　　والعاده إن من حضرها موطنه يرتحم

وإن كان أنا أخطيت لاحد منكم يرتغم

وقال في أثناء قصيدة أخرى :

وبعد ذا الحين قف لي ياتريف البدن　　ياسامي العنق الأجرد ياحميش السين

باقول لك قول واندب لك ليالي مضن　　ليالي الجمع في المشهد متى يرجـــعن

ليالي النور عندي والهنا والزيــــن　　عندي لهن زهوزائد مثل زهو الزين

مجمع كما مجمع المشهور مولى عـــدن　　وعادها تشتهر في شامها و اليمـــن

مورد عمر عِد واسع كل من جا حفن

وقال في الأخرى :

وقفه تقع في ربيع أول زمرها يجـين　　مراكب الـبر تحسبها مراكب صرين

في وعدها تجتمع الأشراف والدولتين　　ثاني عشرفي ربيع أول كماها في أين

إلى أخرها . وقال في أثناء الأخرى :

ثم ذا الحين ياناس إسمعوا ترجماني　　ماء عطيه شفا تحسبه ريق الغواني

والسقايه ترحب بالظـما كل واني　　من شرب قال ويش ذا حب في ذا المكان

نفعها عم للعـــربان قـاصي ودان والمصالح في الوقفــه وفيها التماني

وعدها في ربيع أول على العشر ثاني كل من هو يبا قسمه يقرب الأواني

تجتمع الأولياء واهل الكتب والمثاني والنبي والخضر والياس فيها قراني

وإن عمي خصم قد شافه ولي بالعياني والله إني نظرته في الثياب الحسان

يبترع في المــــداره والعصا باليماني وقفة الحج كم للخـــــير فيها مجاني

حد يجيها من القبله وحد من عماني قل لعبد الله القاعد هنا عن يماني

منصب الشيخ وابنه نجل عبدالرحمن ذا يبا شكر يوم الله لها قد هـداني

وقال في أثناء الأخرى :

ياطالب الصفو باتلحق كماها في أين في موسطة الأرض ياهيف بين دوعن وعين

ميعادها في ربيع أول زمرها يجـين *بانت كرامات في المشهد وظهرت خـزين*

تعن من بعد ياطالب يقع لك عــوين مشهد عمر شيخ فوق الناس ماهـو دوين

ماشي كما ذاك ذي شفناه في الخافقين ظلا الخضر بينهم شفناه بالعين عين

دخل مع أهل المرازح والصفوف إلتقـين *سرح وروح وعين أعيان الأعداء غفـين*

في مشهد أميات بالمشهد على غير مـين أعراب واشراف نسل الساده المصطفين

والشاهد الله كفى عن مشهد الشاهدين إلا العدو مايصدق يلقي الـزين شين

وله أيضا هذه القصيدة :

ماشي كما ماء عطيه في جميع المياه سليط لمسه وتحسبه العسل في حلاه

ومن معه شك فيما قلت يدلي رشاه ياخيرمورد على مشهد عمر في فـلاه

من فاز منها بشربه والله إنها شفـاه يازائر المشهد أضمر بالنــيه ماتشاه

وسر لحاجتك واحذر من كلام الوشاه وقفه تقع في ربيع أول تضم الـــولاه

الخير فيها ويحضرها الخضر في الحياه   شافوه صحوه ومن كذب شهودي ثقاه

دخل مع أهل المرزاح شخص حامل عصاه   له لون فتان ألا يابخت من قـــدرآه

وأنا معي ظن في الرحمن وافي عطاه   إن العوائد جميله عائده من قـــداه

وإن الخضر دوب يحضرها بحق أنبياه   من أول الوقت في الوقفه إلى منتهاه

والفي صلاتي لمن وجبت عليه الصلاه   وآله وصحبه ومن حبه ولبا دعـــاه

صلى عليه المهيمن والملك في سماه

ولسيدي وشيخي الحبيب الإمام جعفر بن محمد العطاس نفعنا الله به قصائد في فضل المشهد ومنافعه الدنيوية والأخروية ، ومن أجودها قوله رضي الله عنه :

أهلا وسهلا بكم يا أيها الـــزوار   طبتم وطابت مساعيكم إلى الغيوار

بشراكم بالمسرة وانقضا الأوطـــار   لاخيب الله من جاء زائر المحضار

عمر إمام الأئمة ساسنا والـراس   القدوة المعتقد بحر الندى عطاس

وابنه حسين الغضنفر فارس اللباس   وعامـــر المنزل المحفوف بالأنوار

ولد حسن ذي سكن في ساحة المشهد   والقا لمن بايزوره في السنة موعد

ثاني عشر في ربيع أول بدا المشهد   طوبى لمن بالزيارة من بلاده سار

لاسيما إن صلحت النية له البشرى   ينال ماشاه في الدنيا وفي الأخرى

هذا بأغلى ثمن لك يافـتى تشرى ... فحسن الظن بالمولى وبالمخـــــتار
فحسن ظنك يبلغك المنى والسول ... فالرب عند ظنونك صح في المنقول
عنه بلاشك فيه فاشحذ المعقــول ... بل واستخر مايفيدك حين ماتختار
أقبل يقابلك مولانا بما يرضــيك ... مطلبك في ساحة الغيوار بايعطيك
دنياك وأخراك يكفي عنك مايؤذيك ... ولايسلط عليك أعدا ولاجـــبار
من جاء بنية صحيحة معتني زائــر ... لابدماينثني بالفـــــائدة ظافر
مهلا الكسل والملل كن يافتى صابر ... تعطى الهنا والمنى من عالم الأسـرار
فكل من عان في مشهد عمر بالمال ... يضاعف أجره وفي الدنيا مراده نال
وجرب إن كان عندك شك فيما قال ... أبو حسن قطب وقته سيد الأبـرار
تلقا كلامه بعون المالك الخـــالق ... ماشابه المين كلا سابق أولاحــق
وفي جميع المقاصد من خلف صادق ... وأنا علي باتكلم به مع الحضـــار
وقال من عان في ذا المنصب الظاهر ... كأنما عان جدي المصطفى الطاهــر
بظن صادق ومولانا العلي القـادر ... يهنا الجميع الذي يأتـــون له زوار
وكل من خان يبشر فيه باللوحــه ... لوكان عيّن لحيقه فيه مطـــروحـه
فربنا ينتقم يأخذ بها روحــــــه ... وإلا إفتضح وابتخس دنيا ودين الضار
فاقبل هديت النصيحة أيها السامع ... إن كنت في فضل مولانا الغني طامع
عذ به ولذ به وسل من فضله الواسع ... وكن على مابلاك الله به صـــبار
واعلم يقين أن زائر بوحسن مقبول ... ظافر وفائز بنيل السؤل والمأمـول
وارد وصادر يحصل زائره محصول ... شهدوا بهذا الذي قلته رجال أخيار

وليس يغبا على ذي لب ماقالـوا　　فكم بحسن الرجاء في الله قد نالـوا
بصدق واخلاص لاكذبوا ولااحتالوا　　لله من قوم تروى عنهم الأخـبار
يازائرين الجميع الله يقـبلكم　　ويغفر أوزاركم جمعا ويرحمـكم
لايجعل الله آخر عهد ذا منـكم　　والكل في خير دائم والوطن يختار
ثم الصلاة على سيد ولد عـدنان　　*وآله وصحبه أولي المعروف والعرفان*
وتابعيهم إلى يوم اللـقا باحسـان　　عدد شعر من شرب من منهل الغيوار

*****

وله قصائد في المشهد وزيارته غيرها نقلنا منها هذه تبركا وتائيدا وتأكيدا ، إذ قائلها من الشهود العدول ، ومن الحاملين لأعباء المشهد بالحال والمال ، والمتحققين لعامره بحسن الظن عند الله من القبول ، وإلى حضرته المقدسة بالمعرفة والوصول .

ومن القصائد لسيدي الشيخ الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به في شأن التنويه بالمشهد قوله رضي الله عنه :

مشهد عمر قل لباشيبه ثبت مجمعه　　ماهت عطيه شفيه وصل في مقطعه

إلى أن قال متخلصا قاراً بعد شهود الواسطة إلى التوحيد والتفريد والتجريد . فقال رضي الله عنه :

نستنصر الله نستحفظه نسـتودعـه　　نعم الربيع الذي من لاذ به ربّـعه
يامستجيب إستجب داعي دعاك إسمعه　　واعطه طلابه وضم أشياته الضائعه
ولاتحيجه إلى مخلوق ماينفـعه　　لوكان والده وابنه وأمه المرضـعه
ماتسعد ألا أنت يامولى السماء الرافعه　　تغني وتقني وتشفي منه مايوجـعه

من كنت مولاه مايخشى لعزه ضعه ينال سؤله ولايظفره من نازعه
ومن خذلته فلا تحزم به المصنعه ياواسع الجود جودك جم لاتمنعه
واجعل مزون المطر في أرضنا شائعه وتصلح القلب والقالب بتلك السعه
وعاف واحفظ وسلم وانشر المنفعه في الدين والأهل والإخوان والأمتعه
وطهر الغل منا والحسد وانزعه وصل يا الله على احمد شافع الشافعه
وآله وصحبه ومن حبه وجاهد معه صلاة دائم إلى لقياه في مجمعه

واعلم أيها الواقف على هذه القصائد والمدائح والمثاني في مشهده المشهور ، ومعهده المبرور ، والذي رسمه بمشهد عمر ، أن كل ماقاله وأثنى به وذكره من الفوائد والعوائد والمقاصد والشواهد ، كل ذلك واقع على إلهام رباني الذي هو للأولياء كالوحي للأنبياء . وأيضا فذلك من باب إظهار فضيلة الشيء لتظهر خصوصيته وتميزه على غيره ليرغب فيه الراغب ، ويحرص عليه الطالب كما ذكر ذلك الشيخ ابن حجر رحمه الله ورضي عنه في خطبة التحفة عند ذكر الإمام النووي رضي الله عنه وماتميز به المنهاج على المحرر قال : وذلك ، أي ومدح النووي للمنهاج من قبيل قول يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام { **اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم** }[1] ووجه ثالث وهو أعلى من الوجهين المتقدمين وأنسب لحال سيدي الحبيب علي قدس الله روحه وهو ماذكره الإمام بأن العارف يرى نفسه وجميع العالم صنع الله وتصنيفه ، فإذا أثنى على نفسه أوعلى ماينسب إليه فإنه إنما يثني على الله تعالى . قال رضي الله عنه : من قويت بصيرته

[1] الآية : ٥٥ يوسف

ولم تضعف منته فإنه في حال إعتدال أمره لايرى إلا الله ولايعرف غيره ، ويعلم أنه ليس في الوجود إلا الله تعالى ، وأفعاله أثر من آثار قدرته ، فهي تابعة له ولاوجود لها بالحقيقة دونه ، وإنما الوجود للواحد الحق الذي به وجود الأفعال كلها ، ومن هذا حاله فلا ينظر إلى شيء من هذه الأفعال إلا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث أنه سماء وأرض وشجر وحيوان ، بل ينظر فيه من حيث أنه صنع الواحد الحق فلايكون بصره مجاوزا له إلى غيره ، فمن نظر في شعر إنسان أوخطه أوتصنيفه فرأى فيه الشاعر والمصنف ، ورأى آثاره من حيث أنه أثره لا من حيث أنه حبر وعفص وزاج مرقوم على بياض ، فلا يكون قد نظر إلى غير المصنف ، فكل العالم تصنيف الله تعالى . فمن نظر إليها من حيث أنها فعل الله تعالى ، وعرفها من حيث أنها فعل الله تعالى ، وأحبها من حيث أنها فعل الله تعالى ، لم يكن ناظرا إلا في الله ، ولاعارفا إلا بالله ، ولامحبا إلا لله . وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لاينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث أنه عبد الله . إلى آخره . إنتهى من كتاب المحبة من الإحياء .

تتميم وتختيم لمعنى هذا الفصل الفخيم : إعلم أولا أنه لما ساقت الأقدار ، رواحل القصد وعزائم الإلهام والإدكار ، في أن تحيا هذه الأرض الميتة بالطاعات والدعوات والأذكار ، وقع الإحياء الجامع لمنافع الأحياء ، أن هذا المشهد المسمى بالغيوار مسامتاً لبلد حريضة حوطة الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس وولده الحسين ، إشارة إلى أنهما كعبته التي يتوجه إليها بالقلب والحواس في سائر الأحايين ، وليجري إلى تلك البقعة ومحل

النجعة مددهما إليه وإليها بالإستواء بلا إعوجاج ولا إلتوا ، لأنه لايخفى مافي بيان التعريج من الإلتفات والتدريج . وثانيا أن إضافته لمشهد الغيوار إلى جده الشيخ الحبيب عمر في نظمه ونثره وكيف ماكان وحيث مادار ، وفي ذلك غاية الفنا في الواسطة ، وإشارة إلى قوة الإتصال والرابطة ، وشواهد ذلك قائمة ، وقواعده متلازمة ، لاتحتاج إلى دليل وبرهان ، بل دلائله أنباء القرآن ، والأخبار الصحيحة الحسان . وأما الحضرة العمرية فلها مزية وخصوصية ، مؤطدة الأركان مشيدة البنيان . وقد تكلمت على هذا المعنى في كتابي المسمى (فيض الأسرار في شرح سلسلة سيدي وشيخي الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار) والأخذ في ترجمة الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفع الله بهما في مكاتبة من الشيخ الأستاذ الحبيب احمد بن زين الحبشي- قدس الله روحه وهو قوله فيها : إلى الحضرة العمرية القمرية المشرقة بعمر القمر . إلى آخرها . فأوضحت مافي هذه الكلمات من الإشارات والإستعارات من كلام السادات العارفين الأبرار المصطفين . فأقول : معنى الحضرة العمرية وكونها قمرية أن صاحب الحضرة العمرية يكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم خلافة نبوية ، وحقيقتها ماذكره الشيخ الإمام عبدالخالق بن علي المزجاجي الزبيدي قدس الله سره قال : إن هذه الحضرة هي حضرة القيام على الأرحام مع الأرق على الدوام ، وهذا مقام الخلفاء الراشدين ، لاسيما عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعنهم فإنه قال : لو ماتت سخلة في أقصى العراق لخفت أن أواخذ عليها . ثم قال أعني المزجاجي : وبيان ذلك أن من أعطاه الله تعالى هذه الخلعة الشريفة ، أي المشار إليها في كلام له قبل هذه العبارة ، أي بأنها خلعة

الولاية والوراثة والخلافة السرية ، كان أولى بالمؤمنين من أنفسهم وراثة نبوية وهي أبوة حقانية سرية سار نورها في العالم ، فثبتت بنوة جميع العالم له ، ويدخل في ذلك بنوآدم دخولا أولياً خصوصا المؤمنين منهم ، إذ هم المقصودون من الخطابات الإلهية ، وإذا ثبتت بُنَوتهم له ثبت كونهم أرحاما ، وإذا ثبت كونهم أرحاما ثبت أرقه ويقظته لما هم عليه على الدوام ، لأن الوالد دائما يرقب أحوال أولاده ويلاحظهم ولايفتر عنهم إلا لعوارض وفرائض ونوافل . وقد تحصل منه الملاحظة لهم وهو في أفضل العبادة كما قال سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إني لأجهز جيشي وأنا في الصلاة . فهذه هي اليقظة الدائمة في المدة الكائنة إنتهى . فَفُهِم من هذه العبارة أن سيدنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به خليفة في هذه الحضرة العمرية ، قائما بالحقوق للأقربين الأدنى فالأدنى ، والمسلمين الأولى فالأولى . وأما كون هذه الحضرة قمرية ، أي أنها في إمداداتها شبيهة بالقمر لأنه فلك طبيعي في الفلك الأسفل شأنه قبول النور من الشمس على أشكال مختلفة ، والقطب كذلك يتنزل ويتنقل في جميع الحضرات الساري نورها من حضرة الأسماء والصفات ، وهي الحضرة المحمدية ترقياً وتدليا وتعلقا وتخلقا ، فهو أي القطب القمر القابل لأنوار الحضرات بالأنوار المختلفات ، فهو واسطة لتنزل الأسرار والأنوار والتجليات الفائضة من سره وقلبه ، إلى أرواح الأولياء وقلوبهم على إختلاف قوالبهم ومراتبهم . قال ذلك بعض العارفين .

ولسيدي الإمام بحر العلوم والمعارف والأسرار ، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي نفعنا الله به وبسلفه ، كلام يدل على

تقرير هذا المعنى ، قال رضي الله عنه في كتابه المسمى (رفع الأستار عن مفاتيح الأسرار) قال على قوله :

ويعود منعكسا به نور الهدى بين الورى للحق منه مجالي
فتراه خَلقاً وهو حق جامع لمجامع الإفضال والإنـــزال

أي أن هذا العبد إذا صار فانيا في الله وعاد باقياً بالله لايحجبه الخلق عن الحق ، ولايدهشه الحق عن الخلق ، صار كالقمر المنير يتلقى أنوار الشمس فتنعكس على العالم فتشرق به أنوار الحق في الخلق ، فله فيهم منه مجالي ، على أشرف التقديس والتنـزيه في جميع المعالي ، فتراه أنشأه خلقا بشراً سويا ، وهو حق قد غمره نور الحق وصارت بشريته مطوية في نورانية خصوصيته ، كما انغمر البدر بنور الشمس عن ظلمانيته ، فهو عبد الله الجامع لجميع مظاهر الأسماء والصفات ، يعبد الله بجميع الأطوار في جميع الهيئآت ، مظهرا لمجامع الجمعيات ، في العقليات والسمعيات ، يتواتر إليه الإفضال بجميع المطالب والهيئآت ، ويتوالى عليه الإنزال بكل خير في جميع التنزلات . إنتهى كلام الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله نفع الله به نقلناه وماقبله ليعلم أن هذه الحضرة العمرية القمرية حقيقتها ومعناها حاصل لكل من قام في هذا المقام في كل زمان . وأن سيدي الحبيب علي رضي الله عنه رسم هذا المشهد بأنه مشهد عمر ، وأنه من ممالكه التي عليها وفيها أقيم بأمر ، ثم جعل له أعوانا مؤيدين وعن الحق بالحراسة مستخلفين ، سيأتي ذكرهم قريبا . واعلم أنه رضي الله عنه ككثير من أهل الله يتعرضون للسؤال بجاههم ، ويستخرجون المال من

الأشحاء والأضنا وينفقونه على أهل الحاجات والضرورات من الفقراء والمساكين .

ومن آخرهم من سالكي هذه الطريقة ممن عظم جاهه وعلت منزلته في قلوب الناس الشيخ الغوث عمر بن عبد القادر العمودي نفعنا الله به ، فقد كان يسائل الناس ويتعرض للجاه وينفق الإنفاقات الواسعة على قاصديه وزوار الشيخ سعيد ، وقد يحتال على بعض المؤسرين فيستوهبه شيئا من ماله فإذا وهبه وملكه أعرضه عليه ليشتريه بثمنه ، وقد يفتح باب بعض الناس لاسيما أهل عشيرته وإذا وجد شيئا من النقد أخذه وصرفه كذلك ، ويرضون بذلك منه إذا علموا .

وأما سيدي الحبيب علي نفعنا الله به فإنه كما قال في القصيدة السابقة : من معه شيء يجيبه جمكم والشويات . يعني بذلك كل ناصر ومعين من صاحب جاه أوحال أومال . وعمارة المشهد والقيام بحقوقه صار ثغرا من الثغور التي تجمع أمورا كثيرة من التأمين والضيافة والحراسة وغير ذلك من المصالح العامة ، فعلى ذلك يستحق نصيبا في مال المصالح . وأهل الطرائق لهم إختيارات لها شواهد من السنة ، فقد ذكر الشيخ علي المصري في كتابه (تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس) أن الشيخ يوسف العجمي شيخ الطريقة الجنيدية بمصر يقول لنقيبه : إذا دق أحد باب الزاوية فلا تفتحوا له الباب إلآ إن كان معه فتوح للفقراء وإلا فهي زيارات . فقيل له مرة كيف هذا وأنتم قد خرجتم من الدنيا ؟ فقال : أعز ماعند الفقير وقته ، وأعز ماعند أبناء الدنيا دنياهم ، فإن بذلوا أعز ماعندهم بذلنا أعز ماعندنا .

وقد سار على هذا القدم خليفة هذا الأستاذ المعظم حفيده وخليفته وحامل أعبائه على كاهله ، الحبيب العارف بالله تعالى المسفر عن وجه الرفق والرحمة ، والسعي في المصالح للأمة ، هادون بن هود بن الشيخ الحبيب علي نفع الله بهم ، فقد إقتفا أثرجده واتبع آثاره وقام بالمشهد ، واتسعت العمارة حسا ومعنى ، فرادا ومثنى . ثم إن للقائم بهذا المقام في كل زمان من الأعلام أعوان من رجال الغيب ، غير الذين عينهم سيدنا الحبيب علي للمشهد . قال القطب الأستاذ الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به : مراتب الأولياء لها خدام يحفظونها من رجال الغيب والروحانيين وغيرهم . ومن ذلك ماحكاه رضي الله عنه في المقصد من رد الضوائع والإنتقام ممن أساء أوقصد فعل السوء في حوطة المشهد ، وهذه آية مخلدة وخارقة مؤيدة بقدرة الله تعالى لاينتهي ولا ينقطع مددها ، رضي الله عنهم آمين .

(فصل) اعلم أن هذه العمارة قد سبقت لها تمهيدات وتقدمت لها إشارات ، فمن ذلك ماذكره رضي الله عنه في كتابه (المقصد إلى شواهد المشهد) مما يدل على أن هذه الأرض الميتة ستحيا وستكون مثابة وأمنا للأحياء ، ماحكي عن بعض الثقات أن الشيخ العارف بالله عظيم الحال ، سعد بن علي مدحج السويني عنا هذه العمارة في المشهد بقوله :

ياسفر ياباغي إلى الدبـــيات	يأم الجهة ياخير جمع الأمـات
هو من يبشرني بها إذا جات	إذا اقبلت حـولت بالفضيات
يامرحبا ياغيث بعد الإسنات	أحيا قليبي بعد ماكان قد مات

فهذه كلها إشارات غيبية إلى ماسيقع من هذه الموارد الهنية . وقد ذكر الإمام الشعراوي وغيره من الأكابر أنه لاتصح ولاية لولي إلا بعد أن يطلعه الله على أحوال من قبله من الأولياء ومن سيأتي بعده ، ومايقع على أيديهم ويظهر في أوقاتهم ، وقد يؤذن لهم في كشف بعضها وستر البعض الآخر .

وقد سمعت من أستاذنا وتلميذ الحبيب علي وهو سيدنا الحبيب جعفر بن محمد العطاس قال : لما استمر الوالد علي في عمارة المشهد أرسل رسولا خاصا إلى تريم إلى ضريح الشيخ سعد المذكور في تربة الفريط ليقول له : ياشيخ سعد جات الدبيات عملا بقوله في الأبيات المذكورة أعلاه .

وذكر صاحب الترجمة رحمه الله أيضا في كتابه المقصد وفي الرسائل المرسلة أن الشيخ القطب الحبيب أبوبكر بن عبد الله العيدروس لما توجه لزيارة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي قدس الله روحه عارضه قطاع الطريق مع ذهابه أوقفوله فأخذوا جميع مامعه من المال ، فحصل للحبيب طرب وفرح وصفا وانشراح ، وسرور وانفساح ، إذ هو من بيت النبوة ، ومعدن الجود والفتوة ، الذين يفرحون بذهاب المال ، ويغتنموه عند الإقبال ، فأنشأ رضي الله عنه قصيدته المشهورة التي مطلعها :

هات ياحادي فقد آن السلو　　وتجلى عن سما قلبي الصدا

وعلى هذه القصيدة شروحات ومن جملة شروحها شرح حافل في مجلد ضخم للإمام الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس نزيل مصر المحروسة ، أخذ من قوله رضي الله عنه في القصيدة المذكورة :

نفحة الرحمن فيما قد رووا　　　　آتية حقا وإن طال المدا

أنه إشارة إلى ماسيقع من الإحياء لهذا المشهد المسمى بالغيوار ، ومافيه من النفع للأنام ونشر الأعلام وفتح باب السلام ، ولا بُعد في ذلك إذ كلام أهل الله يتنزل على أحوال متنوعة ومسالك متفرعة ، لأنها كما قيل من كلمات الله تعالى التي تنفد البحار دون نفادها .

(فصل) في ذكر وقت الزيارة ومايتعلق به . قال رضي الله عنه في كتابه المقصد إلى شواهد المشهد : فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول وهو الذي يأتي فيه غالب الناس نبتدي في تلاوة القرآن ليلا ونهارا في المدرسة المعروفة ، ويتصدى لذلك جماعة ننفق عليهم ونطعمهم من طيبات المطاعم ، ونوليهم بالإكرام والمكارم ، نتعرض بذلك لنفحات المنان ، ولتفضله باليمن والترقي لفهم معاني القرآن إلى درجات الإيمان ، والحفظ والرعاية والأمان . ثم يوم النفر وارتحال السفر نوهب القرآءة التي هي وصول الروح والريحان ، والبشارة والرضوان ، إلى أرواح مشايخ المشهد السبعة ، الذين هم بإذن الله رجال التجارة لأهل القرآءة والنجعة ، وأولهم وأولاهم بالتقديم ، وأعناهم لاسيما بأولاده في الحديث والقديم ، الشيخ الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، والثاني أستاذ الأكابر الشيخ عبد القادر الجيلاني ، والثالث الشيخ احمد بن أبي الحسن الرفاعي ، والرابع الشيخ علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي الشريف الحسني ، والخامس الشيخ احمد بن علوان ، والسادس الشيخ سعيد بن عيسى العمودي ، والسابع الشيخ عبد الله بن محمد باعباد . نفعنا الله بهم وبأسرارهم ورزقنا التيمن والإتباع لآثارهم . إنتهى .

ثم إن هـذه الترتيبـات ووظـائف العبـادات ، والمشـائخ أرباب العنـايات ، حصـون معنويـة وجبـال رواسي لإضـطراب أراضي النفـوس الشـيطانية مرسـية . ثم إنـه رضي الله عنـه رتـب حماية هـذا المـأثر على حصون وقلل ظاهرة ، وعشائر قاهرة ، يحرسون المشهد في النوب الغالبة كماقيل فيهم (ممنين المطرد) . وسمعت سـيدي وشـيخي عيبـة الأسرار الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار يحكي عن شيخه العارف بالله شـيخ بـن محمد الجفري نفع الله بهما أنه لماخرج من جهة مليبار لزيارة حضرموت ومر بحوطة المشهد ورأى مافيه من الإستعداد والعدد قـال : لوطـال عمـر هـذا السيد لأدعى خلافة . وإلى ذلك يشير قوله في القصيدة التي يقول فيها :

علي بن حسن قال عارضني صبا فيه طش   بارد نسيم العلاوي ذي يزيل العطش

تقول ماء ورد ينداها حرك من غبش   ياليتني حل عند العـكبري بالبقش

بانقل فراشي وبانقـل فيه قاشي وقش   ملا معي شغل في المشهد عليه الحـوش

مايصلح إلا إذا مولاه حاضر وبش   بالخيل والرجل واهل الروميه والنمش

نعم ليس مراده بالخيل والرجل والسلاح حقيقة ذلك ، وإنما مـراده بذلك الإستعارة بذلك عن أحـوال حـماة المشـهد وحـاله هـو ، رضـوان الله عليهم . كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحـداد نفع الله بـه فـيما عنـى بـه لقطر حضرموت :

بهم أصبح الوادي أنيسا وعامرا   أمينا ومحميا بغـــير حسام

يعني بهم السادات آل أبي علوي . ووقع لسيدي الحبيـب علي أنـه قال : لو قـال الحبيـب عبـد الله أمينـا ومحميـا بخير حسـام . لكـن سـيدي الحبيب عمر بن عبد الـرحمن البـار الأخير نفعنـا الله بـه قـال مامعنـاه : إن

كلام الحبيب عبد الله في قوله : بغير حسام أظهر في المعنى ، لأن تفهيم السامع أن هذا الأمان والحماية حاصل بغير شوكة ظاهرة ، وإنما حصوله ببركة إستقامتهم على الطريقة المحمدية ، وإعانة القدرة لهم بذلك باعطائهم الأحوال التي هي أقطع من السيوف المرهفة السنينة ، وأما إذا قال بخير حسام فإنه يحتمل أن يكون يحتمل المعنى الأول ، ويحتمل أن لهم شوكة ظاهرة بواسطة شرفهم واستقامتهم تقوم لهم الأجناد بالنصرة الظاهرة ، وكلا المعنيين صحيحا . وأما قيام أحد منهم بالشوكة الظاهرة مستقلا بولاية أوأمارة فذلك غير متفق ، لما نقل عن الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به أنه قال : من إستقل من السادة بني علوي بولاية ظاهرة وشوكة لا بد وأن يسلبها ، وذلك لأن سيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم قد إختار لهم طريقة الفقراء ، يعني الصوفية . هذا حاصل كلامه . وللضرورات الحادثة في الأوقات حكمها كما أوضحت ذلك في شرح خطبة سيدي الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر باعلوي نفعنا الله بهم .

(فصل) نذكرفيه بعض مايتعلق بالزيارة : ومارسمه سيدنا الشيخ الحبيب علي نفعنا الله به من الميعاد في كل عام في شهر ربيع الأول كما مر ، فذلك معلوم من عمل كثير من الأولياء ، لهم مواعيد تجتمع فيها الجنود من كل فج عميق . فقد ذكر في ميعاد زيارة الشيخ احمد البدوي أنه يجتمع فيها أكثر ممن يجتمع في وقفة الحج لكثرة من في تلك الجهات من الخلائق ، ويأتونها من أماكن شاسعة . وقد ذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراوي رضي الله عنه في كتابه (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) أنه لايتخلف عن زيارة الشيخ احمد البدوي لانبي ولاولي ، وذكر فيها أحوالا عجيبة من تصرفات الشيخ احمد البدوي وغير ذلك . وسادتنا آ ل أبي علوي نفعنا الله بهم لهم المظهر الأعظم من أهل البيت النبوي ، وأن من يجمعه هذا النسب كالجيلاني والبدوي وابن علوان وغيرهم من أكابر الأمة فهم لهم نصرة .

يحكى أن سيدي الحبيب جعفر بن الشيخ احمد بن زين الحبشي- نفع الله به حضر- في بعض السنين ميعاد زيارة شيخه الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ورأى مايجتمع فيها من كثرة النساء ، فأراد أن يأمر صاحب الشوكة أن يمنع إختلاط النساء بالرجال ، فاستشار في ذلك خاتمة المقربين الشيخ محمد بن ياسين باقيس إذ هو من العلماء الراسخين ومن أصحاب سيدنا عبد الله الحداد فقال له الشيخ محمد : ماتقول في ميعاد الشيخ احمد البدوي وزيارته ومايذكرونه في ذلك ؟ فقال : نحن عندنا الحبيب عمر البار مثل الشيخ احمد البدوي ، فرجع عن مراده . وقد أشار سيدي الحبيب علي في قصائده التي مر ذكرها إلى إشارات من

هذا القبيل ، ولايكون كلام الأولياء عن قال وقيل ، وإنما يكون بالهامات ربانية وإذن إلهي ولذلك يقول سيدي الحبيب علي صاحب الترجمة قدس الله روحه :

كل من هو يبا قسمه يقرب الأواني

تجتمع الأولياء واهل الكتب والمثاني

والنبي والخضر والياس فيها قــراني

وقد حكي أن الأمة المحمدية لايجتمع فيها أربعون إلا وفيهم مجاب الدعوة . وروي أن هذه الأمة لاتجتمع على ضلالة . أي لاقولا ولاعملا . وفي معارج الهداية للشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف نفعنا الله بهم قال حكاية لها تعلق بذلك : روي عن الشيخ عمر بن ميمون الكندي الهجراني رضي الله عنه ونفع به قال : كنت كثير الزيارة للصالحين الأحياء والأموات في جمع من الإخوان ، فقال بعض الأخيار لعلّ إنفرادك بالزيارة أولى ، فوقع في نفسي شيء ، فأتيت الشيخ وحيد زمانه أباالعباس فضل بن عبد الله ، يعني بافضل رضي الله عنه ونفع به فأخبرته بما وقع في نفسي ، فزيّق ساعة ثم قال : قالت العلماء إذا كثر الماء لم يحمل خبثا . إنتهى .

وفي قواعد التصوف للشيخ زروق : كان شيخنا أبو عبد الله القوري رحمه الله يقول : إذا كانت الرحمة تنزل عند ذكرهم فما ظنك بمواطن إجتماعهم على ربهم ويوم قدومهم عليه بالخروج من هذه الدار وهو يوم وفاتهم ، فزيارتهم فيها تهنئة لهم وتعرضا لما يتجدد من نفحات الرحمة عليهم ، فهي إذن مستحبة إن سلمت من محرم أومكروه بَـيّن في أصل

الشرع ، كاجتماع النساء وتلك الأمور التي تحدث هناك ، ولمراعاة آدابها من ترك التمسح بالقبر وعدم الصلاة للتبرك وإن كان عليه مسجد لنهيه عليه الصلاة والسلام عن ذلك وتشديده فيه ، ومراعاة حرمته ميتا كحرمته حيا . إنتهى كلام زروق .

وفي مكاتبات سيدي الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به قال : وماذكرتم من إجتماع النساء في محل يقرب فيه إجتماع الرجال للذكر بمحل منسوب لسيدي القطب الرباني عمر المحضار يوم الجمعة صباحا ، والنساء الحاضرات قريبا من المحل الذي يحضر فيه الرجال متزينات فمهما خيفت الفتنة بالنظر أوسماع الأصوات أونحو ذلك فهو من المنكرات التي يجب ويندب النهي عنها ، ومسئلة إجتماع النساء في موضع قريب من الرجال في مسجد ونحوه الكلام فيها يطول ، والنهي عن أمثال ذلك إنما هو إلى الحكام وولاة الأمر ، فأماالإنسان المتمسك بدينه فالذي يحسن منه إذا خاف على نفسه لايحضرهم ولايسأل عنهم ، فإنه عليه الصلاة والسلام لما وصف الفتنة قال (وعليك بخويصة نفسك ودع أمر العامة) وهذا الزمان وأهله قد صاروا إلى فساد عظيم وفتن هائلة وإعراض عن الله وعن الدار الآخرة لايمكن الإحتراز منهاوالبعد عن جمعياتهم إلا ماصفا منها ، ولايكون فيه شيء من تلك الشوائب التي يخشى منها فتنة في دينه ، ويتوجه عليه أمر ونهي لايستطيع القيام به ولايجد من يعينه عليه ، هذا الذي يظهر لنا في أمثال تلك الأمور والذي نأخذ به ونعمل عليه ، فخذوا بذلك واحتاطوا لأنفسكم وخذوا ماصفا ودعوا الكدر وكونوا كما قال الله تعالى { **واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** } إلى {

وإدبار النجوم }[1] إنتهى كلام الأستاذ نفعنا الله به وهو يفهم أن كل يعمل على مايقتضيه حاله ومقامه .

[1] الآيات : ٤٨ – ٤٩ الطور

(فصل) إعلم أن سيدي الشيخ الحبيب علي صاحب الشهود والمشهد قال نفع الله به : إني أرجو من فضل الله أن هذا المشهد يلتحق بالترب الثلاث التي يقال أنها تحمل هي وحصاها وترابها إلى الجنة ، كما حكي ذلك في المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي وفي الجوهر الشفاف وغيرهما نقلا عن السلف وهي : تربة تريم ، وتربة الهجرين ، وتربة غيل أبي سودان . ويسمى بالغيل الأسفل ونسبته لآل أبي سودان المراد بهم الموجودون الآن في وادي دوعن ، وأكثر إستقرارهم في شرق ، التي هي شرق الخريبة ، وديار منهم في بلد الخريبة وفي بلد الرباط ، وكانت منازلهم في الزمن السابق في تلك الجهة ، ومحلتهم وديارهم في قرية باقية آثارها غربي تربة الشيخ الكبير عمر بن الشيخ محمد بن سالم مولى عرف جد آل أبي وزير . يحكى أنه تزوج عند آل أبي سودان إمرأة وهي أم الشيخ عمر بن محمد بن سالم المذكور . وقد أخبر الشيخ محمد نفع الله به بسبب إنتقالهم وكان ذلك في آواخر القرن السابع أو أول الثامن ، ولما حاصر السلطان العادل بدر بن عبد الله الكثيري قرية شرق وطال عليه حصارها هي وبلدة (تُولَبِه) بالوادي الأيسر ، فلما أطاعته طم بئرها ونقل الساكنين بها إلى بلد الخريبة وأبقا آل أبي سودان وقال : ليعمروا مسجدهم . وربما تقدم ذلك عند ذكر الحوطة .

ومن إشاراته أعني سيدي الحبيب علي نفعنا الله به التي أثبتها في كتاب المقصد في شواهد المشهد مما يتأيد به فضله ويتأبد ، قوله فيه : وأقول من قصد العمارة في مشهد الغيوار نال هذه الفوائد الكبار ، ولايغره نفار أنفار من كبار ذوي الإستكبار ، لأني والله الغفار طلبت منه تعالى

وهو واسع الفضل العظيم ومغني العديم ومشفي السقيم ومحيي العظام وهي رميم ، أن يعطي من عمر في مشهد عمر سبع خصال زهر ، الأولى : أن يعمرقلبه بالنور ، الثانية : يعمر دينه بالطهور . الثالثة : يعمر دنياه بالسرور . الرابعة : يعمر آخرته بالقصور والولدان المخلدين والحور . الخامسة : لاتنقص الأجرة بأخذ شيئا من الأجور . السادسة : حصول الحج المقبول المبرور . السابعة : حصول غزوة جهاد في سبيل الله مع نبي صبور شكور يقاتل كل كفور نفور . إنتهى .

(تنبيه) لا بُعدَ فيما ذكره سيدي الحبيب علي رضي الله عنه ولااستحالة فيه لا شرعا ولاعقلا ، فإنه ورد في السنة في كثير من العبادات والأعمال الصالحات من عمل كذا فله أجر حجة وعمرة ، أوكذا كذا حجة ، وكمن أنفق كذا . والقياس على ذلك إعتمادا على فضل الله تعالى أحد تأسيسات الشريعة . فقد مر أن تفاضل الأشخاص والأماكن بحسب فضائل الأعمال ومضاعفتها كما نقله الشيخ الحفظي عن الشيخ محي الدين ابن عربي قال : إعلم إن للمفاضلة أسبابا تشير إلى الأخصية في الزيادة والنقص بالحكم الإصطلاحي والنص ، فقد يفضل الشخص آخر بصفة ويفضله الآخر بصفة أخرى كما فضل موسى بالتكليم ، وعيسى- باحياء الموتى عليهما وعلى نبينا وسائر الأنبياء والمرسلين ، أفضل الصلاة والتسليم . إنتهى .

وقال ابن عبد السلام رحمه الله : ولايقع التفضيل بين الجواهر إذ هي متساوية ، وإنما هو بكثرة الثواب والمعارف ، واستشهد بالأبيات المار ذكرها في المقدمة :

أيها الفاخر جهلا بالنسب   إنما الناس لأم ولأب

إلى آخرها . وقال بعد ذلك فإذا قلنا النبي أفضل من الولي فإنا نريد بذلك أن الله أعطاه من المعارف والأحوال مالم يعطي الولي . وأما تفضيل الأنبياء على الملائكة فمأخذ ذلك السمع ، وكلما ثبت أن ثوابه أكثر كان أفضل . وأما كون مكة أفضل من المدينة لأن الله رتب على العمل في الآخرة في أحدهما من الثواب أكثر مما يرتبه في الأخرى . إنتهى . وفي المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي قال : تفاضل الناس بعضهم على بعض أظهر من أن يحتاج إلى دليل ، وتفاوتهم ولو بالسعي والإجتهاد غني عن التعليل ، وليس ذلك إلا بقدر تحصيلهم للعلوم والمعارف كما يظهر ذلك للمتأمل العارف . إنتهى .

ومن هذا المعنى نص كثير من سادتنا آل ابي علوي رضي الله عنهم على ماورد في رواية أن لايرحل إلا إلى أربعة مساجد : مكة والأقصى ومسجدي هذا والرابع على أنه تريم ، أخذاً مما إجتمع فيها من الفضائل والخصوصية التي إختص بها من مظهر السادة آل أبي علوي ومن إلتحق بهم . وممن نص على ذلك سيدي البحر الزاخر الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه في قصيدته التي سماها (عمدة المحقق) سمعت ذلك عن أعظم الآخذين عنه علما وتحقيقا ، الإمام الحبيب علي بن شيخ بن شهاب الدين فإنه قرأ المنظومة المذكورة عليه سيدي وشيخي الحبيب عيدروس بن عبد الرحمن البار ، ولما وصل إلى قوله رضي الله عنه فيها : تفصيل التفضيل ، والخلق في الأصل أشباه وفضل بالتوفيق والأحوال أوعدلا والفضل بالقرب والتقوى لدى الله والأعراض ترفع أويدنوا بها

العملا ، فمكة البيت ، والأرض مكة تتلوها المدينة ، والأرض السماء فضلا ، وزمزم الماء ، والقبر الرضي البيت والأرض المساجد تتلو الأربع الرحلا . فلما وصل إلى قوله : والأربع الرحلا قال له الحبيب عيدروس ما الرابع ؟ فقال له إن الحبيب عبد الرحمن يعني صاحب المنظومة نفع الله بهم يقول : الرابع تريم ، ومن المعلوم أنه لايوجد نص من النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن الرابع تريم وإنما هو أخذاً مما مر عن ابن عربي وعن ابن عبد السلام والمشرع الروي ، وربما يقول بعض العلماء أن الرابع مصر لما يعلم مافيها من كثرة العلم والعلماء والأولياء ، وانتشار شعائر الإسلام والإيمان والإحسان . وقال بعضهم : المراد بالرابع مسجد الخيف . ومن هذا المعنى نقل عن بعضهم أن الشحر بنت تريم ، ولابُعد أن يقول آخر : أن شبام أوسيئون أوشبام أوالهجرين أوقيدون بنت تريم أيضا ، لما نقله الشيخ علي بن أبي بكر بن الشيخ عبد الرحمن السقاف نفعنا الله بهم عن بعض العلماء آل باعباد أنه قال : كان في تريم ثلاثمائة مفتي والصف الأول من جامعها كله فقهاء يعني مجتهدين في المذهب ، وفي شبام ستين مفتي وقاضي شافعي وقاضي حنفي ، وفي الهجرين نحو من ذلك . إنتهى . هذا وإن كان النص على التفضيل في الأشخاص والأماكن لايكون إلا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو من الصحابة ، فإنه إذا قال كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يفعل أويقول أوكذا من السنة ، فهو كنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم . ولهذا لما سئل سيدنا الأستاذ الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفعناالله به هل الأفضل الشيخ عبد القادر الجيلاني أو الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي باعلوي ، فأجاب بمامعناه :

هـذان شـيخان قطبـان إمامـان عارفـان ، وانتفاعنـا واعـتمادنا عـلى سـيدنا الشيخ الفقيه المقدم أكثر مـن الشـيخ عبـد القـادر . فـانظر إحترازه وعلـو مقامـه في علـوم الظـاهر والبـاطن ، فـإذا علمـت هـذا كلـه الذي أطلنـا بـه لمرادنا وغرضنا علمت أن هذا الـوارث الخبـير ، والعـارف النحرير الشـيخ الحبيب علي بن حسن العطاس صاحب المناقب في جميع مـايقوله ويشـير إليه وينص عليه في مشهد جده عُمر الذي بفضله له غَمر ، المشبه في حاله ومقامـه بأنـه الجـيلاني الثـاني ، أن ذلك مؤيـدا ومـأخوذا مما ذكرناه مـن النصوص الشرعية ، والقياسات العقلية والنقلية ، فسلم تسلم ، وظن خيرا واعتقد تفوز وتغنم .

(فصل) في تذييل مُتوَّج في ذكر طريق غير معوج : إعلم أن سيدنا الإمام الأستاذ الشيخ الحبيب علي بن حسن العطاس ، حطة الإرشاد والسرور والإيناس ، نفعنا الله به وبسلفه له جمعيات كثيرة ومشاهد مشهورة مأثورة ، غير جمعية الغيوار ، المأثورة بالأنوار والأسرار ، التي أشرنا منهاإلى النزر اليسير ، وقد حوى المقصد منها الجم الكثير . وكان رضي الله عنه إذا شدى في تلك المجامع أصغت لندائه القلوب والمسامع ، وإذا حدى بتلك الأقوال الحسان الصحاح والنغمات الملاح حرك الأجنة والأشباح ، وهيج الأجسام والأرواح ، وشرح بهم الصدور ، وفتح لهم من صم المعاني ماتهيم به السواح في القفار والبرور . كما قال الشيخ علي بن أبي بكر السقاف نفعنا الله به في البرقة المشيقة : إن الشيخ العارف بالله تعالى كمال الدين يوسف بن احمد باناجه رضي الله عنه إذا دخل شهر رجب صاح من أعلى داره بأعلى صوته : ياحولاه ياحولاه . فيهيج بصوته أشجان قلوب العباد ، ويزعج أشواق سكان البلاد ، فيثوبون إلى الطاعات ويسابقون إلى العبادات ، ويعظم منهم الجد في الخيرات . إنتهى المقصود من البرقة .

(قلت) وقد بَيّنَ سيدي الحبيب علي نفعنا الله به في المكاتبات والرياض المؤنقة معنى قول الناس في هذه الجهات (ياحولاه) والحول يريدون به التحول من حال إلى ماهو أحسن منه ، وذلك عند زيارة ولي أوقدوم معتقد لإستسقاء غيث أوإرادة صلاح بعض الأحوال . ثم ماذكرناه عن سيدي الحبيب علي وعن البرقة لحصول التأثير بكلامهم عند الكبير والصغير من الخواص والعوام وسائر دوائر الإسلام ، وذلك سر الله

لعبده المأذون له في الكلام كما قال الشيخ الإمام ابن عطاء الله الشاذلي رضي الله عنه : كل كلام برز وعليه كسوة القلب الذي منه برز . وقال الشيخ ابن عباد في شرحها : وروى الحافظ أبونعيم رحمه الله تعالى قال : كان قاضي يجلس قريبا من مسجد محمد ابن واسع فقال يوما وهو موبخ جلسائه بقوله : مالي أرى القلوب لاتخشع ، ومالي أرى العيون لا تدمع ، ومالي أرى الجلود لاتقشعر ؟ فقال محمد ابن واسع رضي الله عنه : ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك ، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع في القلب . وقال في موضع آخر : سمعت أباالعباس يعني المرسي رضي الله عنه يقول : كلام المأذون له يخرج وعليه كسوة وطلاوة ، وكلام الذي لايؤذن له يخرج مكسوف الأنوار ، حتى إن الرجلين ليتكلما بالحقيقة الواحدة فتقبل من أحدهما وترد على الآخر .

وفي شرح العارف بالله تعالى الرباني الشيخ علي بن عبد الله باراس نفعنا الله به في الكلام على الحكمة المذكورة قال : الحكمة الواحدة يتكلم بها الواحد فتقبل منه ، ويتكلم بها آخر فترد عليه وماذلك في الحكمة ، وإنما هو بسبب من أبرزت عنه من الصفا القلبي وعدم الكدورة النفسانية ، والظلمة الشهوانية الهوائية الأرضية . فالشاهد في المعنى الذوق الموجود في الكلام ، فما يعتبر إلا به . ويعرف ذلك من زاحم الحكماء ومارس العلماء فإنك تجد في كلام بعضهم مالاتجده في كلام الآخر مع إستوائهما في العبارة ، بل قد يكون من هو أرك في ظاهر اللفظ قوي التأثير في الباطن ، وذلك لما عنده من وفور اليقين وكمال الصحو والتمكين ، وذلك الذي قد يحسن عبارته ظاهرا من غير قوة اليقين في الباطن

وكمال التحقيق تجده دون ذلك . وقد كنت أجد عند حضوري بمجلس وحيد عصره عمر بن عبدالرحمن العطاس قدس الله روحه ونفع به أنه قد يتكلم مع العوام فيما يتكلمون به وأجد له ، أي لكلامه تأثيرا لا أجده في كلام المصنفين . وكثيرا مايحصل من غيره مذاكرة فأجد قلبي ساكنا لايعبأ بها ، وإذا تكلم أنصت القلب وتعشق لكلامه تعشقا ذوقيا ، فلو إطلع ذو غباوة على ماأجد في محض كلامه من الفوائد لعجب مني كل العجب ، فالحمدلله . فلو أخذت فيما وجدت من كلامه من الفوائد لما وجدت لها حصرا ، وبقيت في بقية مدتي أتصفح كلامه فأجد له أوجُهاً ، وذلك لما هو عليه من التمكين في مقامات اليقين . وكان يروي لنا عن شيخه قدوة الأنام المشهود له عند الخاص والعام بأنه الختام ، حسين ابن سيدنا الشيخ أبي بكر نفع الله بهم ، ونظمنا في سلكهم وجمعنا في محبتهم ومعهم مع الأحبة في دار السلام ، كلاما يدونه إستخرج منه علوما لطيفة وأحوالا منيفة ، مع أنه كان ذلك الكلام مما يتداولونه العوام ، وقد أفردناه في نبذة لطيفة فليطلب مما هنالك تَعْثر على الصواب في بواطن عباراتهم . إنتهى من شرح الحكم له نفع الله به . وقد أطلت الكلام في هذا المبحث في شرح خطبة سيدي الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر باعلوي نفعنا الله به .

ومنه ماورد في ترغيب المعلمين والمذكرين في التعليم والتذكير وفضل ذلك ، قال كعب الأحبار رضي الله عنه : لو أن فضل العلم بدأ للناس لأقتتلوا عليه حتى يترك كل ذي إمارة إمارته ، وكل ذي سوق سوقه . وقال عمر رضي الله عنه : إن الرجل ليخرج من منزله وعليه من

الذنوب أمثال جبال تهامة فإذا سمع الحكم واسترجع من ذنوبه انصرف إلى منزله وليس عليه ذنب ، فلا تفارقوا مجالس العلماء ، فإن الله لم يخلق على وجه الأرض أفضل من مجالس العلماء . وقال رجل للحسن البصري رضي الله عنه : أشكو إليك قسوة قلبي ! قال : أدنه من مجالس العلماء . إنتهى من الكتاب المذكور ترغيباوتذكيراً للمذكرين المقتفين آثار الأئمة المرشدين كصاحب الترجمة نفعنا الله بهم .

ثم إنه لما كان الدعاة والوعاظ والمذكرين ينقسمون إلى صادق يريد وجه الله والدار الآخرة ، وإلى مداجل مماذق يطلب الجاه والمال ، والفخر والمكابرة . فأما الصادق المخلص فله من الأجر ما مرت الإشارة إليه والمقام الفاخر في اليوم الأول والآخر ، وأما المماذق فحكمه ماذكره الحجة الغزالي قدس الله روحه في كتاب عجائب القلب قال : من مكائد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخيروالتميز في ذلك غامض ، وأكثر العباد يهلكون به ، فإن الشيطان لايقدر على دعائهم إلى الشر الصريح فصَوَّر الشر في صورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ : أما تنظر إلى الخلق وهم موتى من الجهل ، هلكى من الغفلة ، قد أشرفوا على النار ، أما لك رحمة على عباد الله تعالى تنقذهم من المعاطب بنصحك ووعظك وقد أنعم الله عليك بقلب بصير ولسان ذلق ولهجة مقبولة ، فكيف تكفر نعمته وتتعرض لسخطه وتسكت عن إشاعة العلم ودعوة خلق الله إلى الصراط المستقيم . فلايزال يسحره بلطائف حيله إلى أن يشتغل بوعظ الناس ، ثم يدعوه إلى أن يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ وإظهار الخير ويقول له : إن لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا إلى الحق ،

فلايزال يقرر ذلك وهو في أثنائه يؤكد فيه شوائب من الرياء وقبول الخلق ولذة الجاه والتهور والتعزز بكثرة العلم والنظر إلى الخلق بعين الإحتقار ، فيستدرج المسكين بالنصح إلى الهلاك فيتكلم وهو يظن أن قصده الخيروإنما قصده الجاه والقبول ، فيهلك بسببه وهو يظن أنه عند الله بمكان وهو عند الله ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لاخلاق لهم) . وكذلك ماروي أن إبليس لعنه الله تمثل لعيسى عليه السلام فقال : قل لآ إله إلا الله ، فقال كلمة حق ولا أقولها بقولك لأن تحت الخير تلبيسات ، وتلبيسات الشيطان من هذا الجنس لا تتناهى ، وبه يهلك العلماء والعبّاد والزهاد والفقراء والأغنياء . إنتهى . وهناك نقل زائد من كتاب الغرور من الإحياء وغيره .

فإذا علمت مما مر أن لسيدنا الأستاذ الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به جمعيات ومواعيد غير ميعاد حوطة المشهد ، فاعلم أن منها جمعية جمعت للجم الغفير من أهل وادي دوعن الميمون بمحل يسمى (رياح) بالجانب القبلي بين الرشيد وعوره وهو إلى بلد الرشيد أقرب ، نادى رضي الله عنه في جميع بلدان دوعن في تلك الليلة ، قال سيدي وشيخي العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله بن احمد بافارس باقيس نفع الله به وكنت إذ ذاك ببلد حلبون قبل أتوطن بلد الخريبة وأنا متوانيا عن الحضور ، ثم أثارني بعض من هو حاضر عندي فانشرح الخاطر فاغتسلت وتطيبت وصليت ركعتين وخرجت ، فلما وصلت إلى الجمع قصدت سيدي الحبيب علي وصافحته فقال : صافح هؤلاء الجمع عن آخرهم ، قال :

فقلت له ياسيدي هذا الجمع منطوي فيكم وهذه يدكم نائبة عن الكل ، قال : فكأنه إستحسن ذلك مني ، قال هذا المجمع هو المراد بقول القطب الشيخ عمر بامخرمه نفعنا الله به :

مجمع السر يا حمد حل بين الرشيدين   بين يوسف ومولى الدلق ياخير شيخين

ومنها مجمع في محل في أعلى الخريبة يسمى (جابية بن خلف) نجدي السوق أمر فيه بقرآءة مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وبعد تختيمه قال سيدي الوالد الشيخ فارس بن الشيخ محمد بن ياسين باقيس نفع الله بهما : قام الحبيب علي بعد المولد قائما وأنشد الهمزية برمتها ، فلما أكملها قال : أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله ، كادت الهمزية أن تكون قرآنا ، وهي المنظومة المشهورة للبوصيري التي مطلعها :

كيف ترقى رقيك الأنبياء   ياسماءً ماطاولتها سماءُ

وضبطت الهمزية بسكون الميم نسبة إلى الهمز .

ومنها مجمع تحت بلد الخريبة أيضا نادى فيه بالإستسقاء فصلى بالجمع واستسقى وحضرت بعض الصلوات المكتوبة فنادى : من هو متوضي يصلي ومن به حدث يتيم ويصلي . وكان ذلك الماء في حد الغوث ، وذلك سائغ فيما ذهب إليه جمع من العلماء مستدلين بأنه صلى الله عليه وآله وسلم أتى سباطة قوم فبال ، فسلم عليه رجل فلم يرد عليه ثم ضرب بيده إلى الحائط فتيمم ورد السلام ، وقال للرجل كرهت أن أسلم عليك وأنا على غير طهارة . قال في المجموع : أن جمع من العلماء قالوا أنه إذا خيف فوت الصلاة تيمم وإن كان الماء موجودا معه وذلك لحرمة الوقت ، ويتوضأ بعد ذلك ويعيد . ونقل أقوالا في صلاة الإستسقاء والجنازة ،

ونقله أيضا عن أبي حنيفة أنه يجوز التيمم لصلاة العيد والجنازة مع وجود الماء إذا خاف فواتها . وحكاه عن الزهري والأوزاعي والثوري وإسحاق وهو رواية عن احمد . وماعمل به سيدي الحبيب علي نفع الله به صحيح مقاس على فوت صلاة العيد والجنازة وذلك لوجود كثرة الجمع وازدحامهم ، فمن سار إلى البلد يتوضأ فاتته صلاة الإستسقاء . وقد قالوا أن القطب يعمل بكل مسئلة في الشرع . سمعت ذلك عن سيدي الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار نفعنا الله بهم أنه لما ذكر أن جده الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار نفعنا الله بهم لما بلغ في الحرم النبوي إلى المواجهة الشريفة سجد للشكر إلى جهة القبر الشريف ، إذ سجدة التلاوة والشكر على قول لاتشترط فيها شروط الصلاة والله أعلم .

واعلم أن سيدي الشيخ الأستاذ الحبيب علي بن حسن نفعنا الله به له جمعيات ومشاهد في هذه الجهات التي تردد فيها في سائر التنقلات . فمن بعض المكاتبات يقول : إلى سيدي نور الدين وبقية المجتهدين الولي علي بن الشيخ عبد الله بن محمد باسندوه ، كان الله في عونه ومعه وله آمين . ثم قال في آخرها : ولو ساعد نهار الإستسقاء تحت الخريبة القضاة والولاة والمناصب أهل التمر لوصل الماء في الصيف إلى البحر ، ولكن كل شيء بقضاء وقدر . وأفهمه السيول التي جاءت من مَنْوَهْ ،ثم قال له : وافعلوا مشهد على سوم الشرج على الحصاة ، وقل للصبيان يلقونه في غيضتهم (شرد) حيث أبردنا ، واخرج أنت إلى عندهم . وكان مسيل أول سيل في منوه في الصيف من هذاك المكان . وقد فعلنا غير هؤلاء المشاهد المذكورات أربعين مشهداً غالبها قدها مساجد ولها وقفات . وما

من مشهد نضعه بعون الله إلا إتصل به عمود من نور من الفرش إلى العرش ظاهر شاهر ، ومن لايصدق يجرب ، فهذا الفرس والميدان . إنتهى المقصود من المكاتبة .

واعلم أن هذا القطب الساعي في تصحيح أعمال القلب أنه لايريد بوضع هذه المشاهد الظهور والإشتهار وعلو الذكر وارتفاع الصيت والمنار ، بل مراده أن يذكر الله عند هذه المشاهد وترتيب الفاتحة وماتيسر معها من القرآن والذكر والدعاء ، لما مر في ذلك من الفضائل العظيمة . فقد ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم (إن البقاع تسائل بعضها بعضا هل مرّ بك أحد ذكرالله عليك) وأنها تفتخر بذلك بعضها على بعض . وورد من أوصاف الأولياء أنهم إذا رؤا ذكر الله تعالى ، ومشاهدهم كهم في ذلك فَصَحَّ ماذكرناه وأن ذلك من الأسباب النافعة للزائر والمزور كما قال سيدي وشيخي الإمام الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفع الله به في سلسلة سند مشايخه في قوله :

قصدت نظم سندي إلى النبي به كما صح إتصـــال نسبي
لبسا وتلقينا لقصد الفاتــحة لسادتي أهل الطريق الواضحه

أي قصدت ذكر أسانيدهم تسببا في قرآءة الفاتحة لهم ، ولهم في ذلك مقاصد أخرى . والمشهد مأخوذ من الشهادة والشهود ، لأن الواقف فيه وعليه يشهد الله بذكره ودعائه والحضور معه ، ويشهد روحانية الولي إلى غيرذلك من المعاني وماتضمنه من المقاصد الدينية والأخروية ، والأثر دال على المؤثر ، والعمل والقول دال على من قام به .

واعلم أن من كمال سيدي الحبيب علي رضي الله عنه وسياسته للخواص والعوام أنه يتنزل لكل على حسب عقله ، ويكلم كُل بمايفهمه عملا بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (كلموا الناس على قدر عقولهم) أوبما يفهمونه . وقد سأله رجل عن قول ابن عطاء الله في الحكمة المار ذكرها : كل كلام برز وعليه كسوة القلب الذي منه برز . فأجابه بقوله : معنى الحكمة : كُل كلامه كماه . فهذا جواب جامع لمعنى واسع ، وذلك أن كل سامع لمقال ينزله على قدر ماله من الحال سواء كان من أهل العثور على المعاني الدقيقة الرقيقة وحقائق الأمور ، أومن أهل النقص في العقل والعلم والقصور . ودليله ماحكي من أحوال الثلاثة الذين سمعوا المنادي يقول : يازعتر بري ، فتواجدوا وسقطوا صرعى ، فلما أفاقوا سُئلوا عن وجدهم بذلك فقال أحدهم : سمعته يقول : إسعى ترى بري . وقال الآخرسمعته يقول : ما أوسع بري . وقال الثالث سمعته يقول : الساعة ترى بري . قال في روض الرياحين مامعناه : أن كل واحد من الثلاثة تكلم على ماهو حاله ومقامه ، فالأول سالك ، والثاني في مقام الرجاء ، والثالث واصل .

ومن هذا المعنى ماقيل إن الشيء بالشيء يذكر لاسيما وقد تعلق ذلك بحال سيدي الحبيب علي نفع الله به وهو ماسمعته عن شيخي الشيخ عبد الله بن احمد بافارس باقيس رحمه الله ونفع به قال : زرت في بعض الليالي مشايخ رباط باعشن أنا ورفيق لي والحبيب علي بن حسن إذ ذاك بها ، فسألنا عنه فدلونا عليه واستأذناه في الدخول عليه فأذن لنا ، وكنا مع خروجنا من ضريح الشيخ احمد بن عبد القادر باعشن وهو الذي يقول فيه الحبيب علي في منظومة الإستسقاء المشهورة :

في ربع سيده وزرنا احمد حميد الفعول قطب الوجود المشرق ذي عليه المعول

وكانت هناك شجرة أراك أخذنا منها أسوكة ، فناولت سيدي الحبيب علي منها سواكا وكان رضي الله عنه جالسا في محل مشرق فيه القمر ، ونرى أن نور الحبيب علي يعلو نور القمر ، فأخذ مني السواك ورفعه فوق رأسه وهو يقول رافعا صوته قائلا : مالي سواك مالي سواك . ثلاثا . هذا معنى كلامه . فهذا حال المحبين الذين ذكرهم وذكراهم ومنتهى قصارهم شهود محبوبهم ورؤيته في كل شيء ومع كل شيء وعند كل شيء ، ونظرهم مقصور في الطلب مما لديه . ولله در القائل في هذا المعنى :

لا أحب السواك من حيث أني إن ذكرت السواك قلت سواكا

وأحب الأراك من حيث أني إن ذكرت الأراك قلت أراكا

نفعنا الله بهم ورزقنا نصيبا من حبهم وألحقنا بحزبهم اللهم آمين .

(فصل) نذكر فيه مافي الزيارة من المنافع والفضائل ، وماتتضمنه من المقاصد والوسائل ممايتعلق بزيارة المشهد ؛ ويعم كل مأثر ومتعبد ، وماعلى الزائر من إلتزام الأدب ومايلزمه من حسن الظن ونية الإحتساب ، وهذا الفصل طويل الذيل عظيم ، مقصود لذاته نافع العمل في حياة الزائر والمزور وبعد مماتهما وهو من أسباب الفوز والنجاة في دين الزائر ودنياه وأخراه . إعلم انه أجمع العلماء على سن زيارة رسول الله وسائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، إلا أن زيارته عليه الصلاة والسلام متاكدة على أمته لضمانه لمن زاره بشفاعته ، ولحقه العظيم الذي لايقدر أحد على جزائه والقيام بحقه من أمته كما قال القطب الحبيب عبد الله الحداد نفعنا الله به في الرائية الكبرى :

فإنك لاتجزئ نبيك يافتى ولو جئته سعيا على العين سائر

وكذا زيارة الأولياء والعلماء تسن للرجال والنساء ، وأما زيارة غيرهم فلا تسن إلا للرجال وتكره للنساء .

قال شيخنا الإمام خاتمة الأعلام الحبيب عمر بن سقاف بن محمد السقاف باعلوي نفع الله به في كتابه (تفريج القلوب وتفريج الكروب) : ومما يجلب السرور به ، وتكشف الكروب وتغفر الذنوب زيارة الصالحين الأحياء والميتين ، والعكوف على مشاهدهم والمواجهة لضرائحهم بحسن القصد وصالح النية ، وكمال التعظيم والأدب والتفخيم ، وشهود أنهم حاضرون أحياء عند ربهم يرزقون ، وقد خص الله هذا الوادي المبارك بالعترة النبوية والعصابة العلوية ، الجامعين للشرفين ، الشاربين من الكأسين ، الجامعين للعلم والعمل وخصوصا من بالغنا تريم التي هي خير

بلاد الله بعد المساجد الثلاثة كما قال سيدناالإمام عبد الله : فقد إجتمع في جنان بشار منهم مالم يوجد في غيرها من بلاد الله من الأقطاب والأوتاد والأئمة العارفين الأمجاد ، مالايحصره حد ولاقدر ، ولايدخل تحت الضبط والحصر . فقد نقل عن الشيخ القطب السقاف أن في تربة الفريط أوفيها جميعا من الأولياء أربعة آلاف واصل إلى الله ، هذا في زمانه رضي الله عنه ، وأما بعده فقد دفن آلاف عديدة . فللّه الحمد على ماخص به هذه البلدة التي هي دائرة شمس أهل الإيقان والعرفان ، ومحط السادة الأعيان ، فلاشيء أنفع للقلوب ولاأدفع للكروب ولاأوصل لكل مطلوب مثل زيارتها والنزول بساحتها ، والعكوف بين تلك الضرائح المنيرة ، وجمع الهمم بالأدب بتلك الجنان الشهيرة . إلى آخره . ثم قال بعد ذلك : وقد خص الله عصرنا بشيخنا الإمام الجامع لأسرارهم الحامد بن عمر الحامد ، وغمر الله الخاص والعام بزيارته الجامعة النافعة ، وكانت له عند المشاهدة والمواجهة إشارات وبشارات واستغراقات في عين الشهود والعيان ، وله بذلك إعتناء عظيم وله فيها مشهد جسيم ، ويتكرر خروجه إليها ، ويعول في كل أحواله عليها ، وهي عنده رضي الله عنه أجل الطرق المؤصلة إلى إجتناء الحقائق . ولما كبر سنه متع الله به زاد شوقه وتردده ، ورتب يوم الجمعة والثلاثاء ، ويحضر زيارته الجم الغفير حتى إن الواصل من الجهات يتحرى زيارته ويغتنم إشارته . وسنورد ترتيبه في الزيارة من إبتدائه بالفقيه المقدم ومايشير به ، ومن يذكرهم ويزورهم ويرتب لهم القرآءة والفاتحة . ثم لما قدر الله لنا زيارة تريم طلبنا منه ان يثبت لنا ذلك فكتب مامثاله : ثم قال في أثنائه :

وأما زيارة الأنبياء والشهداء والعلماء والصالحين فنستمد من بركتهم ، ونتوجه ونتوسل بهم في إفاضة الخيرات ودفع المضرات إذ هم الأحياء في قبورهم ، فيخلص الزائر عند زيارتهم ، ويعلي الهمة ويعظم الرغبة ويحقق نيل النفع وقبول المسألة . ثم قال أعني شيخنا الحامد نفعنا الله به : ولما قسم الله بفضله لنا الفراغ وتيسر الكفاف والكفاية في التعلقات والدوائر بالأولاد وقرة العين ، واطمأن الخاطر باعتنائهم رسمنا زيارة التربة ، يعني تربة تريم للوالدين والأولاد والأرحام والقرابة ، والدور على مشاهد الأولياء الأكابر زيارة يوم الجمعة ويوم الثلاثاء في الغالب ، فنخرج من البيت ونركب الدابة ، وفي ذلك إعتبار وتذكير بالخروج والركوب والجهاز الصدقي الحقيقي بعد الموت ، والغالب في الطريق إلى الزيارة الإشتغال بالذكر والدعاء كالخروج إلى الصلوات . ثم ذكر رضي الله عنه كيفية زيارته وابتدائه بالأستاذ الأعظم الفقيه المقدم ثم من بعده رضوان الله عليهم أجمعين .

(قلت) وقد زرت هذه التربة المعظمة مع سيدي وشيخي الحامد المذكور زيارات متعددة في سنين متفرقة وأنا في صحبة سيدي وشيخي وارث الأسرار الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفعنا الله بهم ، وآخر زيارة لسيدي الحبيب عمر المذكور عزم في آخرشهر رجب وصحب سيدنا الحامد المذكور باذن سيدي خليفة القطب الحبيب عبد الله الحداد في وقته الحبيب عمر بن احمد بن الحسن ابن الشيخ عبد الله الحداد لأن زيارة إمام باعلوي وهو الحبيب حامد المذكور مقدمة على جميع زيارات أولئك السادات ، وذلك حرصا من سيدي الحبيب عمر البار على ان

يحضر بركة زيارات الكل ، فلما عادوا قافلين يوم رابع عشر شهر شعبان صلى بنا العصر في مسجد خارج مدينة تريم منسوب إلى الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف وسار إلى بيته وسرنا إلى حوطة الحاوي ، فلما كان ثلث الليل الأول توفي سيدنا الشيخ الحامد وترقت روحه ولحقت بالرفيق الأعلى بلا مرض ولاسبب وكان له مشهد عظيم . وقد ذكرت ذلك في كتابي شرح سلسلة سند سيدي الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير المذكور نفعنا الله بهم آمين .

وقد مر مانقله سيدي الإمام السيد البدل عبد الرحمن بن سليمان الأهدل عن الإمام فخر الدين الرازي في المطالب في الفصل الثاني عشر في بيان كيفية الإنتفاع بزيارة القبور والموتى وهو أنه قال : إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوي النفس كامل الجوهر ووقف هناك ساعة وحصل تأثير في نفسه من تلك التربة حين حصل من نفس الزائر تعلق بتلك التربة ، ولايخفى أن لنفس ذلك الميت تعلقا بتلك التربة أيضا ، فحينئذ تحصل لنفس الزائر ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب إجتماعهما على تلك التربة ، فصارا هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع عن كل واحدة منهما إلى الأخرى ، فكل ماحصل في نفس هذا الزائر الحي من المعارف والبراهين والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضاء الله تعالى إنعكس إلى الآخر مايقابله من ذلك . إلى آخر مامر في المقدمة . إنتهى .

واعلم أن مما يحسن التنبيه عليه في هذا المبحث والإرشاد إليه ما أهمله كثير من الناس وعم التساهل منهم به لاسيما في هذا الوادي الميمون

دوعن ونواحيه ، فإنهم قد عمتهم الغفلة عن النقلة حتى نسوا موتاهم وكثر منهم العقوق وعدم القيام بالحقوق ، فلا ترى من يذكر والديه وإخوانه والأقربين من أرحامه وجيرانه بالصدقة والقرآءة والدعاء والإستغفار والزيارة إلا القليل النادر ، وغفلوا عن أنهم محتاجون إلى مايهدى إليهم مما يرجى به لهم الثواب أكثر من حاجة الأحياء إلى الطعام والشراب . قال عليه الصلاة والسلام (لولا الأحياء لهلك الأموات) وقال عليه الصلاة والسلام (أمتي أمة مرحومة تدخل قبورها بذنوب كالجبال وتخرج من القبور وقد غفرت لها بإستغفار الأحياء للأموات) الحديث . وروي أن هدايا الأحياء للأموات من الصدقات والدعاء وقرآءة القرآن تأتيهم به الملائكة في أطباق من نور مخمرة بمناديل من سندس وتقول لأحدهم هذه الهدية بعث بها إليك فلان ، فيسره ذلك ويفرح به .

قال الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد بعد أن روى هذه الأحاديث في سبيل الإدكار : وبلغنا أنه رؤي بعض الموتى في المنام فسئل عن حاله فقال : استقبلني ملك بشهاب من نار ليحرق به وجهي ، فقال فلان من الأحياء رحم الله فلانا فطفي ذلك الشهاب . فينبغي أن يقرأ كل إنسان الإخلاص إحدى عشر مرة أي وغيرها من القرآن كل ليلة أو كل يوم أوأقل أوأكثر ولو في كل ليلة جمعة ويهدي ثواب ذلك لوالديه ومشايخه وذوي الحقوق عليه ، ولاينسى موتاه من إستغفاره ودعائه وصدقاته فينساه من بعده إذا مات وصار إلى ماصاروا إليه من قبله ، فإن من ذَكَر ذُكِر ومن نَسي نُسي والبر سلف والله لايضيع أجر من أحسن عملا . وقال عليه الصلاة والسلام (آنس مايكون الميت إذا زاره من كان

يحبه في دار الدنيا) ويتأكد ندبا الزيارة ليلة الجمعة ويومها ، وكذلك ليلة السبت إلى طلوع الشمس من يومه ، وكذا يوم الإثنين ، فإنه يقال : إن أرواح الموتى ترجع إلى قبورهم في هذه الأوقات وقد ورد في ذلك آثار . وينبغي لزائر القبور أن يكثر لهم في حال زيارته من الإستغفار والدعاء والترحم عليهم ، ويقرأ ماتيسر من القرآن ويهدي ثوابه إليهم . إنتهى من كتاب سبيل الإدكار .

وقال الشيخ احمد بن عبدالقادر الحفظي العجيلي رحمه الله ونفع به في كتابه المسمى بـ (العهود لأصحاب اللحود) : ينبغي أن يعتني لاسيما أقارب الميت بماوردت به السنة وهو الجلوس عند القبر بعد الدفن ساعة . وقد أوصى عمرو ابن العاص رضي الله عنه أن يقفوا عند قبره قدر ماينحر جزور ويقسم لحمها ، قال : حتى آنس بكم وأرى ماأراجع به رسل ربي . قال ابن عمر رضي الله عنهما : يقرأ عند القبر بعد الدفن أول سورة البقرة وخاتمتها . قال الشافعي رضي الله عنه : فإن ختموا القرآن كان حسناً . وكان صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف وقال (أستغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) وفي خبر آخر (إذا مات أخوكم لاتحبسوه واسرعوا به) وليقرأ عند قبره فاتحة البقرة وكذا سورة يس . وقدكان العلماء والصلحاء يرتبون التهليلة السبعين الألف ففيها من عتق الميت الذي فعلت له وعتق الحي من النار . ويلحق بها الثمن وهو قرآءة قل هو الله أحد ألف مرة ، وسبحان الله وبحمده ألف مرة أيضا ، فإن لم يوصي الميت بذلك يعتني به أحباؤه وأولاده ومن يحرص على نفعه ونجاته كأولاده وقرابته ، فإن ذلك من علامة التوفيق والإيمان

بأحوال الآخرة ، وليكن من يوكل إليه العمل بها أميناً صالحا ليذكر وهو حاضر القلب . قال رضي الله عنه ، أعني الشيخ احمد الحفظي المذكور : وقد وصل إلينا من المشايخ آل بايونس من بلاد الجبرت من السادة العقيليين فأخبرونا أن من عادة المشايخ المذكورين وأعيان بلادهم بعد أن يلقنوا الميت يقفون عند قبره فيقرؤن الثمن (بفتح الثاء المثلثة) الإخلاص ألف مرة ، والفداء لآ إله إلا الله سبعين ألف ، ثم يجتمعون اليوم الثالث جماعة جم غفير فيقرؤن القرآن على القبر بعدد سنين عمره ختمات لكل عام من عُمرِهِ ختمه ، وبعدد سنين عمره سورة يس إحدى وأربعين مرة ، كل عام من عمره إحدى وأربعين مرة وذلك آخر النهار ويطعمونهم الصدقات الجزيلة ثم يتفرقون بعد ذلك . قال : وقد فعل لوالده ختمات بعدد سني عمره أكثرها عند قبره والباقي في المسجد . إنتهى مانقله الحفظي رحمه الله . فهذا العمل من علامات الإيمان بالآخرة والحرص على النجاة وفوز من عمل ذلك لأجله .

وقال في كتاب المعين في صلة الأقربين : ويستحب للإنسان أن لايدع زيارة قبرا والديه في كل جمعة إن قدر على ذلك يكتب باراً بهم كماقدمناه . ولله در القائل شعراً :

زر والديك وقف على قبريهما ... فكأنني بك قد نقلت إليهما
لوكنت جئتهما وكانا في البقا ... زاراك حبواً لا على قدميهما
ماكان ذنبهما إليك فطالما ... منحاك صفو الود من نفسهما
كانا إذا ماأبصرا بك علة ... جزعالما تشكوا وشق عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا ... دمعيهما أسفاً على خديهما

فلتلحقنَّهما غدا أوبعــــــده حتما كما لحقـــا هما أبويهما
ولتقدمنَّ على فعـــالك مثلما قَدِما هُما أيضًا على فعلــهما
بشراك لو قدمت فعـلا صالحا وقضيت بعض الحق من حقيهما
وقرأت من آي الكتاب بقدر مـا تستطيعه وبعثت ذاك إلـيهما
فاحفظ حُفِظْتَ وصيتي واعمل بها فعسى تنال الفوز من برهــما

أورد هذه الأبيات ابن الجوزي في الفصل الثاني والثلاثين .

(فصل) فيما يستحب قرآءته ليلة الجمعة وإهداء ثوابه للوالدين : روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال (من قرأ كل ليلة جمعة {**فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب العالمين * وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم** }[1] ثم يقول : اللهم اجعل ثوابها لوالدي لم يبق عليه لوالديه حق إلا أداه إليهما) . وروي أيضا أنه عليه الصلاة والسلام قال : (من قال ليلة الجمعة : يامالك ياقدير ، يامن لاشريك له ولاوزير ، صل على محمد النبي الأمي واغفر لي ولوالدي فقد أدّا حق والديه) . هاتان الروايتان من المحفوظ .

(فائدة) في ذكر صلاة إذا صلاها الإنسان وأهدى ثوابها لوالديه فقد أدّا حقهما وأتم برهما ، ذكر الإمام أبو الحسن القرشي عن علي بن احمد القرشي في كتاب فضائل الأعمال المشهور برواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (من صلى ليلة الخميس بعد المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة الحمد مرة ، وآية الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات ، والمعوذتين خمسا خمسا . فإذا فرغ من الركعتين إستغفرالله خمسة عشر مرة وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمس عشر مرة وجعل ثوابها لوالديه إن كانا مؤمنين فقد أدّا حق والديه وأتم برهما ، وأعطاه الله عز وجل مايعطي الصديقين والشهداء ، فإذا مرّ على الصراط كان جبريل عليه السلام عن يمينه ، وميكائيل عن يساره ، والملائكة تسعى بين يديه ومن خلفه

[1] الآية : ٣٦- ٣٧ الجاثية

بالتهليل والتكبير حتى يدخل الجنة) . ولهذه الصلاة فضل عظيم إختصرته خشـية الإطـالة في هـذا المختصرـ . وأوردهـا في كتـاب هديـة الأحيـاء للأموات . إنتهى .

ومـن المنـدوب أن يقـول الزائـر عنـد وصوله إلى المقـابر أوإلى قـبر مخصوص : السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، غداً مؤجلون وأتاكم ماتوعدون وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، أنتم لنا سلف ونحن لكم بالأثر ، رحم الله كربتكم وغفر زلتكم وتقبل حسناتكم وعفا عن سيئآتكم ، نسأل الله لنا ولكم العافية ، اللهم أغفرلنا ولهم . ونقل عن الشـيخ علي بن أبي بكـر السـقاف عن الإمام النووي أنه قال : قـال رسـول الله صلى الله عليه وآله وسـلم (من وقف على الجَبانة فقال : السـلام عليكم أهـل القبور ممـن قـال لآإله إلا الله ، يا أهل لآ إله إلا الله كيف وجدتم قول لآ إله إلا الله ، رحمكم الله يا أهل لآ إله إلا الله . أعطاه الله بعدد كل ميت فيها حسـنة) . وقال الإمام الزمخشري في كتابه ربيع الأبرار قـال الحسـن رحمـه الله : مـن دخـل المقـابر فقال : اللهـم رب الأرواح الباقيـة ، والأجسـاد الباليـة ، والعظـام النخـرة ، التي خرجت من الدنيا وهي بـك مؤمنـة ، أدخـل اللهم عليهم روحـا منك وسلاما مِنا ، إلا وكتب الله له بعـدد مـن مـات مـن لدن آدم إلى أن تقـوم الساعة حسـنات . إنتهى . نقلنا ذلك مع طوله رجاء أن يقـف عليـه مـؤمن فيعمل به فتعم الفائدة للأحياء والأموات ببركـة مـن رقمـت مـن أجلـه هـذه العبارات ، وعلقت هذه الفوائد المستعارات .

وقد بسطنا ما مر في شأن المشهد من الشواهد ونزيد هنا فوائد فرائد لأنه مظهر من مظاهر الأعلام فنقول : (فصل) في تنبيه وإعلام خاص بأهل مشهد الكرام ، وعام لسائر دوائر الإسلام ، وهو أن هذا المشهد الذي أحياه سيدنا الحبيب الأستاذ علي بن حسن نفعنا الله به أسسه على ثلاث قواعد ، وبسط فيه ثلاث موائد ، الأولى : الزيارات المسنونة التي أجورها غير ممنونة . الثانية : إقراء الضيوف بأنواع الطعام والصنوف . الثالثة : تأمين الخائف وبرد حر عطشه في اليوم الصائف . ورابعة خاصة بصاحب المشهد وعنايته وكثرة نصبه وتعبه وصبره على لآوائه ، كما قد حقق ذلك رضي الله عنه مع مكارم أخرى تذكر وتعد في كتابه المقصد في شواهد المشهد ، ونحن نستدل لهذه المكارم والمآثر الثلاثة ترغيبا للقائم في هذا المشهد بالحراثة والوراثة . فأما الأولى : وهي الزيارة والتبرك بمآثر الصالحين ومتعبداتهم ولثم ثرى ترابٍ لمسوه أونظروا إلى شاخص أوحائط أولابسوه .

وقد تقدم كلام على مقالة لسيدي عارف العصر الحسن بن صالح البحر الجفري باعلوي رحمه الله ، ونورد هنا كلام عزيز المنزع واسع المهيع أورده الإمام العلوي صاحب المشرع ينغمس في غمره مريد الإستدلال لما للمشهد من الحقيقة والإلتحاق بالمشاعر الجامعة للجلال والكمال . قال رضي الله عنه بعد أن أورد كلاما طويل الذيل في فضل زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومشاهد الأنبياء والأولياء وبسط الكلام فيما يتعلق بزيارة تربة تريم ومايحصل بها للزائر من التأثير العظيم ، ثم أطلق العنان بالقلم واللسان في هذا الشأن فقال : قال بعض العلماء : العالم الورع الذي

يصدق قوله فعله ، وعلمه عمله ؛ حري بأن يقتبس من أنواره ويتبرك بآثاره ، وقد سئل العارف بالله تعالى الشيخ عبد الله بن أبي بكر العيدروس عن معنى التبرك بآثار الصالحين فقال : لأن أماكنهم مباشرة لثيابهم ، وثيابهم ملاصقة لأجسادهم ، وأجسادهم متصلة بأرواحهم ، وأرواحهم ملابسة لحضرة ربهم . ثم أنشد :

تفوح أرياح نَجْدٍ من ثيابهم   عند القدوم لقرب العهد بالدار

وقال بعض العارفين : إن المشايخ إذا ماتوا تركوا هممتهم متعلقة بقلوب من إستند إليهم ، كما أنهم يتبركون بزواياهم التي كانوا يعمرون بها ذلك الموضع ، ولذلك يجد كل من دخل مكان كبير في الدين حيا كان أوميتا خشوعا ورقة وإنابة إلى الله تعالى لايجدها في غير ذلك المكان ، وما أحسن ماقاله كثير عزة حيث يقول شعراً :

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا   قلوصيكما ثم احللا حيث حَلت

ومسا ترابا طال ما مس جلدها   وبيتاوظلا حيث باتت وظَلت

ولا تيأسا أن يقبل الله منكما   إذا أنتما صليتما حيث صَلت

قال بعض العلماء : ينبغي لمن زار هذه المواضع المشهورة أن يستحضر معنى هذه الأبيات . وحكي أن الشيخ أبا الفضل ابن العربي التلمساني والشيخ علاء الدين بن سلام وجماعة من الفضلاء الأعلام إجتمعوا بمزار السيدة زينب بنت الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ، فأنشد الشيخ علاء الدين بن سلام للشيخ جلال الدين بن خطيب :

ياعين إن بعد الحبيب وداره   ونأت مرابعه وشط مزاره

فلقد ظفرت من الزمان بطائل إن لم تـــــريه فهذه آثاره

فقال الشيخ أبو الفضل : هذا قريب مما قاله لسان الدين ابن الخطيب وأنشد :

إن بان منـزله وشط مزاره قامت مقام عيانه أخباره

قسما بمن لامالك لي غيره هذا ثراه وهذه آثـــــاره

وحكي عن الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه أنه قال : إني أشفع لمن مر على باب مدرستي . وأنه قيل له إنا نسمع صراخ ميت دفن منذ أيام ، فقال : ألبس مني خرقة ؟ فقالوا لانعلم ! فقال : أحضر مجلسي ؟ قالوا لانعلم ! فقال : أأكل من طعامي ؟ فقالوا لانعلم ! فقال : أصلى خلفي فقالوا لانعلم ! فقال المفرط أولى بالخسارة . ثم أطرق تتجلله الهيبة ويعلوه الوقار ثم قال : إنه رآني وأحسن الظن بي ، وإن الله قد رحمه لذلك . فلم يسمع له صراخ . ثم أتى بحكايات تنزع إلى التبرك بآثار الصالحين ، ثم قال بعد ذلك : وينبغي أن لايدخل مواضع الظلمة والفسقة ولايسكنها ، فقد قال العلماء في قوله تعالى { **وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم** }[1] ففيه تنبيه على أن الإنسان لاينبغي أن يسكن في أماكن الظلمة مخافة أن يصيبهم بلاء فيصاب به ، أوتسرق طباعه من طباعهم ولوكانت خالية منهم ، لأن آثارهم مذكرة بأحوالهم وربما أورثت قسوة وجبروتا في القلوب . وقال في موضع آخر : صَرح غير واحد من العلماء بندب زيارة آثار الصالحين والتبرك بموارد المتقين ، واستدلوا بما في

[1] الآية : ٤٥ إبراهيم

الصحيح أنه صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا توضأ بادر الصحابة رضي الله عنهم إلى وضوءه يتبركون بالماء الذي مس أعضائه صلى الله عليه وآله وسلم . وكانوا لايتنخم نخامة إلا دلكوا بها أجسامهم . وشربت أم أيمن بوله ، وأبو طيبة الحاجم دمه ، وكذا عبدالله ابن الزبير رضي الله عنهم . ويقول الله تعالى حكاية عن يوسف عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام { **إذهبوا بقميصي هَذا فألْقُوهُ على وَجْهِ أبي يأت بصيرا** }[1] . إلى آخر ماذكره رضي الله عنه .

وأما إقراء الضيفان وتأمين الخائف وإرواء الظمآن فذلك معلوم فضله ومنتشر نقله في كتب الشريعة ، وفوائد هذه الخطة عامة وكرامتها للكافة تامة . وكما قيل : كم ترك الأوائل للأواخر من فضائل وفواضل ، وشعائر ومآثر ، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العزيز الحكيم .

[1] الآية : ٩٣ يوسف

الباب الثاني في ذكر من أثنى على هذا الإمام واسع الأنفاس الشيخ الأستاذ القطب المكين الحبيب علي بن حسن العطاس باعلوي نفعنا الله به وبسلفه ؛ إعلم أن هذا الباب أخصر أبواب هذا الكتاب لكون فائدته تتعلق بالسالكين لطريقه ، والمحبين لحزبه وفريقه ، لكونهم إذا وقفوا على شيء من خصوصياته وثناء الأكابر عليه إزدادوا له محبة واتباعا به ، وتأسيا وانتفاعا بأقواله وأفعاله وسيرته وأعماله . واعلم أن الأعلام الفحول والشهود العدول لايطلقون الثناء إلا على كامل صحت ولايته وكملت رعايته ، وتم له الفطام من شيخ مرشد مسلك كامل التربية ، يصلح أن يكون واسطة بين الله وبين عباده بحيث لايشغله الخلق عن الحق ولا الحق عن الخلق ، يتلقى أنوار المعرفة من الواسطة العظمى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وارث عنه ، كالقمر يتلقى أنوار الشمس ثم يبثها ويبسطها على سائر الأجرام . قال الشيخ أبو القاسم ابن مطير نفع الله به : واعلم أن المشي- برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الله سبحانه وتعالى هو الأتم والأفضل ، لكون العبد يحصل له بالواسطة مالم يحصل له بذاته . فافهم هذا من قول سيدي محمد بن حسين البجلي نفع الله به حيث رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامه فسأله أي الأعمال أفضل ؟ فقال : جلوسك بين يدي ولي لله كحلب شاة أو كشج بيضة خير لك من أن تعبد الله في زوايا الأرض حتى تتقطع إرباً إرباً . فانظر إلى تأثير الواسطة وماهو الحاصل بها تعرف الواسطة بذلك . إنتهى . وماذكرناه من أن الكامل والمتأهل للتكميل لايحتاج في الثناء إلى تطويل يشير ماقاله الشيخ احمد محمد زروق في قواعد الصوفية فإنه قال : إنما وضعت التراجم لتعرف

المناصب ، فمن عُرفت رتبته كانت الترجمة له تكلفا غير مقيدة في ذاته ، ومن جُهلت مرتبته لزم عند ذكره الإتيان بما يُشعر برتبته . ومن هذه القاعدة جاز أن يقال : روى أبوبكر ، وقال عمر ، وعمل عثمان ، وسمع علي ، وكان ابن المسيب ، وأخبر ابن سيرين ، وقال الحسن ، وذهب مالك ، وحكي عن الجنيد . إلى غير ذلك والله أعلم . إنتهى . ويكفيك أيها الأخ إن فاتتك رؤية هذا الإمام ومشاهدة بعض أحواله أن تعلم أنه شريف علوي حسيني سني ، فقيه صوفي ، عالم عامل مستقيم . وقد مر في الباب الأول شرح بدايته واجتهاده ، ومايشير إلى عناية الله تعالى به في تثبيته ورسوخ قدمه في سيره واستعداده . وأما أحواله ومعارفه فإنها من كلمات الله التي تنفد البحار دون نفادها . وكان رضي الله عنه يتمثل بأبيات جده الشيخ محمد بن علي باعلوي نفعنا الله بهم الآتي ذكره . وقد ظن بعض أصحابه من كثرة مايتمثل بها أنها من نظمه ، وربما أنه يتمثل بها عند ورود حال عليه كما وقع كذلك لجده محمد بن علي مولى الدويلة . قال في شرح العينية : وتواجد رضي الله عنه مرة ، أعني مولى الدويلة بحضور عمه وشيخه عبد الله باعلوي قال في المشرع حتى غشي عليه ، فلما سكن أقيمت الصلاة فصلى من غير وضوء ، فلما أنكر عليه قال : وعزة المعبود أني شربت وتوضأت من الكوثر ثم حرك لحيته فتقاطرت ماء . وقال : نزل علينا شيء من العظمة لونزل على الجبال لدكت سماداً ، ثم أنشأ يقول :

الحب حبي والحبيب حبيبي والسبق سبقي قبل كل مجيب
نوديت فأجبت المنادي مسرعا وغطست في بحر الهوى وغذي بي
لي تسعة وثلاثة مع تسعة والعقد لي وحدي وعاد نصيبي

ماتعلمون أني مقدم في الملاء ليلة سري باليثربي سري بي

فلما سمع شيخه الشيخ عبد الله باعلوي يقول البيت الثالث قال له : لك ولأبيك . وقال في الشرح المذكور عن الشيخ محمد ابن علي أنه سأله ولده علوي عن السماع فقال : ماندخل فيه إلا وقد أفنينا الدنيا والآخرة أول ماتبدو لنا الدنيا فنسحقها ، ثم ننظر إلى الآخرة فنسحقها ، ثم نبددهما جميعا حتى لايبقى غير الله تعالى فحينئذ يقع الوجود . إنتهى .

وقد مر ما أشرنا إليه من حال سيدي الحبيب علي نفع الله به وعمله للسماع في بعض الأحيان فاستحضر ماذكر هناك من أنه لايدخل في السماع إلا وقد أفنى الدنيا ، فإن للوارث حكم الموروث . واعلم أنه رضي الله عنه ذكر في القرطاس والسفينة والمكاتبات بعض مايشير به إليه مشايخه من أهل حضرموت ودوعن كما مرت الإشارة إليه ، وذلك كجده الشيخ الحسين بن عمر وبنوه الكرام وارثوا الأسرار كأجداده الأجلاء الحبيب عبد الله والحبيب علي بن الحبيب حسين ، والحبيب احمد بن علي وغيرهم من الشيوخ ، ولاسيما آل أبي علوي كالشيخ الحبيب احمد بن زين الحبشي ، والشيخ الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه وغيرهما من أهل تريم وباقي أئمة حضرموت . ومن أهل دوعن الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ، والشيخ عمر بن عبدالقادر العمودي ، والشيخ عبد الله بن عثمان العمودي ، والشيخ سعيد بن عبد الله باعشن وغير هؤلاء من أعيان وقته ، وإن حاله ومقامه كما قدمنا أنه ممن لايتأثر بالذم والثناء ولايركن إلى المدح كما قال في الأبيات التي مر ذكرها : واستوى عندي المادح ومن كان يعذل . وهو مع ذلك بمعرفته وبلوغه مراتب الولاية الكبرى

الحاصلة لأهل الله مشغول القلب عن الشتم والسب والأذاء عن المدح . وقد نقل الإمام الغزالي رضي الله عنه عن أحوال جماعة لم يستفزهم المدح ولم يغضبهم الأذى والقدح ، قال : لإشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ، وإن تأثروا محى ذلك عن قلوبهم إشتغالهم بماهو الأهم . وكان سليمان رضي الله عنه لما شُتم قال : إن ثقلت موازيني فلايضرني ماتقول . فقد كان همه مصروفا إلى الآخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم . وكذلك شتم الربيع بن خيثم فقال : لقد سمع الله كلامك وإن دون الجنة عقبة إن قطعتها لم يضرني ماتقول . وسب رجل أبابكر الصديق رضي الله عنه فقال : ماسترالله عليك أكثر . فكأنه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن أن يتق الله حق تقاته ، ويعرفه حق معرفته ، فلم يغضبه نسبة غيره إلى نقصان إذا كان ينظر إلى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره . إلى غير ذلك من مقالاتهم مما يدل لحال صاحب الترجمة نفعنا الله به وبسلفه انه تهذبت أخلاقه وصفا باطنه عن كدورات الرئاسات الدنيوية ، ولم يبق يشهد من أفعال الخلق في نفسه وغيره إلا فعل الله ، وغاب عن الدنيا بالآخرة ، ولم يتأثر بذم ولاشتم ، ولم يستأنس إلى ثناء ولامدح .

قال الشيخ الأستاذ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به بعد أن أورد أخبارا عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كتاب الفصول العلمية : إنما يضر المدح الجاهل المغرور الذي لابصيرة له في الدين ، ولامعرفة له ولايقين . وأما العالم البصير العارف بربه وبنفسه فليس يضره ذلك ، فقد أثنى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على رجال من الصحابة وأثني عليهم عنده فلم يزدهم ذلك إلا معرفة وبصيرة بدين الله ،

وجِداً وتشميراً في طاعته وعبادته . وفي الحديث : (إذا مدح المؤمن ربى الإيمان في قلبه) ولكن أهل البصائر وأهل النصيحة لأنفسهم قليل ، وخصوصاً في هذا الزمان وأهل الجهل والغرور كثير، فليحذر المؤمن المتقي لربه الشفيق على دينه من كل مايضر به نفسه أويضر به غيره من إخوانه المسلمين . إنتهى من الفصول العلمية . وبعد أن أطلق عنان القلم فيما قدمناه من إغترار بعض المنتسبين إلى العلماء والأولياء برفعة مقامات آبائهم على التفصيل المار .

وقال في كتاب (درر الغواص في فتاوى الشيخ علي الخواص) للشيخ عبد الوهاب الشعراوي نفع الله بهما : وسألته رضي الله عنه أأصغى إلى الذين يمدحوني تفاؤلاً فإن ذلك عنوان على مدح الحق تعالى ؟ فقال : لاتركن قط إلى من يمدحك فإن النفس تألف ذلك من غير إشعارك ، وكل شيء أَلِفَتْهُ نفسك تخلفت به عن اللحوق والتخلق بآداب الربوبية التي من شأنها فقرك دائما وغنى ربك دائما ، وإيضاح ذلك أن كل كمال إدعاه إنسان إنما هو حقيقة الله تعالى وهو في ذلك منازع لأوصاف الربوبية من حيث لايشعر . إلى آخر ماذكره . وقال في موضع آخر : وسألته رضي الله عنه عن الآيات التي مدح بهاالإنسان فأجاب : بأن الإنسان لم يمدح مدح خالص لأنه لو خلص له المدح لما أقيمت عليه حجة أبداً عند الله ، وكان لسان الحق تعالى الإنسان إذا مدحته هل أنت متصف بماوصفته به أم أنت مخالف لذلك الوصف ، فإن كنت مخالف فمدحي كالتوبيخ في صورة مدح . إلى آخر ماقال .

وقد قدمنا أن مشايخ سيدي الحبيب الأستاذ علي بن حسن أثنوا عليه وغيرهم من أهل الحق والإنصاف ، ورأوا أنه أهلا للمشيخة والدعوة إلى الله تعالى وتسليك المريدين وإرشاد الضالين .

ونورد هنا بعض ما أرسل به إليه بعض العارفين العلويين فمن ذلك ماكتبه إليه العارف بالله تعالى الحبيب عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس باعلوي نفعنا الله بهما قال مالفظه : باسم خدام الحضرة السيد علي بن حسن ، كان الله له في السر والعلن ، ليشهد المحو في الصحو والصحو في المحو ، والحمد لله والشكر لله . ثم قال : الإرادة شاملة إرادة الحال والمقال ، فشمل الأول الأعيان الثانية ، وشمل الثاني المعاني الثانية التي هي ذات الحال لصفات المقال . ثم قال الحمد لله على كل حال في المرجع والمآل ، وأنشد شعراً :

يا صاحب الوقت ياخدن الإشاراتِ ... يامصدر الفيض في أهل الإراداتِ
أنت الغياث لعبد أمَّ يسألكم ... إمداد بسط له في الوصف والذاتِ
عودتمونا جميلا من هباتكمُ ... في ضمنها السر من رب البرياتِ
والآن أرجو دوام البشر ياسيدي ... مع الزيادات في حال وفي آت
حاشا الحبيب بأن ينسى المحب ولو ... ألقاه في بحره تحكيم وعادات
مولاي مولاي يامولاي عبدكمُ ... يرجو سريعا بأن يحظى براحات
لاتهملوا العبد فضلا واقبلوا كرماً ... ماحثه حبه عن نظم أبيات
وليس جائر إلى الإفضال إملاه ... مازلت أرجوه يابحر الكرامات
عطفاه غوثاه يادركاه لي فلقد ... أضرَّ بي ما أولاقي من مضراتِ
فبحبحوني بدنيايَ وآخرتي ... وروحوا مهجتي من راح ساداتِ

ياسيدي لاتدع صَبــــا صَبابكمُ يرجــو القبول بكم في كل حالات
الله الله في ابن العيدروسِ فقـد وافاكمُ بإنكسار وإعتــــــــقادات
والخيرمن شأن أرباب الفتوة للـــ ـراجي ولوكان من أربـــاب زلاتي

فتأمل هذا الثناء الجامع من خبير بأحوال أهل الله ومانأشار إليه من الكمالات التي تدل على معاني غامضة لايعرفها إلا من ذاقها ، وعلى القاصر التسليم والتقليد للعارفين بها كما قيل :

وإذا كنت بالمدارك غــــرا ثم أبصرت حاذقا لاتماري
وإذا لم ترى الهـلال فسلم لأناسٍ رأوه بالأبصـــــار

قـوله : باسم خدام حضرة سيدي الحبيب علي بن حسن لَعلَّ مراده بخدام الحضرة من ذكرهم سيدي الحبيب علي نفع الله به أنهم خدام المشهد ، أوخدام الحضرة له من أهل الغيب كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد : لحضرة الولاية خدام يحفظونها ، وهؤلاء الخدام قد ينتصرون للولي ويتصرفون في خدمته جلباً ودفعاً وهو لايشعر . وقد قال الشيخ عبد الخالق ابن علي المزجاجي الزبيدي رحمه الله تعالى : أولياء الله للقدرة كالجداول تتصرف بهم القدرة وإن لم يشعروا بذلك كجداول الماء يجري فيها وليس لها فعل في جريانه فيها . وقوله : يشهد الصحو في المحو والمحو في الصحو ، سيأتي بيان هذا المعنى من كلام سيدي الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى نفسه ، فقد ذكرت في كتابي (حدائق الأذهان والأرواح) في ذكر النسب الديني والولادة الروحية التي هي كولادة الشيخ القطب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس للشيخ علي بن عبد الله باراس نفع الله بهما مثلا ، فرأيتني قلت فيه الإنسان الكامل خليفة

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو الذي قد فرغ من إصلاح نفسه وارتفع على أبناء جنسه ، ومن شأنه وحاله انه قد جاوز عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت وعبر منه إلى عالم الجبروت ، فإنه إذا جاوز الملك إلى الملكوت صار الأول في حقه غيباً ، والثاني عينا ، وهو المسمى عندهم بالفناء الأول ، ثم عبوره من الجبروت إلى اللاهوت وصول إلى كمال الفناء الثاني وهو فناء الفنا ، فيفنى عن الخلق ويفنى أيضا عن فنائه . قال السيد الإمام العارف بالله تعالى الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس العلوي قدس الله روحه ، أعني صاحب المكاتبة ؛ وهذا أي فناه عن نفسه هو منتهى سير السائرين السالكين وهو الفناء المحض . ومن هذا يرجع إلى عالم الملك المعبَّر عنه بالفرق الثاني ، والصحو بعد المحو ويُعبَّر أيضا بانصداع الجمع وبالفرق بعد الجمع وبظهور الكثرة في الوحدة واعتبارها فيها ، ويعبَّر عنه أيضا بمحو المحو وفناء الفنا الذي هو عين البقاء ، وبجمع الجمع وبشهود الوحدة في الكثرة والكثرة في الوحدة ، فيحصل له شهود التفرقة في عين الجمع بحيث لايكون أحدهما حجابا عن الآخر ، فصاحب هذا المقام لايحجبه الحق عن الخلق ولا الخلق عن الحق ، بل يشهد الحق في الخلق وعكسه ، فيعطي كل ذي حق حقه . قال : وهذه المنزلة المعبر عنها بالنبوة في النبي ، والبقاء والتكميل في الولي ، وصاحب هذا المقام هو الذي له من كل المقامات واردات ، وفي كل الحضرات مشاهدات ، ومن كل الأسماء عليه تجليات . وهو مقام إرشاد المريدين وتربية السالكين ، فمقامه في الولاية بمنزلة الرسالة لأنه مقام دعاء

الخلق إلى الله تعالى بالله وهو المشار إليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم (العلماء ورثة الأنبياء) . إنتهى ملخصا .

وقوله : والإرادة شاملة إرادة الحال والمقال فشمل الأول الأعيان الثابتة ، وشمل الثاني المعاني الثابتة الآخرة ، فأما الإرادة فالمراد بها الجذبة الربانية . قال المناوي رحمه الله : الإرادة عند الصوفية ترك العادة وهي بداية طريق السالكين وأول منازل القاصدين . وقيل : هي توديع الوسادة ، وأن يحمل من الوقت زاده ، وأن يألف بسهادة ، وأن يهجر رقاده . وقيل : لوعة تهون كل روعة . وقال في قوله الأعيان الثابتة : هي حقائق الممكنات في علم الله وهي صور حقائق الأسماء الإلهية في الحضرة العلمية لا تأخر لها عن الحق إلا بالذات لا بالزمان ، فهي أزلية وأبدية . إنتهى .

وقوله في الأبيات : يامصدر الفيض في أهل الإرادات . يشير إلى المعنى الأول الذي هو مقام تسليك المريدين . قال المناوي رحمه الله تعالى : الفيض الأقدس عبارة عن التجلي الذاتي الموجب لوجود الأشياء إلى آخره ، والفيض المقدس التجليات الأسمائية الموجبة لظهور مايقتضيه إستعداد تلك الأعيان . إلى آخر ماذكره . ومعنى الأول أن الفيض الأقدس وجود المكونات في علم الله ، والثاني بروزها في الخارج . نقلنا ذلك ليعلم الواقف مقام المشير والمشار إليه ، فإنهما وإن لم يتعارفا في عالم الشهادة فإن لهما تعارفا ، فإذا كانا متكافئين تكلم أحدهما بما هو حال الآخر . هذا معنى كلام ذكره المزجاجي . نقلنا بيان بعض هذه الألفاظ التي عنى بها هذا الإمام العارف ، أعني الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى وأشار بها إلى أحوال سيدي الحبيب الأستاذ علي بن حسن نفع الله بهما ليعلم الواقف

عليها ماتضمنته من المعاني الغزيرة الممتنع فهمها وذوقها على من لم يصل إلى تلك الأحوال والمقامات ، لأن علمها لايدرك بالوصف والبيان وإنما يدرك بالذوق والوجدان ، فعسى من وقف على ذلك أن يشتاق إليه ويأتي البيوت من أبوابها التي تدخله عليه ، وهي المجاهدات بارتكاب المشقات ، والإعتماد على أركان السلوك والسير إلى ملك الملوك ، وذلك عندهم معروف . وقد أشار القطب الشيخ أبوبكر العيدروس العدني قدس الله روحه في قصيدته التي يقول فيها : هبت نسيم المواصلة بلا إتصال و لا إنفصال . فإنه قال بعد ذكره أحوال أهل الله وأذواقهم ومشاربهم

هذه علوم محققة ... رجالها نعم من رجال

قد إقتدوا ثم جاهدوا ... وشاهدوا وانتفى المحال

يقينهم لاإرتياب فيه ... وهديهم ليس به ضلال

قال الشيخ الأستاذ عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به في شرح القصيدة المذكورة الذي ختم به كتاب (إتحاف السائل) هذه علوم يعني التي أشار إليها محققة عند أهلها الناظرين بنور الله ، الخارجين عن مضيق التقليد إلى فضاء الكشف ، الذين لم يقنعوا بالخبر عن العيان كما قنع به الجامدون على المعقول ، الواقفون مع أفكارهم ومايعرفونه من أنفسهم من الذكاء والفطنة ، فإن من هذا وصفه ربما أنكر علوم القوم ولم يصدق بها لخروجها عن إدراكه وتحصيله ، وهو عند نفسه ممن لا يفوته شيء من العلم فيكذب بما لم يحط به علما ، ولكون التصديق بباطن علم الصوفية فضلا عن التحقق به شاق على من هذا وصفه . قال الجنيد رحمه الله : التصديق بعلمنا هذا ولاية . ثم ساق رضي الله عنه باقي الكلام على

شرح الأبيات . فرضي الله عن أهل الله ونسأل الله أن يرزقنا التصديق بعلومهم اللدنية ، وأنفاسهم العلوية .

ومما كتبه ورسمه سيدي الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس مادحاً ديوان سيدي الحبيب علي بن حسن نفعنا الله بهما ومعرِّضاً بذكر المشهد ، قال رضي الله عنه :

تَجَلَّتْ لنا من حضرة الشرق والغـرب … محاسن لبنى في ابتعاد وفي قـرب
فَهُمنا بها لما فَهِمنا رموزهـــــــا … بدت في كنوز من سنا سرها الوهبي
على أنها للكـــــــل لاحت وإنما … رأوها بعيني في رخاءٍ وفي جـدب
وياحبذا بنت تهادت لِتربهــــــا … تربت بدارالغيب قـاعـدة الكعب
ومازلت منها للمحاسن خاطبـــا … إلى أن بدت بالجذب والوهب والكسب
فلما جلوت الأمر شاهدت أنــني … خطيب ومخطوب لها في رُبى الخصب
يمانية طوراً وطوراً لطيـــــــبةٍ … لها نسبة تزهو على الشمس والشهب
سماويةً أرضــــــيةً إن تبسمت … أنارت جميع الكون بالمبسم العـذب
حِجازيةً الألفاظ كم من معـــارفٍ … لديها معانيها بروض العُـــلا تنبي
أقول لها يا أخت سُعدَى أنا الذي … وحق الهوى العذري فيك إعتلا حبي
فقالت أما تدري ببعض الذي جرى … على طور سينا الفضل في المربع الرحب
فقلت رعاك الله ياظبية النـــقا … جرى ماجرى والسير في السير من شرب
فقالت دع التقييد بالجهر والخفـا … وكن مُطلِقاً حسب التجلي من الـرب
وسر كيف ما أولاك ذو الفضل والولا … وسمعي شنفه بـمدح من القـلب
فقلت لـها في أي شيء أذيعـــه … فقالت لنظم السيد الأوحد الندب
علي المعالي الحبر أكرِمْ بذائـــقٍ … من الراح راح القدس حسبي بها حسبي

فللّهِ من نظم به إنتـــــثرت على   فؤادي لآلٍ حسنها للنـهى يسبي
مقاصده حازت مواقف بهجــــة   كموقف رب النظم فيه الحشا يصبي
فيامشهداً لاحت به كم إشــــارةٍ   بشائرها أنبت بما لاح في الكتب
فكم من ولي كم صفي مهـــــذبٍ   به شاهد الأسرار كالوبل في الصب
ولابِدْعَ في بيت النبوة إن عــــلوا   على نَيّر الجوزاء في السهل والصعب
ولِمَ لا وطه أصلهم ووصـــــيه   وسِبطاه والزهراءَ لله من حــزب
عليهم صلاة الله ثم سلامـــــه   وسائر أهل البيت مع جملة الصحب

ومما كتبه إليه سيدي الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى المذكور نزيل مصر ، وأحد أعلام ذلك الركب والسفر ، والسفر البارع في جميع الفنون ، القارع باب المعارف بمفتاح الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ، صاحب المؤلفات الفائقة ، والإشارت الصادقة ، وذلك مما أثبته سيدي الحبيب علي بن حسن في كتابه المقصد في شواهد المشهد ، قال رضي الله عنه : فأول طلوع قمرها الذي أضاء به ديجور الجاهل بمقام هذا القطب الدائرة عليه دوائر طريقة جده الشيخ الحبيب عمر العطاس ، فأشرق في قلب كل مؤمن منهم نبراس . ولعل سببها أنه رضي الله أعني الحبيب عبد الرحمن بن مصطفى المذكور وقف على بعض مؤلفات سيدي الحبيب علي بن حسن نفع الله بهما ، فجعل ذلك الكلام عليه كالتقرير والتقريض ، كما يدل عليه قوله : وبعد فقد وقفت على هذا الوارد . إلى آخره . قال رضي الله عنه :

الحمد لله عن أبهى ماتتروح به الأرواح ، وماتترنح به في رياض الرضا الأشباح ، ذكر المتحلي في الظاهر على حسب الإستعدادات ،

المتجلي بأسمائه الجلالية والجمالية والكمالية في جميع الأوقات ، والصلاة والسلام على الرابطة العظمى ، مركز محيط دائرة الفيض المنزل عليه في الكتاب العزيز { **وأتوا البيوت من أبوابها** } وعلى آله الطاهرين مظاهر ذاته ، وأصحابه المتكلمين بكمالاته ، مااعتلت همة مريد ومراد ، وانتفى عن المنغمس في بحر الجمع شهود الأعداد . وبعد : فقد وقفت والشكر لله والحمد لمن ليس له قبل كما ليس له بعد ، على هذا الوارد من حضرة المواهب ، المفاض من إمداد الفياض الواهب ، في حالات ومقامات المصادر والموارد للحاضر والغائب ، فرأيته حديقة تبسمت أزهارها ، وبكت بهاطل الأسرار أنهارها ، وغردت على دوح المعارف أطيارها ، وحلت للقاصي والداني أثمارها ، كيف لاوهو من نتيجة تلك المقامات الغنية بظهورها عن الدليل والبرهان ، وناهيك بتلك الحضرة المشرقة على ذويها شموس الذوق والكشف والعيان ، شعراً :

صاح قف بي في موقف التأنيس عَلَّ نقضى لبانة التقـــــديس

وانتشق عرف روضةٍ روحتني من سلاف جَلَّتْ عـن التقييس

غبت فيها حسا ومعــنى لأني رحت من راح أنسها في عطوس

يامريداً مراده فاجن منـــها من ثمار تزهو كزهــو العروس

والزمن حضرة الشريف المفُدا معـــدن السر صفوة القدوس

العلي الوفي خَـدْنِ المعـــالي مظهر البسط والمقـــام الأنيس

لاحظته عين المعاني لهـــذا لم يزل رافـــلا بأبهى لبوس

ياحفيد العطاس حلو المـــزايا مقتدانا الشجـــاع زاكي الغروس

دُمْتَ تجلو أبكار ذوقٍ سناها دونه في الضياء ضــوء الشموس

بعد أن كانت السُهى في خـفاها فاصطفاها في الحـال رب رئيس
واقبلن بنت ود قلب أتتــكم بابتهاج خـــــالٍ عن التلبيس
وصلاة السلام ثم ســــلام ماتناجت وِرق الصفا في الطروس
يغشيان الحبيب خـــير البرايا ترجمان المعــــقول والمحسوس
ثم آلٍ به تسامـــــوا وصحبٍ هم أولي الإجــــتهاد والتدريس

قال ذلك بلسانه عن تجلي مولاه الفاني به في عين بقائه ، والباقي به في عين فنائه ، راجي رحمة القدوس ، عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس . قوله : مظهر البسط والمقام الأنيس . فيه الإشارة إلى أن سيدي الحبيب علي بلغ مقام الأنس وهو من مقامات التمكين ، وذلك لأن المريد السالك إذا كان باقٍ في مقام التلوين تتعاوده أحوال الخوف والرجاء ، وفوقها مقاما القبض والبسط ، فإذا بلغ مقام الأنس دام له السرور وذلك حين يفنى الذاكر عن نفسه وذكره بالمذكور ، ولم يبق عنده للكون ومن فيه ومافيه في قلبه شعور ولاظهور ، ولاترد عليه حالات الرجاء ولا الخوف ولا القبض ولا البسط ، كماذكر معنى ذلك الإمام الغزالي رضي الله عنه في الإحياء . وقال المناوي : الأنس بالضم أثر مشاهدة جمال الجلال . وقيل : حياة القلب بنسيم القرب . وقيل : رؤية وجه الحبيب بفقد الرقيب . إنتهى . وفي هذه الأبيات إشارة إلى مقامات وأحوال الإكتفاء بعنوانها يغني عن بيانها ، نفعناالله بأهلها وأربابها ، وألهمنا التعلق بأسبابها .

ومما وقفت عليه من الثناء البليغ والإشارات العالية المنبئة بعلو مقام سيدنا الغوث الملاذ الشيخ الأستاذ الحبيب علي بن حسن ، ماوجدته

مرقوما بخط سيدي وشيخي وارث المعارف والأسرار ، الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفع الله به ، وهي من الشيخ العلامة العارف بالله علي الغانمي الشامي قدس الله روحه وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم ، حمدا لمن وجب وجوده وبقاؤه ، وامتنع عدمه وفناؤه ، ودل على وجوده أرضه وسماؤه ، وشهد بوحدانيته وصف العالم وبناؤه ، العليم الذي يحيط علمه بما لايتناهى عده وإحصاؤه ، القدير الذي جلت قدرته وتباركت أسماؤه ، وعظمت نعمته وعمت آلاؤه ، وتاهت في بيداء أولوهيته أنظار العقل وآراؤه ، وارتجت دون إدراكه طرق الفكر وأنحاؤه ، أحمده ولا أحصي ثناؤه ، وأشكره والشكر أيضا عطاؤه ، وأصلي وأسلم على حبيبه ورسوله الذي رفع الهدى جده وغناؤه ، وقمع الضلال بأسه وعناؤه ، صلى الله عليه وعلى آله ما أضاءت بالبدر المنير أضواؤه ، ثم على سدرة منتهى العلوم ، وعرش سرادقات الفهوم ، شيخ الإسلام وحامل لوائه ، وكوكب الفضل وشمس سمائه ، مفتاح المعاني والبيان ، إنسان العين وعين الإنسان ، منهاج الطالبين ورياض الصالحين ولسان المتكلمين وحجة الناظرين ، حدقة الوجود وحديقة الموجود ، مظهر الولاية وعين العناية ، روح مجمع أهل الكمال ، وروح أهل المعارف والأحوال ، تاج الأتقياء علم الأصفياء ، سراج الأولياء ، غيث الأنام غوث الإسلام ، فريد أهل التحقيق في المعارف ، وحيد أهل التدقيق في العوارف ، محط الرحال ، مزدحم الرجال ، كهف الأولياء الأخيار ، قامع أهل الضلال والفساد والفجار ، كعبة أرباب الخلوص ، ومن هو بكل كرامة مخصوص ، محي الموات ومنقذ الأموات ، مربي المريدين ومجوهر

السالكين ، غوث العالم والناس ، مولانا وعمدتنا سيدي السيد علي بن حسن العطاس ، لازالت الألسن بالثناء عليه ناطقة ، والقلوب على محبته متطابقة ، ماسار ركب نحو الحجاز ؛ واحرم ولَبَّا وبالأجور فاز . أمابعد : فإنَّ تموج بحركم الدفاق ، غضا فيه إلى الأعناق ، وذقنا منه أحسن مذاق ، وإن سألتم عن محبكم المشتاق ، فهو في نعمة من المولى الخلاق ، ولايغيره الفراق ولايوم التلاق ، ومقيم للجناب العالي على خالص الدعوات لاسيما عند الحِجْرِ والحَجَرِ والحجرة والروضة والمنبر والمصلى ، والبقيع والمعلا ؛ والركن والملتزم وزمزم والمقام ، وأثناء الرؤوس ومنى والمزدلفة وبقية المشاعر وعرفات نرجو منه الإجابة ، بجاه الأنبياء والأولياء والشهداء والملائكة وسائر الصحابة ، والمرجو من مكارم مولانا وسيدنا وعمدتنا أن لاينسانا من خالص دعواته ، لاسيما عند خلواته وشخصاته وجذباته ، ومعراجه وارتفاعه وانحطاطه وانخفاضه ، وفرحاته وأحزانه وجلواته ، فلعل ولعل ولعل فإن فياهنانا وياسرورنا ، وإن فياويا ، والأول عندنا محقق ، والثاني مظنون ، والقريب أولى بالإكرام من البعيد ، والبعيد أولى وأحق وأحرى من القريب ، والهمم والمقامات من علاماتها الكرامات ، والكرامة هي الإستقامة ، وذرة من الإستقامة خير من ألف كرامة ، وما ألفتوه إلا صدف الزمن في هذه البضاعة ، بأن يجعل السنين والشهور مقدار ساعة ، فالرجل كل الرجل من وصل إلى مثل هذه المرتبة والدرجة ، وجعل الأوقات لها مدرجة ، والجبان لاكان وعلى كل حال ؛ من فرش رقد ، ومن زرع حصد ، ومن سهر الليل وَفُّوا له الكيل ، ومن نام عن الركيعات فصل عليه أربع تكبيرات ، ومن تورمت من طول القيام أقدامه ؛ فالخير

كله قدامه ، ومن عربد فقد شرد ، ومن خمد وحمد تَجَلَّى عليه الصمد ، ومن حج وثج وعج ، ظفر بالشرب من الحوض ولج ، والفتوة والشجاعة صبر درجة وساعة ، والدنيا كسوق قام فيه قانص مختبر وغير مختبر ، ربح فيه من ربح وخسر من خسر ، ولايصير الرجل صِدِّ يقاً حتى يشهد فيه ألف صديق أنه زنديق ، ولقد أحسن بعضهم حيث يقول :

لاتحسب المجد تمراً أنت آكله ... لن تبلغ المجد حتى تلعق الصَبِرا

وها قد بقينا مقيمين بالحرم أياما بخدمتكم ياسيدي ولم نركم لاخيالا ولاعيانا ، مع أنه مجمع الأحباب وموطن الطلاب ، وإن قلتم إنَّ أولياء الله عرائس والعرائس لايراها إلا من كان مَحْرَماً لهم ، فالأطفال لم يخطروا بالبال ولم يحجبوا عن الأبدال ، وإن قلتم في الوقت الذي يريد ؛ فلعله يكون غير بعيد ، ومعلومكم أن من تمسك بحبلكم فقد سلك ، ومن طرحه فقد هلك ، والغيرة والنجدة مطلوبة ، والتراخي من أمثالكم غيرمحبوبة ، إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها ، فإن لم يحصل الإمداد ويكثر علينا أل وأل وأل ، ولو صرحنا وصرخنا قبل المعاد ، ونادينا بأم القرى وأشرف البلاد ، ومورد العِباد والعُبَّاد بأننا لذنا وتمكنا وتمسكنا ولم يحصل المراد ، ونرجع عند ذلك إلى الباب العالي ؛ الوسيطة العظمى ولانبالي ، ونترك الوسائط ، ونعربد ونشطح ونمزج ونخالط ، وكلنا يسلم على كلكم ، شعراً :

ألا يانسيم الريح بلـــغ تحيتي ... سُليمى وعَرض بي كأنك مازح

فإن أعرضت عني فَمَوه مغالطاً ... بغيري وقل ناحت عليه النوائح

غيره :

ليس الخمول بعــار   على امرء ذي جلال
فليلة القدر تخفى   وتلك خـــير الليال

وقال أخر :

كل لسان يكل عن أوصافكم   ماذا أقول وأنتمُ هـــــو أنتمُ
الذنب والتقصير مني دائمًا   والعفو والإحسان يعرف منكم

إنتهت المكاتبة من خط سيدي الإمام وارث الأسرار الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفعنا الله بهم وهي جامعة لعلوم ومعارف وإشارات وعوارف ، وهذه هي مخاطبات الأكفاء من ذوي الإهتدا والإصطفاء كما أشار إلى ذلك في أول المكاتبة : إن أولياء الله عرائس ولايرى العرائس إلا المحرمون (بفتح الراء) أي المحارم ، أي المكاشفون بأسرارهم وكلامهم كهم في فهمه ، وفي كلامه إستنجاد لهمة سيدنا الأستاذ الحبيب علي المكنون ، ولسلفه ألأدنين الأقربين أرباب الحقائق الناشرين للطرائق ، فإن حصل منهم التراخي والمهلة عن توجه إلى إنجاح مباغينا بالهمة ، وإلا رجعنا وعدنا للواسطة العظمى لهم ولسائر الأمة ، إذ مدد الكل من جهته لاسيما للمستقيمين على إتباع سنته ، لاسيما خواص الخواص من العلويين ، الذين خصوا بطريقة مثلى كما وصفت وعرفت بكونها خارجة من بين فرثٍ ودمٍ لبنا خالصا سائغا للشاربين .

وقوله : وأل وأل وأل ، فأل أداة تعريف للجنس أو للنوع أو للإستغراق ، ولعله بذلك عُني شيئا من المطالب السنية التي يكون أهل الله تعالى فيه واسطة ، وهم ممدون من الحضرة النبوية المحمدية كما مرت الإشارة إلى ذلك قريبا ، إذ جميع العوالم مُمَدَّة منها ، يشير إلى ذلك قوله :

فلنرجع إلى إستنجاد أكرم الكرماء الواسطة العظمى . قال في المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي في مبحث طويل عن بعض العارفين معناه : إن مدد جميع الأنبياء والأولياء من الحضرة المحمدية ، وأنه قد يظن بعض الأولياء أنه يمتد من حضرة الربوبية وهو أنما يمتد من الحضرة النبوية ، وإلى ذلك يشير قول الأستاذ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفعنا الله به في وصف القطب الذي ترجع إليه وإلى الإستمداد منه جميع دوائر الولاية والخلافة ، أو من إليه تنسب الخلافة في مقام الصالحين ، وديوانه رضي الله عنه فيه الكثير من وصفهم ، ننقل لك في هذه الأبيات ما أشرناإليه، قال الحداد رضي الله عنه :

يمتد من بحر العلوم محيطها ... غوث الأنام بعاجل وبآجل

والقطب البكري الصديقي رضي الله عنه يقول في قصيدة أخرى :

ما أرسل الرحمن أويرسل ... من رحمة تصعد أوتنزل

من ملكوت الله أوملكه ... من كل مايختص أويشمل

إلا وطه المصطفى عبده ... رسوله مختاره المرسل

واسطة فيها وأصلٌ لها ... يعلم هذا كل من يعقل

والحاصل أن هذا الإمام الحبيب علي بن حسن أقَر له بالولاية كل عارف خبير ، وبالحفظ والفهم في العلم الكسبي والوهبي كل عالم نحرير . بلغنا عن العارف بالله الحبيب سقاف بن عمر صاحب أبين وهو من المجذوبين ومن أهل الولاية الكبرى من آل أبي علوي ، يتصل بالشيخ علي بن أبي بكر السكران ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف باعلوي نفعنا الله بهم أنه قال : مكث السيد علي بن حسن العطاس في القطبية ثلاث

عشر سنة ، وحُسد على ذلك ، وقد أقر له بالجمع بين علم الباطن والظاهر من قدمنا ذكرهم من الأكابر ، ولاسيما من أهله وأهل جلاله ، الذين قاموا له بالتربية ونظروا مطالع هلاله ، وراقبوا منازل سيره إلى أن بلغ طالع بدره إلى غاية كماله ، وأذعنوا له أنه إنفصل من شيخه مفطوما قائما باستقلاله . ومر بعض مايدل على ذلك ويشهد له بأنه صاحب وقته كما تكرر ذلك فيما مر عن أولئك الأفراد أن القطبية من صفته ونعته ، فمما سمعته من سيدي وشيخي خليفته على أسراره ، ومظهر علم مناره ، الحبيب العارف بالله جعفر بن محمد العطاس نفعنا الله به قال : كان الحبيب العارف بالله علي بن الحسين بن الشيخ عمر العطاس تولى أوقاف والده ، وكان طاعنا في السن ، وهو وولده الحبيب احمد بن علي من أجَل الرواة الثقات وأرباب الدراية فيما اعتمده ونقله في كتابه القرطاس فيما يتعلق بالمناقب والنقل عن من ترجم لهم فيه ، قال : وأنشأ الوالد علي بن حسن قصيدته التي مطلعها : ياعلي بن حسين أوصيك من نفسك أنصف . ثم أمر منشده أن يحفظها ويتقنها ، وإذا وصلوا إلى بلد حريضة يجلس إلى جنب الحبيب علي بن حسين وينشدها بين يديه ، فلما وصلوا وأنشدها مع مافيها من المواعظ والنصيحة أجاب عليه الحبيب علي بن حسين إرتجالا بنحو مائة بيت وهو إذ ذاك في سن المائة سنة والقصيدة مطلعها :

مرحبا مرحبا بك ياالحبيب المعرف ... ياالذي كل حبه من مذاريك تألف

إلى آخرها . وهكذا شأن ذوي الإنصاف المتحلين بالإعتراف . فإن الشيخ علي بن أبي بكر صاحب البرقة لما أتاه إمام الطريقين وشيخ الفريقين الشيخ الفقيه محمد بن علي باجرفيل الدوعني المقبور بغيل باوزير

قال له : أريد منك أن تقول لي : محمد باجرفيل منا أهل البيت كما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لسلمان الفارسي (سلمان منا أهل البيت) فقال هذه الكلمة مايقولها إلا من هو في مقام الخلافة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فَسِرْ إلى ابن أخي الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس ، يعني العدني وأرسَلَ معه رسولا ، وكان بينه وبينه وقفة يعنون بها شيء واقع في الخاطر مع صفاء السرائر من هؤلاء الأكابر ، فلما وصل إليه الرسول بوصاة عمه الشيخ علي قال له : محمد باجرفيل منا أهل البيت . فساربها نشيطا ، ولما حوت من الأسرار مغتبطا . والقصة ومافيها زيادة الفوائد مزبورة ؛ ذكرنا ذلك لما فيه من نهاية إجلال الحبيب علي بن الحسين للحبيب علي ، وكان في درجة جده الحبيب عبد الله بن الحسين . وفي ذلك أبلغ الثناء عليه ، وكما يقال : صاحب البيت أدرى بمافيه .

وكم وكم إذا ذاكر سيدي الحبيب جعفر في أحوال والده وأستاذه الحبيب علي بن حسن نفع الله بهما ، يجري في ذلك كالماء النازل في صبب ، ويأتي من ذلك بالعجب . وكان يوما ببلد الخريبة يذاكر بأشياء من أحوال الحبيب علي فذكر حينئذ منها ما وقع للسيد غازي الهندي أوالسندي معه ، والقصة مشهورة وفيها كرامات وعجائب ، فقلت لسيدي الحبيب جعفر مثل هذه الفوائد ومافيها من العوائد ينبغي أن تثبتوها وتقيدوها لينتفع بهاالواقف عليها ، فقال : ياسبحان الله هذه ثالث إشارة في هذه السنة . وكان رضي الله عنه له اليد الطولى في تحسين العبارة وسبك الكلام . قيل أنه بعد ذلك إبتدأ في تأليف مناقب لسيدي شيخه

الحبيب علي نفع الله به ، ولم يجمع منها إلا القليل في أولها لقصور الزمان ، وعدم إستحقاق أهله للإحسان ، فوردت الإشارة على ملفق هذه السفارات مُنَمقا لها بأقوال مستعارات ليس لها من المناقب إلا الإسم ، لمخالفاتي قوله تعالى { **ولاتقْفُ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ علم** } [1] وإنما هذا الإمام هَيُولي المعارف ومعدن الرقائق واللطائف ، تراجمه كتبه ، ولو نقل مافيها من تَحَدث الحبيب علي بن حسن بما أولاه الله من النعم والمنن ، لبلغ مجلدات عديدة وأسفار مديدة . وقد قال رضي الله عنه في بعض دواوين شعره التي كلامه فيها ينبئ عن عظم حاله ، وماستودع في سره في حكاية إستسقاء لأهل قرن المال من وادي عمد ، وقد أنشأنا هذه القصيدة ومابعدها من الأشعار والنشائد والحدو الذي يقال له المراجز بلغة أهل الجهة مالايحصى . و تقدم غالبه وسيأتي باقيه ، بحيث لوحزر مافي تلك الزيارة من نظم ونثر وقصص وعجائب وحكم وأمثال لكان ينيف على مجلدات كبار ، إلى آخر ماطال به . فاكتفي أيها الواقف على ماقاله سيدي الحبيب علي في هذه المكاتبة بالعيان عن الخبر ، تعلم بذلك صحة ماقلناه وحقيقة ما أسلفناه . وانظر في المكاتبات ما أثبته فيها في حكاية إستسقائه في المرة التي توسل فيها بإنزال الغيث بمشايخ دوعن التي هي سبب إنشاء القصيدة الفريدة القائل في أولها :

الحمد لله فزنا بالرضا والقبول

[1] الآية : ٣٦ الإسراء

فنسألك اللهم بجاه هذا الوجيه لديك المقبول ، أن تمن علينا بالرضا والقبول ، ولاتؤاخذنا فيما رسمناه من المقول ، فإن ما أثبتناه من هذا النزر اليسير لم نثبته إلا من كتبه أوعن الثقات الأثبات العدول ، والله ورسوله أعلم بحقائق الأمور وهو المستعان وعليه التكلان وإليه المصير .

(الباب الثالث) في شرح القصيدة التي راق منوالها ؛ ورقت أقوالها ، المناطة بالتنويه بشأن ناشر لواء الطرائق ، ومعدن الحقائق والرقائق ، أستاذ الأكابر ؛ ونور السرائر والبصائر ، الشيخ الأستاذ والقطب الغوث الملاذ ، الحبيب عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس باعلوي ، نفعنا الله به وبسلفه آمين . وهي من نظم صاحب الترجمة ذوالمواهب والمنن ، الحبيب علي بن حسن العطاس ، قال رضي الله عنه :

عطاعطاسنا غطا العطايا وأولى من تولى ومن يوالي

العطاء هو الإنعام والتفضل ، وتدخل فيه الهبة والصدقة والهدية ، والعطاء حسي ومعنوي ، فالحسي هو الجود والسخاء بالأموال والأخلاق لقوله عليه الصلاة والسلام (والكلمة الطيبة صدقة) وأما العطاء المعنوي فهو إرشاد السالكين وإيصال المريدين ؛ بالجذبات الربانية، والعطفات الرحموتية الرحمانية ، إذ هم الوسائط بين الله وبين عباده وقد أولاهم التصريف في خلقه وبلاده . حكي أن الشيخ عبد القادر الجيلاني نفعنا الله به نظر عشية ليلة إلى سبعين رجلا يبول أحدهم في فخذه فأوصلهم إلى الله في تلك الساعة . وسيدي الحبيب عمر نفع الله به يشبه حاله ومقامه بالجيلاني فعطاؤه غطا العطايا ، أي سترها لظهوره على سائر العطايا ، أي عند أهل دائرته والممدودين من فياض صلته ومواصلته ، فإنه أغناهم عن الغير ؛ كالشمس التي تغطي النجوم عند ظهورها في السير ، كما حكي عن تلميذه العالم الرباني العارف الصمداني الخليفة عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن المذكور ، والنائب عنه في الورود والصدور ، الشيخ علي

بن عبد الله باراس مهدي المهدي رضي الله عنه ، الحريضي ثم الخريبي أنه قال له الشيخ الحبيب حسين بن عمر وكان تكميله بعد وفاة والده على يديه ، ياوالد علي إنك لم تأخذ عن فلان وفلان وذكر له أناساً من أكابر ساداتنا آل أبي علوي ، فقال له : ياحبيب حسين إن والدك رضي الله عنه لم يترك فِي لغيره حتى موضع الإبرة . فلله دره من بحر تيار جرى منه الجدول العظيم الكرار . ومن علو همته وتمكنه أعني الشيخ علي المذكور أنه استشرف إلى أن يأخذ عنه الشيخ القطب الحبيب عبد الله الحداد فاعتذر إليه بأنا قد أخذنا ممن أخذت عنه ، يعني الحبيب عمر ، ونحن آل أبي علوي أخذنا إلا عن بعضنا بعض .

ومن عطاء هذا الإمام الإنسان الكامل إتصاف أصحابه بالكمالات والإستقامة في الأعمال والعبادات ؛ والأحوال والمقامات ، فهو وهم كما نقل الشيخ أبو العباس المرسي رضي الله عنه أنه قيل له إنك لم تصنف كتابا فقال : تصنيفي أصحابي . وسيأتي ذكر عدهم نقلا عن العينية ، فهم من عطائه المدرار وديم أحواله الغزار . ومن عطائه الجاري ينبوعه من الكوثر ؛ وروائح عطر عنبر عن بر ، تأهل دائرته لمكارم الأخلاق ، التي بعث لتتميمها خاتم الرسل رحمة لأهل الآفاق ، فقد أجمع على إتصافهم بذلك أهل الخلاف والوفاق ، فتراهم عند الحاجات ومس الضرورات يغرفون من بحر سره الدفاق ، ومن عطائه الذي تحصنت به الركبان وحرست به البلدان راتبه الذي عمل على ترتيبه الخواص والعوام ، واشتهر وشاع في حضرموت واليمن والشام ، وقد وَضَعْت عليه شرحا لطيفا يحل معاني كلماته ، ونقل شيئا يسيرا في فضل أذكاره ودعواته . وكم لهذا الإمام رضي

الله عنـه مـن عطـايا ، وأسرار وخبـايا في الـزوايا ، ومايقـال في المـلك والملكوت في زاوية من زوايا قلبه ، وماقلبه إلا مع ربه كما قال فيه القطب الحداد : الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس قلب ورب لانفس وهوى . وقال فيه في العينية حين عَد مشايخه :

وأبي حسين عمر العطاس من قد كان من أهل اليقين بموضعِ

وصفه باليقين الذي هو أعلى مراتب الإيمان بل والإحسـان ، وهـو تمكن الإيمان من القلب حتى لايبقى معه تشكك ولاتزلزل ولا إضطراب ، ويحمل على الأعمال الصالحة والإستكثار منها ، ومراقبة الحق في الخلوات والجلـوات . وقـوله : بموضـع . أي بمقـام عـال منـه ، إشـارة إلى الصـديقية الكبرى التي هي تحت درجة النبوة . قال الحبيب احمد بن زيـن الحبشي- في شرح العينية وشرح البيت المذكور : قد أثنى على السيد عمر المذكور غالب صالحي قطره وعصره ، وكان عالما عاملا داعيا إلى الله بقوله وفعله وحاله ، أخذ عنه الطريقة جماعات من أكابر وقته ، وانتفعوا بصحبته خلائق وتتلمذ له طوائف ، وتلقنوا منه الذكر ولبسوا الخرقة الصوفية ، فممن أخذ عنه سيدنا وشيخنا الناظم يعني الشيخ عبد الله بن علوي الحداد ؛ أخذ عنه الطريقة وألبسه الخرقة في وقت زيارته إلى بلد حريضة ، ولقنه كلمة الإخلاص (لآ إله الا الله) وصافحه كما صافحوه ولقنوه وألبسـوه ، ذكر لي ذلك شـيخنا عنـد أخـذي عنـه الإلبـاس والتلقـين والمصافحة ، وقد أشرت إلى ذلك في إلتقاطي المسمى بـ (المسلك السوي من المشرع الروي) عند ذكر مناقب شيخنا الناظم ومصنفاته ومشـايخه . وأخذ السيد عمر المذكور الطريقة والإلباس عن الشيخ السيد الإمام

الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم صاحب عينات ، وأخذ تلقين الذكر عن السيد عمر باركوه السمرقندي وهو المقبور ببلد الغرفة ، وأخذ المصافحة عن السيد محمد الهادي بن عبد الرحمن بن شهاب الدين احمد بن عبد الرحمن بن الشيخ علي بن أبي بكر بسنده إلى جده الشيخ علي المذكور أبا عن أب ، وسند الشيخ مذكور في كتابه البرقة كسائر أسانيده ، وممن أخذ عن السيد عمر العطاس السيد الجليل عيسى- بن محمد بن احمد الحبشي ، والسيد الجليل احمد بن هاشم بن احمد الحبشي ، والسيد الجليل حسين بن عمر العطاس ، والشيخ الجليل علي بن عبد الله باراس صاحب الخريبة ، والفقيه المنور احمد بن عبد الله بن الشيخ عمر شراحيل الغريب ، والشيخ المنور عمر بن سالم باذئب الشبامي . وغيرهم ممن لقيتهم كسالم بن علي بن محمد باعَبَّاد ، وله أيضا رضي الله عنه كرامات يحفظها اصحابه ، وله سير سديدة وأحوال شريفة ، وأنوار باهرة ظاهرة على المنتسبين إليه والمتعلقين به ، وكانت وفاته في أول سنة ثنتين وسبعين وألف من الهجرة ، أدركت شيئا من عمره . إنتهى ماذكره الحبيب احمد بن زين الحبشي في شرح العينية .

وقد نشر الناظم للأبيات سيدنا الحبيب علي بن حسن نفع الله به وأشاع من فضائله ومناقبه وكراماته وأحواله ومقاماته بالطبل والطار والطاس ، وتلك كنايات عن ماوَلَدتهُ منه الحواس ، في كتابه المسمى بالقرطاس ، وقد بسطت في ترجمته بأكثر من هنا في كتابي المسمى (فيض الأسرار) شرح قصيدة سيدي وشيخي الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار عند قوله رضي الله عنه :

كذا عن العطاس رأس الطائفه وغيره ممن رزق عواطفه

فلقد أجاد شيخنا الجلاجلي بما هو ظاهر جلي فيما بينا به في أول الترجمة من قول سيدنا الشيخ عبد الله الحداد : من كان من أهل اليقين بموضع . أن رأس الطائفة هو صاحب الصديقية الكبرى الوارث الواصل ، فتبين بذلك كله صحة قول الناظم : عطا عطاسنا غطا العطايا . ولإنك إذا حذفت السين من العطاس بقي عطا ، وهو إسم تكثير لكثير العطا . وقوله : وأولى من تولى ومن يوالي . أي أنعم وأجاد وأحسن على من تولى ، أي أعرض ، وعلى من يوالي أي أقبل وأظهر الود والحب ، وذلك لأن الكريم لايخص بجوده وتسخيه أحد دون أحد ، أما أهل المحبة الفائزون برضاء الله ورضا أوليائه فيوليهم لكل مايليق بحاله من إفاضة الأسرار والأنوار وغير ذلك مما يعد من الأموال للإدخار . وأما من تولى وأعرض فيوليهم بعدم الإنتقام والإنتظار وراثة لجده المختار فيما أنزل الله عليه من قوله تعالى في الكتاب المبين { **وما أرسَلناكَ إلا رَحْمَة للعالمين** }[1] ويحتمل في قوله : وأولى من تولى ومن يوالي ، معنى ثاني يشير إليه لسان حال البيان وهو أن قوله : وأولى من تولى إشارة إلى تولي الخلافة على أهل الدوائر . وقوله : ومن يوالي ، أي يمدهم ويفيض عليهم من الأسرار الغيبية والأنوار الربانية مايكسبهم مما عنده من الأحوال والمقامات العلية ، وذلك لأن القطب في الخلافة الأرضية كميكائيل عليه السلام في الخلافة السماوية . ولايخفى ما في هذا البيت من الجناس المختلف والتنويع ، عند من له معرفة

[1] الآية : ١٠٧ الأنبياء

بعلم المعاني والبيان والبديع . وهذه ابيات أوردها الناظم قدس الله روحه في كتاب القرطاس يشير إلى هذا العطا الذي ظهر وغطا ، وإلى ماسيأتي من معنى الأبيات في من جحده وكفر ، ولم يشرب الأبتر من العذب الزلال الكوثر ، وهي للشيخ رب الإشارات وقطب الأحوال والمقامات ، الشيخ علي بن عبد الله باراس في شيخه القطب الوارث الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس . قال رضي الله عنه :

يامجمع البحرين ياسر الندى	ياظاهرا في كون كوني أبدا
قد كنت أثبتُ في وجودي غيره	والآن كان الأمر منك كما بدا
نارت شموس الحق بعد غموضها	في غيبة التكوين ليلا أسودا
ياحبذا نورا تجلى مقبلا	من طور سينا عين مظهر أحمدا
أيظن مفتونا بعقل ناكبا	عن منهج التحقيق إن هذا سدى
ياغائبا عنا بظلمة جهله	أبعدت عن سبل الطريقة والهدى
قم فاغتنم في باقي العمر إنها	زُفَّت إليك عروس فضل مبتدا
وتناشدت عن حال سادتها فمن	عن ربع سلمى بالدراية مسعدا
هل من يطارحني بوجدٍ صافيٍ	عن شرب تلبيس يخالطه صدا
أم هل أخا تحقيق سعد جائزا	في لج بحر بالحقائق مزبدا
يعلن بأعلى صوت حق ظاهر	يسمعه من في الدار قد سمع الندا
يا أهل ودي إن ذا وقت أتى	هل من مجيب بالنجابة منجدا
أستنجد العرب الكرام تعطفا	واستفت عنهم متهما أومنجدا
واستخبر الريح المعنبر عَرفُهُ	عن سادتي أهل الجناب الأمجدا
واستعبق أنوا جودهم متلذذاً	بحياتهم مسترسلا منهم جَدا

تأتيك أفواج الندى في سرعـة   وتنال مأمولا وتـــدرك مقصدا
واقبل إليهم بالجناب وقل لـهم   ياسادتي بالله قد طـــال المـدا
هل للمُضِّيع عمره في جهـــله   عطفا فيدرك عن أياديكم نـدى
فإذا ظفرت بحبهم ووداد هم   وبلغت أيضا ماتـــروم وتقصدا
دع عنك من لان التغزل واسعدن   لا تلوِ عن ذاك الجمال الأوحدا
إن عاودتك من الجميل مكارمٌ   توليك ، أوحاد بذكرهم حـــدا
فاعزم على الإقبال منه بهمةٍ   تعلو سِماكاً في الفخار وفرقـــدا
فتبوأ في الأكوان أعلى رتـبة   تنبئك إن الغير ياهـــذا سدى
أقرب وقارب واحضرن في حضرة   قدسية الأوصاف منها يبـــتدا
سدد فإن الأمر أقرب واصـل   واقطع عن التسويف يوما أوغدا
لا تلوِ عن ربع الأحبة صارفـا   إلا إلى روح النعيم السرمـــدا
واسأل عن العرب الكرام تعطفا   في شأن عبدهم الغريب الأوحدا

فتأمل مافي هذه الأبيات من الإشارات الغريبة ، والأذواق الجامعة المشيرة إلى عظم سيدنا الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس نفع الله به وعلو مقامه ، وغزارة معارف الشيخ علي باراس التي أبرزها في وشي أرقامه . ففي البيت الأول من القصيدة المشروحة من قول الناظم سيدنا الحبيب علي : عطا عطاسنا غَطَّا العطايا . وهو قوله : يامجمع البحرين ياسر الندى . إلى آخره . إذا الندى العطاء ، والمراد بمجمع البجرين عِلْمَا الباطن والظاهر ، فهو ينفق منهما سراً وجهرا ، ونداه لاينقطع ، وعطاؤه غير ممتنع . ولو يشرح هذه القصيدة عارف ذائق بفهمٍ سباقٍ إلى الحقائق لأتى بالعجب . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

وأضحى ظله ظلا ظليلا   يظل به مقيلا رُبَّ قالي

وأضحى ، أي سيدنا الحبيب عمر العطاس نفع الله به ، أي صار ظله في وقت الضحى ، ظلا ظليلا ، أي ظلا مديدا ثخينا لايصل من إستظل به وهج الحر من الشمس ، والظل في اللغة الستر ، يقال : فلان في ظل فلان ، أي ستره ، والمراد أنه لايصل إلى أهل دائرته أذىً ولامكروها حتى أنه يحمي من ذلك ، حتى رُبَّ قالي ، أي تاركا للود فإنه إذا دخل الحِمى المكنى عنه بالظل أَمِنْ واحتمى ، إذا السلطان العادل ظِل الله في أرضه يستظل به المحب والعاذل . وهذا الإمام الخليفة عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم هوالسلطان في الحقيقة كما قال إمام الطريقة الشيخ شعيب المغربي رضي الله عنه شعرا :

مالذة العيش إلا صحبة الفقراء   هم السلاطين والسادات والأمراء

بل له ولذريته في تلك الناحية شوكة ظاهرة لإنقياد أهل العقد والحل لهم في الحقيقة والصورة . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

فيا من يجحد الإحسان قل لي   وإلا فاستمع مني مقالي

إعلم أنه لما كان الناظم قدس الله روحه أفهم من البيت الأول أن السامع لمافيه من المعنى مستشعرا ممتلئاً بما أعطي هذا الإمام وشمل جميع الأنام ، نادى الجاحد بنداء البعيد لأنه بعيد عن الإستظلال والتكهف بهذا الظل الظليل والكهف المنيع بجحده الإحسان ، وهو سريان النفع لكل إنسان ، لأن القطب وارث لسيد ولد عدنان وهو صلى الله عليه وآله وسلم مرسل رحمة للعالمين ، فمتبعه ينقسم إلى ناجٍ وفائز وسعيد ، ومخالفه لاتعجل له العقوبة والإنتقام وإن كانت النار المعدة له ليست من

الظالمين ببعيد ، فما بينه وبينها وشراب الحميم وطعام الزقوم إلا أن تبلغ الروح الحلقوم . وقوله : قل لي . لأي شيء جحدت الإحسان ، فإن كان عن غير حقد وحسد أرشدك لعله يتداوى ، وإن كان ناشٍ عن ذلك فإنه داء عضال كما قيل :

كل العداوات قد ترجى إماتتها　　　إلا عداوة من عاداك عن حسد

وعلى هذا الحال يكون الحسد طبيعة في الجسد . وقد قيل : إذا قيل لك أنَّ جَبَلا زال عن محله فصدق ، وإن قيل طبيعة إمرء زالت عنه فلا توافق . وحسد أهل البيت النبوي لما لهم من الحقوق زيادة في العقوق ، فإذا كان نتائج البذاء والأذاء وهو في حق كل مسلم مذموم ، وفي حق أهل البيت زيادة شؤم . قال صلى الله عليه وآله وسلم (من آذى أهل بيتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله) وفي الحديث الآخر (من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب) وقوله في هذا البيت : فيامن يجحد الإحسان قل لي . أي قل لي ماسبب جحودك الإحسان الذي أعظمه دعوة مشرفنا إلى الإسلام والإيمان والإحسان ، وإلا فإن لم تجب علي فاستمع مني مقالي ، أقول مجيباً على لسان حالك الجاحد لأهل الفضائل والخصوصيات وغفر الزلات ومحو السيئآت :

بأي شريعة تنكر علينا　　　وترمينا بجندلة الجدالِ

أي بأي حجة تنكر علينا من شرائع الملل والأديان السليمة عن التغيير والتبديل والإفتتان ، إذ الشرائع التي حالها هذا معروفة بأنها تميز الحسن عن القبيح والفاسد من الصحيح ، فإنك إذا أعرضت جحدك الحق وإنكارك الصواب على إحدى الشرائع وجدت نفسك ظالما مخطئا ، والجزاء

من جنس العمل ، فإنك كما تدين تدان ، وترجع في دنياك وأخراك بالخزي والذل والهوان ، فقوله : بأي شريعة إستفهام إنكاري جوابه ماذكرناه وجزاؤه مارسمناه . وقوله : وترمينا بجندلة الجدال . الجندلة واحدة الجنادل وهي الحجارة ، والجدال هو التخاصم والتشعيب ، وهو يؤرث التقاطع والتصارم ، وهو لدين المرء شرٌ ماحق وهادم . ثم قال رضي الله عنه :

وتجعل حسننا سيئاً قبيحا وتجعل خيرنا شر الخصال

أي وبأي شريعة تجعل حَسَن أهل النفوس الطيبة الزكية والقلوب الطاهرة والأرواح المنيرة سيئاً ، فقد عكست الأمر في هذه النفوس الموصوفة بماذكر ، وهي التي كانت متوجهة بنا إلى العلو ومكارم الأخلاق وصالح الأعمال وإنفاق نفائس الأوقات في مراضي الإله الذي رحمته وسعت كل شيء وسبقت غضبه . وكنت أيها الحاسد العاذل منكوس القلب إلى الأسفل محشو الصدر بالحقد والغش والغل خبيث النفس ، عكست الأمر فينا على قياس ماعندك من الغي ؛ وعلى مرادك وظنك السيئ ، فاختلف في ذلك المراد ؛ وكنت في واد ونحن في واد ، فبسبب ماترمينا به من الخصام والجدال قد تقطعت بيننا وبينك الأسباب والحبال ، ثم ثانيا تجعل الحسن مِنا سيئاً مضرا والخير منا شرا ، فذلك الذي يدل عليه حالك ويقتضيه مقالك ، وكل وعاء ينضح بما فيه فيما يظهره ويخفيه ، كما قيل :

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصَدَّق مايعتاده من توهم

وعادى محبيه بقول عدائه وأصبح في ليل من الشك مظلم

وقال سيدنا الإمام بحر العلوم الزاخر ، في الباطن والظاهر ، الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي في تائيته المسماه (عقد الميثاق) :

وكل له قول على قدر عقله وكل له فعل على وفق همةِ

وإكمال فعل المرء فرع كماله ونقصانه من نقصه في الحقيقةِ

فرجحان العقل أصل أصيل في الدين ، وهو الذي يميز به الإنسان بين الحسن فيتبعه وبين القبيح فيجتنبه . ولهذا لايسمى عقلا إلا أن يدبر الدين والآخرة ، وأما إذا كان حاذقا في تدبيرات الدنيا فإن ذلك لايسمى عقلا وإنما يسمى حِسا وحذقا . ومن هذا لما كان هذا الجاحد لفضل الظاهر بسبب ميله إلى الدنيا وجعلها بدلا عن الدين جعل حسنهم سيئاً وخيرهم شرا ، ولم يبال بأن يكن بذلك من الخاسرين . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

أما حق الحقيقة في إتباع فأين أولوا العقول أولوالكمال

قوله : أما ، للإفتتاح والتنبيه ، فإنه رضي الله عنه بعد أن ذكر غواية هذا الضال وعماه فيما ذهب إليه من المراء والجدال ، إلتفت إلى تقرير ماهو عليه لما هو الحق ويستحقه من المحبة والود والتكريم قياما بما ندب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأهل البيت من الحق العظيم فقال : أما حق الحقيقة في إتباع . الحق لغة الثابت الذي لايسوغ إنكاره ، وعرفا الحكم المطابق للواقع يطلق على الأقوال والعقائد والأديان والمذاهب ، ويقابل الباطل والحقيقة ، ولها إعتبارات كثيرة . وعرفت بأنها إسم لمايريد به وضع له وهي فعيلة ، والتاء فيها للنقل من الوصفية إلى الإسمية كَعَلاّمة

لا للتأنيث هذا حاصل ماذكره المناوي . والإتباع هو إقتفاء أثر من تقدم في العمل بالحق ، أي فيما ندبه الشرع وحث عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إتباع سنته في النيات والأقوال والأفعال ، والمراد هنا ماندب إليه وأمر به من الحب والمودة لأهل بيته وخاصته . وقد قرر الأئمة أن مودة ذوي القربى من العقائد اللازمة لما جاء في ذلك من قوله تعالى { **قُلْ لاأسألكم عَلَيْهِ أجْراً إلا المَوَدَةَ في القُربى** }[1] وقال صلى الله عليه وآله وسلم (إني تاركٌ فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر ، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ، أخبرني اللطيف الخبير أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) إلى غير ذلك من الدلائل الغير محصورة في أهل البيت والمبالغة في مودتهم من غير غلو ، فالغلو في الحب مذموم وهو أن ينسبهم إلى ماليس لهم كما قيل في سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه . وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك فيما روي عنه أنه قال (دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن فيك مثلا من عيسى عليه السلام أبغضته اليهود حتى بهتوا أمه ، وأحبته النصارى حتى أنزلوه المنزلة التي ليست له) . وفي رواية يهلك فيك فِرْقتان محب غال ومبغض قالي ، والمراد بالغالي الشيعة ، والقالي النواصبة وكلهم ضالون إلا الشيعة الذين مر وصفهم في المقدمة فارجع إليه إن شيئت معرفتهم . وقوله رضي الله عنه : فأين أولوا العقول . جمع عقل وهو من

[1] الآية : ٢٣ الشورى

يدرك الحق ويعمل به ، ويعقل عن الله أوامره ونواهيه فيمتثلها طلبا لمرضات الله تعالى في الدارين كما مر قريبا ، وأما الكمال فهو الإنتهاء إلى غاية ليس ورائها مزيد من كل وجه ، وقيل الكمال حصول مافيه الغرض منه ، ففي قوله ذلك التعريض بأن هذا العاذل البغيض لوكان من ذوي العقل والكمال لأتبع الواردات الإلهية ، والنصوص الشرعية في تفضيل ذوي السوابق القوية والذين يغضب الله لغضبهم . قال صلى الله عليه وآله وسلم (ستة لعنهم الله تعالى ولعنهم كل نبي مجاب الدعوة : الزائد في كتاب الله عز وجل ، والمكذب بقدرة الله ، والمتسلط على أمتي بالجبروت ليذل من أعز الله ويعز من أضل الله ، والمستحل حرمة الله تعالى) وفي رواية : والمستحل من عترتي ماحرمه الله ، والتارك السنة) . و قال صلى الله عليه وآله وسلم (أربعة أنا شفيع لهم يوم القيامة : المكرم لذريتي ، والقاضي لهم حوائجهم ، والساعي لهم في أمورهم عند إضطرارهم ، والمحب لهم بقلبه ولسانه .) وقال صلى الله عليه وآله وسلم (أيها الناس إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذريته ، فلاتذهبنَّ بكم الأباطيل .) هذه الأحاديث من جملة ما أورده في المشرع الروي في مناقب السادة بني علوي .

وقد خص الله تعالى السادة آل أبي علوي من بين أهل البيت النبوي بخصائص لاتكيف ومعارف لاتعرف ، شَيَّد فيها وأبدع صاحب المشرع ، وأطنب وأطرب وأناف ، مصنف الجوهر الشفاف ، وغيرها من المؤلفات التي لاتحصى الخاصة بالعلويين الأخصا . فالحق الحقيق في الإتباع

والتصديق ، فإنَّ من أحب قوما فهو منهم ويحشر معهم . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

ولو لا الله قال لجدنا قل   لما قلنا لمنـــاعٍ وقـالِ

في هذا البيت إقامة الحجة وظهور المحجة على من عارض أونازع أهل البيت النبوي في فضائلهم ومراتبهم وخصوصياتهم أوحسدهم على ذلك أوعاداهم بحسب مايقتضيه حسده ، فقوله : ولولا . حرف إمتناع ، أي ولولا أن الله تعالى أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله { **قُلْ لا أسالكم عَلَيهِ أجراً إلا المَوَدَّةَ في القُربى** }[1] لما سألنا المودة والموالاة من الممتنع عن ذلك والقالي لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، أي التارك لمودتهم والمعرض عنها ، ولكنا مأمورين بسؤال ذلك كما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . وقد أطال الخطيب الشربيني في تفسيره في معنى الآية ، ونقل في آخره عن البغوي أن مودة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكف الأذى عنه ومودة أقاربه والتقرب إلى الله تعالى بالطاعة والعمل الصالح من فرائض الدين . إنتهى .

وذكر الشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنه في كتابه (البرقة المشيقة في الخرقة الأنيقة) من العلماء العاملين والشيوخ الأكابر العارفين من علماء مكة والمدينة واليمن والشام والعراق وحضرموت والسواحل وغيرها من بلاد الإسلام ، ممن أطلق الألسنة والأقلام في الثناء على آل أبي علوي وصحة نسبهم العالي النبوي ، وعُلو طرائقهم وخصوصياتهم مع

[1] الآية : ٢٣ الشورى

محاسن الأفعال وصالح الأعمال وصحة العقيدة واتباع السنة والنزاهة عن نسبة البدعة ، والطهارة عن آفات الكِبْرِ وأقذار الرئاسة مع كمال التواضع وحب الخمول ، كما نقل الشيخ احمد بن عبد الكريم في كتاب تثبيت الفؤاد من كلام القطب الحداد باعلوي نفعنا الله به أنه قال : كان في زمان الشيخ عمر المحضار من آل أبي علوي أربعون في مقامه ، يعني أحوالهم كحاله ؛ عشرون خلفه وعشرون قدامه . قال فقلت ياسيدي مامعنى عشرون قدامه وعشرون خلفه ؟ قال : وهل يعرف هذا إلاّ هُمْ . كأنه أجاب عليه بذلك أمالعدم فهمه لمعناه أولكونه من السر الذي لايجوز له إفشاؤه . فقف على مافي البَرقة تعلم به إجماع الأمة على خصوصية آل أبي علوي وتفردهم على جميع طوائف اهل البيت النبوي ، بحيث لايسبقهم منهم سابق ولايلحقهم لاحق من أبناء جنسهم فضلا عن غيرهم ، كما مَرَّ في قصيدة الحبيب عبد الله التي أولها : سقى الله بشاراً بوابل رحمةٍ . إلى آخرها .

وسمعت سيدي وشيخي الإمام الحبيب عمر بن عبدالرحمن بن الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي نفع الله به يقول : كنت في بلد بيت الفقيه بن عجيل بتهامة اليمن وقد وصل إليها الشيخ احمد بن حسن الموقري من زبيد زائراً ، فجئت إليه لزيارته والإجتماع به فذاكر في حال سيدنا الفقيه وسادتنا آل أبي علوي وبالغ في ذلك ، فلما خرجت من عنده قصدت سيدي وشيخي احمد بن علي البحر فقال على وجه الكشف : وصلتم من عند الشيخ احمد الموقري وأثنى على سادتنا آل أبي علوي ؟ فقلت له نعم ! فقال : سادتنا آل أبي علوي سلاطين ونحن

مساكين . وهذا الحبيب احمد بن علي بحر من آل القديمي الذي خرج جدهم هو وجد السادة المهادلة والشيخ احمد بن عيسى۔ المهاجر إلى الله جد آل أبي علوي رضي الله عنهم من البصرة معاً ، فتديرا أبناء عميه تهامة اليمن وخرج الشيخ احمد إلى حضرموت ، وقصتهم مشهورة في كتب التواريخ . وكان هذا السيد احمد بحر نفع الله به من العارفين المكاشفين ، وكان أخذه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير واسطة كما ذكرت ذلك في كتابي شرح سلسلة سيدي الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار باعلوي قدس الله روحهما . ومن الوقائع المنبئة عن قوة كشفه كما هو شأنه في أكثر أحواله ويدل للتنويه بشأن آل أبي علوي وتفردهم على غيرهم من أبناء جنسهم ما مر قريبا عنه وعن الشيخ احمد الموقري . وذكر في البرقة المشيقة للشيخ علي بن أبي بكر رضي الله عنهما عن الشيخ عظيم الحال فضل بن عبد الله بافضل التريمي ثم الشحري نفع الله به أنه قال : خرجت مني كلمة حمدت الله عليها قلت : من لايحب آل أبي علوي مافيه خير . وقد شاعت عنه هذه الكلمة واستدلوا بها على اتساع معرفته بالله تعالى ، وقد نقلها شيخنا الحبيب الحامد بن الشيخ عمر حامد منفر باعلوي نفع الله به في اثناء مكاتبة لبعض محبي آل أبي علوي ، بل سائر أهل البيت النبوي ، قال بعدها : وهذا الشيخ فضل بن عبد الله بافضل من اهل بيت علم وصلاح وولاية ، يجلون ويعظمون ويحترمون آل أبي علوي . وهكذا شأن علماء الظاهر والباطن من العارفين بالله تعالى يطلعهم الله على خصوصيات اهل البيت زيادة على مايعلمونه من العلوم الظاهرة ، فتشتد محبتهم لهم واحترامهم لجنابهم . وقد اختص آل أبي علوي بأشياء

خاصة لم يشاركهم فيها غيرهم . فللّه الحمد والمنة . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

ولم نعتب حليف العتب فينا　　بأعتاب الملا من لايمالي

عطف هذا البيت على البيت الذي قبله ، أي ولولا أن الله أمر رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بسؤال المودة في القربى لم نعتب قرين العتب الذي يجري منه العتب فينا وعلينا بالعتاب . الملا ، أي الجماعة ، والأعتاب جمع عتب من لايتمادى في إظهار حسده وعداوته ولكنا نعاتبه ، وذلك لأن العتاب مخاطبة الإدلال والمذاكرة مع الأقران والأشكال ، فلعله يرجع بسبب العتاب إلى الود الذي ينجو ويفوز به في يوم الحساب ، وذلك شأن الرحماء من عباد الله ، ولاسيما أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهذا أي العتاب مَذهب طائفة إستحبوه . وإليه يشير قول القائل :

إذا ذهب العتاب فليس ود　　ويبقى الود مابقي العتاب

ففي هذا الإشارة إلى أن المراد من العتاب عتاب الإدلال والمطايبة بين الإخوان ، لاعتاب المناقشة والمنافسة بين الأقران وهو نوع من الجدال المذموم وإليه يشير القائل :

ومن لم يغمض عينه عن صديقه　　وعن بعض مافيه يمت وهو عائب

وقال آخر :

إذا كنت في كل الأمور معاتبا　　صديقك لم تلق الذي لم تعاتبه

فعِش واحداً أوصل أخاك فإنه　　مقارف ذنبا مرة ومجانبه

إذا كنت لم تشرب مرارا مع القذا　　ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

ومما ينبغي أن يكون العتاب مع الرفق ومع التعريض لاالتصريح ، وطائفة قالت عدم العتاب أولى كما مر ، هذا إذا كانت الزلة والهفوة والجفا من الأصدقاء والمعارف في النفس أوالمال ، وأما إذا كانت في الدين فحكمها معروف راجع إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ثم قال الناظم رضي الله عنه يُصرِّح بفضيلة أخرى هي أفضل وأحرى :

ولكن طبعنا إدفع بالتي هي   هي الحسنى وسل عن كل سالِ

ولكن للإستدراك ، أي إنا لم نعرض عن العتاب إلا لعلةٍ تجدي بالرجوع إلى الصواب ، وإلا فطبعنا المجبول على حب الخير لكل مؤمن أن ندفع بالتي هي أحسن إن كان في العفو، والسكوت أوالعتاب بالموعظة الحسنة عسى أن يعود المجانب ،كما قال تعالى { **فإذا الذي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوة كأنه وَلي حَميم** }[1] ولله در القائل :

إني أحيي عدوي عند رؤيته   لأدفع الشر عني بالتحياتِ

وأظهر البشر للإنسان أبغضه   كأنه قد ملا قلبي مسراتِ

ولست أسلم ممن لست أعرفه   فكيف أسلم من أهل العداوةِ

فسالم الناس تسلم من غوائلهم   وكن حريصا على كسب المودات

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد :

بهتونا بمقال سيء   كانت الأحرى به لو أبصرت

قدحلمنا وصفحنا عنهمُ   وبذا أسلافنا قد أخبرت

يظلمونا ثم نعفو عنهمُ   هكذا الفضل لقوم قدرت

---

[1] الآية : ٣٤ فصلت

وقوله : وسل عن كل سالي : إسأل عن طبائعنا في إحتمالنا الأذى وصبرنا كل سالي ، أي خالي البال عن بغضنا وعداوتنا من لايبطر الحق ويغمط الناس بالأشر ، والبطر يبين لك ماجبلنا الله عليه من طِيب الطبيعة ولطافة الروح وإشراق نور العقل والهداية وشرح الصدر ، لإتباع مشرفنا صلوات الله وسلامه عليه في هديه وسَمْتِه وسيرته ودله وأخلاقه التي جمع الحق أنواع الثناء عليه في كلمتين وهو قوله تعالى { **وإنك لَعَلى خُلُقٍ عظيم** }[1] .

(فائدة) تتعلق بمعنى مافي هذا البيت : إعلم أيها الأخ الواقف على أحوال هذا الزمان الذي ضعفت فيه حقائق الإيمان أن الناظم الحبيب علي رضي الله عنه وأمثاله من ذوي العزائم المؤيدين على الإتباع لخاتم الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وعلى الصبر الجميل وهو الذي لاشكوى معه ، والهجر الجميل وهو الذي لا أذى معه ، وأما غيرهم ممن لايقدر على ذلك ولايطيقه فالأولى له حبس النفس والتباعد والمجانبة لأهل الزمان وماجُبِلوا عليه من الضغائن والأحقاد ومايتولد من ذلك من الإنكار والأنكاد ، كما وصف الناظم رضي الله عنه هذا الزمان بقوله :

دار النكد والكد والكيد المكدر والكديم

فعلى العاقل حينئذ أن يسعى في سلامة دينه ، وأن يكون قريبا منهم في الخير بعيداً منهم في الشر ، ولاسيما إذا ظهر له ذلك بقرينة ناجزة كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد رضي الله عنه :

---

[1] الآية : ٤ القلم

إذا آنست من خل جفاء فلا أجفوه وإن هو قد جفاني
ولكني أفـــارقـه بلطفٍ وأمسك عن مقالـته لسـاني

وقـد ذكـر الإمـام السـيوطي رضي الله عنـه في رسـالة له سـماها (الزجر بالهجر) كلاما مامعنـاه : إنـه إذا كان الإنسـان لايصبر عـلى الأذى ويتكدر بملاقاة مـن يؤذيـه أويحسـده أويضـمر له خبثا أوحقـدا فـالهجر مع ذلك أولى وأسلم . قال : وقد جمع بعضهم أسماء من كان يزجر بالهجر من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم فمن بعدهم ، فذكر منهم عائشـة وحفصة وسعد بن أبي وقاص وعَمَّار بن ياسر وعثمان ابـن عفـان وعبـد الـرحمن بـن عوف وسعيد بن المسيب ووهب بن منبه والحسن البصري وابـن سـيرين وسفيان الثوري وخلقا كثيرين ، إلى أن ختم بالإمام النووي فإنه كان يزجر بالهجر ويراه ، وقرره في شرح مسلم وغيره أوضح تقرير ، واحـتج له مـن الأدلة . وأبلغ ماذكر في ذلك أن الإمام سعيد بـن المسـيب هجـر أباه إلى أن مـات ، ذكـر ذلك ابـن قتيبـة في المعـارف ، وابـن المسـيب أعـلم التـابعين وأفضـلهم وأبـوه صحـابي . مـع أني لم أر ذلك فاسـتثني هجـر الـوالدين فـلا أهجرهما . ثم أورد أخبارً وآثاراً عن أئمة التابعين وقال بعده : وليس هذا مـن الهجـرة المكروهـة ألا تـرى أن رسـول الله صـلى الله عليـه وآله وسـلم أمـر الناس أن لايكلموا كعب بن مـالك حين تخلَّف عـن تبـوك ، وهـذا أصـل للعلماء في مجانبـة مـن إبتـدع وهِجرتـه وقطـع الكـلام عنـه . وقـد حلـف ابـن مسعود أن لايكلـم رجلا رآه يضـحك في جنازة . إلى آخـر مـاذكره . وهـذا مبحث واسع لايمكـن إسـتقصا مافيـه قـديما وحـديثا لاسـيما إذا كان الهجـر لأمرٍ ديني ، وقد قرروا أن هَجر أرباب المعـاصي واجـب ، ودلائـل الشرع

متظاهرة كقوله تعالى { **لاتَجِدُ قَوماً يُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخِرِ يُوادُّونَ مَن حادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ** }[1] وقوله صلى الله عليه وآله وسلم (الحب في الله والبغض في الله من أقوى عُرى الإيمان) وفي الحديث الآخر (وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله) وأوحى الله إلى عيسى ـ عليه السلام (لو عبدتني بعبادة أهل السماء وأهل الأرض وحُبٌّ فيّ ليس ، وبغض فيّ ليس ، مانفعك ذلك عندي) وقال عليه السلام (تحببوا إلى الله تعالى ببغض أهل المعاصي ، وتقربوا إلى الله بالبعد عنهم ، واطلبوا رضى الله بسخطهم) وللقوم الصوفية إحتراز وتدقيق في آفات الملاقاة تزيد على مايحذره العلماء مما مر وسوَّغوا من أجله الهجرة . قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في الخصلة الثانية من كتاب منهاج العابدين : وأما الخصلة الثانية التي تقتضي التفرد عن الناس في هذا الشأن ، فإن الناس يفسدون عليك مايحصل لك من العبادة إن لم يعصم الله تعالى بسبب مايعرض من قِبَلهم من دواعي الرياء والتزين . ولقد صدق يحيى ابن معاذ رضي الله عنه حيث قال : رؤية الناس بساط الرياء . وهؤلاء الزهاد قد خافوا على أنفسهم من هذا المعنى حتى تركوا الملاقاة والتزاور . ولقد ذكر أن هرم ابن حيان قال لأويس القرني رضي الله عنهما : يا أويس صِلنا بالزيارة واللقاء ، فقال أويس : قد وصلتك بما هو أنفع لك منهما وهو الدعاء على ظهر الغيب ، لأن الزيارة واللقاء يعرض فيهما التزين والرياء . ولقد قيل لسليمان الخواص لما قدم إبراهيم بن أدهم : أفلا تأتيه ؟ قال : لأن ألقى

[1] الآية : ٢٢ المجادلة

شيطانا مارداً أحب إلي من لقائه ؛ فاستنكروا ذلك من قوله فقال : إني إن لقيته أخاف أن أتزين له ، وإذا لقيت شيطانا أمتنع منه . ولقد لقي شيخي الإمام بعض العارفين فتذاكرا مليًّا ثم دعوا في آخر حديثهما فقال شيخي للعارف ما أظنني جلست مجلسا أنا له أرجى من مجلسي هذا ؛ فقال له العارف : ماجلست مجلسا أخوف من مجلسي هذا ، ألست تعمد إلى أحسن حديثك وعلومك فتحدثني بها وتظهرها مابين يديّ ، وأنا كذلك ؛ فوقع الرياء . فبكى شيخي الإمام مَلياً ثم غشي عليه . فهذه أحوال أهل الزهد والرياضة في ملاقاتهم ، فكيف حال أهل الرعونة والبطالة ، بل حال اهل الشر والجهالة . إنتهى . فهذا في غاية الإحتراز في إجتناب مايشوب الأعمال مما ينقصها أويحبطها ، وهو خاص بأهل الكمال ونادر فيها ، والأكثر والأغلب فيهم ومنهم طلب الملاقاة والإجتماع والتزاور ، ولايصلح بعض ماينقل عنهم للقاصر ، بل الأولى له الرغبة والحرص على إجتماع أرباب الصلاح والعلم ليستفيد من أقوالهم ويقتبس من أحوالهم ، فإن نظرهم كالإكسير . وكم ممن حصلت له نظرة أكسبته وكست قلبه نوراً يهتدي به إلى الصراط المستقيم ، وسلوك سبيلهم الخاص على النهج القويم . وأما ماذكره الإمام الغزالي رضي الله عنه في منهاج العابدين ، وفي كتاب العزلة من الإحياء وقال : إن العزلة في زمانه قد صارت واجبة . وذكر الفتن في الدين المترتبة على الخلطة ، فذلك حقا وصدقا إذا إجتمعت فيه شروط العزلة التي ذكر . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

خذ العفو واعرف المعروف عرفا وصِل قوم القطيعة بالوصالِ

أي من شأن ذوي العزائم والمتخلقين بالمكارم ولاسيما وارثي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أهل بيته وخاصته من الأولياء العارفين والعلماء العاملين ، فإنهم أولى بالتأسي به فيعفون عن من ظلمهم ، ويعطون من حرمهم ، ولايجازون من شتمهم . وذلك لتوفر دواعي التقوى في قلوبهم وطهارة نفوسهم ، والرحمة بالمؤمنين والخوف من الله تعالى ، كما في الحديث (لاتحاسدوا ولاتباغضوا ولا تدابروا ولاتناجشوا وكونوا عباد الله إخوانا ، المسلم أخو المسلم لايظلمه ولايحقره ولايخذله ولايكذبه ، التقوى ههنا) أشار بيده إلى صدره ، أي محل الخوف الذي هو مقتضى التقوى محله الصدر الذي فيه القلب الراعي لأوامر الحق تعالى والرحمة بخلقه التي جمعها تعالى له صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى { **وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لأنفَضوا مِنْ حَولِك فاعْفُ عَنهُم واستغفرلهم وشاوِرْهم في الأمر** }[1] وقوله تعالى { **خُذِ العَفْوَ وأمُر بالعُرفِ واعرض عن الجاهلين** }[2] وقوله { **وما أرسلناكَ إلا رَحْمَةً للعالمين** }[3] والعفو محو الذنب ونسيانه والتجاوز عنه بغير تكلف ولاكره . وقوله : واعرف المعروف عرفا : أي أعرف طريق المعروف حتى تعمل به وهو ماقَبِلَهُ العقل وأقره الشرع ووافقه كرم الطبع . عرفاً : أي معرفة حقيقة أن تنشأ عن كمال الإيمان والإتصاف بالإحسان كما مضى على ذلك سادات العصور والأزمان ، كما أشار نفع الله به إلى أحوالهم بقوله رضي الله عنه : وَصِلْ قوم القطيعة

[1] الآية ١٥٩ آل عمران

[2] الآية : ١٩٩ الأعراف

[3] الاية : ١٠٧ الأنبياء

بالوصالِ ، أي إجعل محل قطيعتهم الوصال لهم كما مر في الحديث (وصِلْ من قطعك) فقد روي عن الإمام زين العابدين رضي الله عنه أنه خرج يوما من المسجد فلقيه رجل فسبه وبالغ في سبه ! فبادرت إليه العبيد والموالي فكفهم عنه وقال : مهلا على الرجل ، ثم أقبل عليه فقال له : مايُستَرُ عنك من حالنا اكثر مما تقول ؛ ألك حاجة نعينك عليها ؟ فاستحى الرجل ؛ فألقى خميصته التي عليه وأمر له بعطاء فوق ألف درهم ، فقال الرجل : أشهد أنك من أولاد الرسل .

وروي عن الشيخ احمد الرفاعي أنه لقيه مرة فقراء فسبوه وقالوا له : ياأعور يادجال يامن إستحل المحارم ويبدل القرآن يامجادل ياكلب ؛ فكشف عن رأسه وقبل الأرض وقال : ياأسيادي إجعلوا عُبيدكم في حِلٍ ، وصار يقبل الأرض ويقبل أيديهم وأرجلهم ويقول : أرضوا عني وحلمكم يسعني ، فلما أعجزهم قالوا : مارأينا فقيرا قط مثلك يحمل منا الشتم كله ولايتغير ، فقال : هذا ببركتكم . ثم إلتفت إلى أصحابه وقال : ماكان إلا الخير أرحناهم من كلام كان مكتوبا عندهم وكنا نحن أحق بهم من غيرنا فربما مايحملهم .

وكتب إليه إبراهيم البستي كتابا : أي أعور الدجال ، أي مبتدع ، يامن جمع بين الرجال والنساء . حتى ذكر الكلب ابن الكلب . فلما قرأه قال : صدق فيما قال جزاه الله عني خيراً ، ثم أنشد شعراً :

ولست أبالي من رماني بريبة   إذا كنت عند الله غير مريب

ثم أرسل الجواب فيه : من هذا اللاشيء حميد إلى سيدي الشيخ إبراهيم البستي رضي الله عنه ، أمّا قولك الذي ذكرته فإن الله تعالى

خلقني لما يشاء ، أسكن فيَّ ماشاء ، وإني أريد من صدقاتك إنك تدعو لي ولاتخلني من حلمك . فلما وصل الكتاب إلى البستي هام على وجهه فما عرفوا أين ذهب . وأراد الفقراء ضرب فقير لزلة وقعت منه ، فأخذ الشيخ ثيابه ونام مكانه فضربوه واشتفوا من ضربه ، ثم كشف عن وجهه فغُشِيَ عليهم لما وجدوه ، فقال : ماكان إلا خيراً أكسبتونا الأجر والثواب . إنتهى .

ولما كان هذا الإمام الوارث لجده عليه الصلاة والسلام ، ولسلفه المقربين الأئمة الأبرارالكرام ، لقي من الأذى من معاصريه من المنسوبين إلى العلم ومن الطغام ، مالاتحمله الجبال الرواسي والآكام . وقد تَسلَّى بذكر ذلك في نثره وشعره . وكنت مع قِصَرِ باعي ممن لقي بعض ذلك في أثره . وقد نقلت في كتابي المسمى (حدائق الأرواح في بيان طرق الهدى والصلاح) في الفصل السابع في ذكر أعظم العوارض والعوائق ، عن سلوك طريق الهدى والوصول إلى الحقائق ، جملة صالحة مما حصل واتفق للأئمة الذين هم القدوة ، ولنا بهم وفيهم الأسوة . وقد مر في هذا المؤلف من ذكر مانَوهَ به هذا الإمام الكريم على الله والزعيم لديه ولدى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وسلفه الكرام من عاداه وآذاه ، من الآيات والأخبار والآثار الواردة فيما جعله الله سنة ماضية ، أن يحسد أهل الله وخاصته . قال تعالى { **وَكذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نبي عَدُوّاً شياطين الجن والإنس** }[1] وقال تعالى { **وجعلناهم أئمةً يَهْدونا بِأمرِنا لَمَّا صَبروا** }[2] وقال الإمام

[1] الآية : ١١٢ الأنعام

[2] الآية : ٧٣ الأنبياء

الشعراوي : وكان الشيخ علي الخواص رضي الله عنه يقول : لابد لأولياء الله من أعداء يؤذونهم ، فإذا صبروا كانت لهم الإمامة ، قال الله تعالى { **وجَعَلْناهم أئمة يهدونا بِأمرنا لَمَّا صبروا** } [٣] فما بلغوا مقام الإمامة إلا بعد مبالغتهم في الصبر وتحمل الأذى . قال : والحكمة في ذلك أن الحق سبحانه وتعالى لايصطفي عبداً من عباده وهو يطلب المنزلة عند الناس ، فهو تعالى يسلط على من يريد إصطفاؤه الخلق بالأذى والإمتحان حتى لايميلوا إليهم ، لأنهم لو أحسنو إليهم مالوا إليهم بالضرورة ، ثم يريد الله أن يلحقهم بالأنبياء ويوفر لهم أجورهم . وفي الحديث (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) فكان من رحمة الله لأوليائه أذى الناس لهم لتوفير أجورهم ليوافونها يوم القيامة كاملة لم ينقص منها شيء ، فإن غالب من يعتقده الناس ويعظمونه بتقبيل الأيدي والأرجل حكمه حكم من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا . وقد ذكر رضي الله عنه في لواقح الأنوار في طبقات الأخيار في هذا المعنى جملة صالحة ؛ ومن ذلك قال سيدي الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه : وقد جرت سنة الله تعالى في أنبيائه وأصفيائه أن يسلط عليهم الخلق في إبتداء أمرهم وفي نهايتهم كلما مالت قلوبهم لغير الله ، ثم تكون الدولة والنصرة لهم آخر الأمر إذا أقبلوا على الله تعالى كل الإقبال . (قلت) وذلك لأن المريد السالك يتعذر الخلوص عليه والسير إلى حضرة الله تعالى مع ميله إلى الخلق وركونه إلى إعتقاداتهم فيه ، فإذا آذاه الناس وذموه ونقصوه ورموه بالبهتان والزور

[٣] الآية : ٧٣ الأنبياء

نفرت نفسه منهم ولم يصر منه ركون إليهم ألبته ، وهناك يصفو له الوقت مع ربه ويصح له الإقبال عليه لذهاب إلتفاته إلى ورى فافهم . ثم إذا رجع بعد إنتهاء سيرهم إلى إرشاد الخلق يرجعون وعليهم خلعة الحلم والعفو والستر ، فيحملوا أذى الخلق ويرضوا عن الله تعالى في جميع مايصدر من عباده وتكمل بذلك أنوارهم ، ويتحقق بذلك ميراثهم للرسل في تحمل مايرد عليهم من أذى الخلق ، وتظهر بذلك تفاوت مراتبهم ، فإن الرجل يبتلي على حسب دينه . قال تعالى { **وَجَعَلْنَاهُم أَئمَة يَهْدونَ بِأمرِنا لَمَّا صَبروا** }[1] وقال تعالى { **وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مَنْ قَبْلِكَ فَصَبَروا على ما كُذِّبوا وأوذُوا حَتَّى أتاهُمْ نَصْرُنا** }[2] إنتهى كلام الشعراوي .

وقال الشيخ عبد الخالق المزجاجي رحمه الله : وقد جرت عادة الله تعالى بأن من رزقه هذا الخير أن يُسلِّط عليه أهل البغي والحسد والجهل بالأذية والعداوة إبتلاءً منه سبحانه حتى يصير كالتِبرالأحمر ، فإذا استخلصه فإن شاء أظهره وإن شاء أبقاه مخفيا من جملة الضنائن من خلقه خصوصا عند علمه تعالى بفساد الزمان ، وكثير من الأولياء من الملامتية لاتعرف لهم بداية ولاتعلم لهم نهاية ، هم مع الناس بالعادة لايتميزون بعبادة ولاعادة ولايعرفهم إلا أمثالهم . إنتهى .

(قلت) وإلى ماذكره العامري قدس الله روحه في الباب الأول من بهجة المحافل يتحقق لك ماقاله عليه الصلاة والسلام (نحن معاشر الأنبياء أشد بلاءً الأمثل فالأمثل) فقد أوذي صلى الله عليه وآله وسلم

[1] الآية : ٧٣ الأنبياء

[2] الآية ٣٤ آل عمران

أذىً كثيراً حتى قُصِدَ بالقتل ، وكان ذلك خروجه من مكة وهي خير بلاد الله وأحبها إليه ، والأولياء والعلماء ورثة الأنبياء ، وذلك لأن العامة إذا رأوا ماتميزوا به عليهم من الفضل والخصوصية وانفردوا به من المزية ، كرهوا ذلك فيهم وسعوا في إيذائهم وإدخال النقص عليهم ، لأن كل إنسان يكره تميز غيره عليه ، فإذا شهدوا النقص فيهم وكمال غيرهم عليهم تنغص بذلك عيشهم ، فحينئذ يسعون في تنقيصهم ليروا أنهم شاركوهم فيما هم فيه من النقص ، ولم يشتغلوا عند ذلك بمايجري منهم من المخالفات والإنهماك في الشهوات ، وهذا والعياذ بالله من زيادة العمى والمقت لمن إبتلى به. وكثير مايبتلى بمثله أرباب الرياسات الدنيوية المنحطين إلى الإلتفات للسفليات ، فعلى من إبتلى بمثل ذلك من أمثال أولئك فليتأسى بأنبياء الله وأوليائه . وقد كتب سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد باعلوي نفع الله به لمن شكى إليه أذى بعض أهل الرسوم قال : وماذكرتم من أمر كذا فما هناك كبير أمر ، والناس كماتعلم وترى ، وعلى ماهو أكثر من ذلك وأنكر ، ينطوون ويضمرون ، فألقوا مابدا منهم وماخفي من فتنهم وشرورهم بالرفق واللطف وحسن المداراة عند الملابسة ، فاغتنم العافية التي هي أوسع الأشياء ، والسكون أفضل أجزائها كما يقال : السكون عافية . ولاتأخذ بشيء ولافي شيء أي شيء كان يؤول إلى تحريك الطباع وإيحاش القلوب ممن لايتقي عاراً ولاناراً ، وعامة أهل الزمان كذلك إلا من رحم ربك وقليل ماهم ، ولاتغالب ولاتزاحم ولاتنازع ولاتخاصم ، واعلم بأنا آخذون بهذا المأخذ في محلنا ومع أصحابنا وهو أطيب من محلكم وأطهر ، ولولا ذلك لتحرك علينا من شرورهم وفتنهم ماتضيق به الصدور والأماكن ، وينزع له

كل ظاهر وباطن ، فاسمع ولاتجوب واقبل النصيحة عفواً ممن قامت عليه غالية ، وخذها لهذا ولغيره . إنتهى .

ومما كتب به الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار باعلوي للشيخ عمر بن عبد القادر العمودي نفع الله بهما عند جريان واقعة حال إنزعج معها إلى الرحلة والإنتقال فقال : وبلغنا أنكم تشوشتم مما جرى في البلاد من اهل البغي والفساد ، فلاحول ولاقوة إلا بالله ، ولايغلب الله غالب ولايفوته هارب ، وكل ماقلتم أوفعلتم من الأمر بالمعروف ففي محله وأنتم من أهله ، على مايأذن الله ورسوله وعلى مامضى عليه السلف الصالح . وأما أن هذا الأمر يؤول بكم إلى الإنزعاج والإنتقال من قيدون بلاد الشيخ سعيد ، ومقصد كل سعيد ، إلى غيرها من البلاد القريبة أوالبعيدة ، فالذي نراه وإن كان نظرنا قاصر ، وعن شأوي مقامكم حاسر ، أن لاتلقوا لهؤلاء بالاً ؛ وهم أقل وأحقر وأصغر من أن يحركوا فيكم شعرة ، والرياح ماتحرك الجبال ، والحق مايزيله المحال ، وماهم معكم إلا كمثل الكلب ينبح القمر ، وكالزجاج يكسر الحجر ، ومايفر إلا الحَمَطْ والوضر . وقد عرفتم ماكان عليه أسلافكم ومشايخكم ومايجري بمكة والمدينة وتريم ولاينزعج أكابرها لذلك ، ولاترجع العواقب الحسنة إلا لهم ، ولايضعن إلا معاندهم . إنتهى مع حذف يسير .

وقال سيدي الشيخ الإمام عمر بن سقاف السقاف باعلوي في كتابه (تفريج القلوب وتفريج الكروب) واعلم أن من أعظم مايذهب الأكدار ويجلب المسار ، عدم مقابلة أهل الشر بالشر ، بل بالعفو والتغافل عنهم والصبر الكامل عن المقابلة لأهل النفوس بالنفوس ، فإن

ذلك هو الداء العضال والهم الذي لايزال ، فاصبر وصابر خصوصا في هذا الزمان الفاسد الذي فشى فيه الباطل وعم الفساد ، وكثر في أهله الحظ وثوران الأهوية والعناد ، فسلم تسلم وتربح وتغنم ، وتكون عافية قلبك عن المقابلة بالأهوى أحسن الأدوى ، وأروح في السر والنجوى ، ويهون عليك مافاتك من دنياك بسلامة قلبك والرضا في عقباك . وقد أوذي الصالحون والأخيار وابتلوا ببلاء إختبار ؛ فصبروا ورضوا فكانت لهم العاقبة ، فاصبر كما صبروا تظفر بما ظفروا . واعلم أنه لايعادي ويؤذي إلا من قدخصه الله بالفضائل ، وتوالت لديه أحسن الوسائل ، فاعرف نِعَمَهُ عليك كما قيل :

قل للذي بصروف الدهر عَيَّرنا　　　هل عاند الدهر إلا من له خطر

إنتهى مع حذف يسير . وكان الإمام المجتهد الجلال السيوطي رضي الله عنه ممن عودي وأوذي في الله تعالى وحسده أهل زمانه ، وكثيرا مايعرض بذلك في كتبه المبسوطة والمختصرة بأن حساده لم يزالوا يطعنون فيه ويسعون في تنقيصه . وله رسالة سماها (الدوران الفلكي على ابن الكركي) يقول في مقدمتها : أما بعد فقد تسلط علينا رجل خمسا وعشرين سنة لا تأخذه في التلبيس والأذى غفلة ولا سِنَة ، فما زال منذ صار به في البلد سمعه ، وامتلأ بذكره بين الناس سمعه ؛ يفوق إليَّ بسهام الأذى ، ويُغبِر في عيني القذا ، لا أذكر في مجلسه إلا إضطرب ، ولاتنقل له عني مسئلة إلا إزدلف للإساءة واقترب ، وأنا في عزلة عنه وعن سائر أهل زماني لا أبالي بمن إغتابني منهم أورماني ، وكثير مايمر بي قول الصاغاني :

ومازلت منحازا بعرضي جانبا   عن الناس أعتقد الصيانة ديدني

إنتهى . ولسيدي إمام الطريقين السيد البحر الحبر عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن الفقيه باعلوي نفع الله به رسالة في هذا المبحث سماها (خاتمة الجواب والبيان ، في أن المحسودين في زيادة لافي نقصان) قال : حملني على ذكرها ماجرى عليَّ من بعض أهل الزمان من إطالة اللسان ، بالسب والغيبة والبهتان ، وما أرى له سببا إلاالحسد والبغض والشنئآن ، فالله يغفر لي وله ولغيره من الأقران ، وما أجازيه إلا بما يرضي الرحمن ويسخط الشيطان ، من الصبر والتقوى وحق الإيمان ، والله المستعان وعليه التكلان . فذكرت هذه الخاتمة وأفردتها تسلية لبعض الإخوان المتوجعين من هذا التعدي والعدوان ، ليعرفوا أن ذلك إلى زيادة لانقصان ، وربح لاخسران ، ولئلا يظن ظان أن إعراضي عن الرد والجدال عجز وانخزال وخذلان ، بل علمت أن ذلك لايفيد فإن كلام الحاسد لاينقطع فلا لحجة يستمع ، ولالبرهان ينتفع ، وإنما هو طَبعٌ عليه طُبع . قال الإمام الغزالي : وإياك ثم إياك أن تشتغل بجدال الحاسدين ، والرد على المعاندين فتأخذ في خصامهم أو تطمع في إفحامهم ، فإن ذلك طمع في غير مطمع ، وضرب في غير متسع . أما سمعت قول الشاعر :

كل العداوات قد ترجى إماتتها   إلا عداوة من عاداك عن حسد

ولو كان في ذلك طمع لأحد من الناس لما تلى على أجلِّهم رتبة آيات إلياس ، أوماسمعت قوله تعالى { **وإن كان كَبُرَ عَلَيْكَ إعراضَهم فإن إستطعت أن تَبْتَغي نَفَقًا في الأرضِ أو سُلَّمًا في السماءِ**} إلى قوله {

الجاهلين } [1] إنتهى . وعن معاوية رضي الله عنه أنه قال : كل الناس أقدر على رضاهم إلا الحاسدين فإنهم لايرضيهم إلازوال النعمة التي أنعم الله بها عليَّ . ولله در القائل :

إدأب على جمع الفضائل راشداً　　وأدم لها تعب القريحة والجسد
واقصد به وجه الإله ونفع من　　لاقيته من جد فيه واجتهد
واترك كلام الحاسدين وفعلهم　　هملا فعند الموت ينقطع الحسد

وقال آخر :

قل لمن لايرى المعاصر شيئاً　　ويرى للأوائل التقديما
إن ذاك القديم كان جديداً　　وسيبقى هذا الجديد قديما

وقلت أنا :

يا من قلاني عَنَتَا　　يريد غيظي بالحسدْ
فقد عصيت ربنا　　ودمت في عيش النكد
وأنت مني في عَنَا　　في حُرقة وفي كمد

هذا والمقصود الإيضاح والبيان لسائر المحبين والإخوان ، بأن ما أبتُلِيَ به أهل الفضل والإحسان والعلم والعرفان ، من سب الجاحدين وشتم الحاسدين ، والتعدي عليهم بالأذى والعدوان ، زيادة في شرفهم لانقصان وربح بلا خسران ، وعنوان حسن العاقبة وعُلوِّ الشان . وقد ورد في تفصيل قصص الأنبياء والمرسلين وماناهم من الأذى والإمتحان من أهل الحسد والبغي والطغيان ، ماهو مشهور في آيات القرآن ، ومنشور

---

[1] الآية : ٣٥ الأنعام

في الأحاديث الصحاح الحسان . فلايحتاج إلى بيان ولايتوقف على تبيان ، ولايتوقف على نظر وإمعان ، وبذلك جرت سنة الله تعالى فيهم واستمرت على أتباعهم من الأولياء والصالحين والعلماء العارفين في كل زمان . إستشهد على ذلك بآيات قال بعدها : وذكر السيوطي في كتابه (التحدث بالنعمة) ماصورته : ومما أنعم الله به عليَّ أن أقام لي عدواً يؤذيني ويمزق عِرضي ليكون لي أسوة بالأنبياء والأولياء . وروى البيهقي أن كعب الأحبار قال لأبي موسى الخولاني : كيف تجد قومك لك : قال : سامعين مطيعين ! قال : ماصدقتني التوراة إذن ، والله ماكان رجل حكيم في قومه قط إلا بغوا عليه وحسدوه . وأخرج ابن عساكر : أزهد الناس في الأنبياء وأشدهم عليهم الأقربون ، وذلك فيما أنزل الله تعالى { **وأنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأقربين** } وكان أبو الدرداء يقول : أزهد الناس في العالم أهله وجيرانه ، فإن كان فقيراً عيَّروهُ وإن عمل ذنبا أذاعوه . إنتهى . قال : وقد قدمنا ان كل صادق قام يدعو الناس إلى الحق فلا بد أن يعاديه أولا أكثر الخلق من أبناء الدنيا وأهل الهوى وأعوان الشيطان لقيام الطبيعة ودوام المباينة الشرعية ، فإذا صبر كان له النصر والعاقبة ، فالعاقبة للتقوى ، والنصر مع الصبر . { **وبشر الصابرين**)} { **وإن الله لَمَعَ المحسنين** } فمن طلب مسالمة الناس ليسلم عِرضَهُ من ألسنتهم وقع في الرياء والمداهنة بغير شك ، وقد نطق من لاعقل له أن ذلك من كمال العقل وحسن المداراة وليس كذلك ، فأيُّ داع أفضل من سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وغير خافٍ ماوقع عليه في قومه من الأذى والإمتحان وإذاعة السب والشتم له والإزراء عليه بالزور والبهتان ، وإشاعته في الناس إلى جميع

القبائل والبلدان ، وكان في الموسم يدعو الناس إلى الإسلام فكلما قام إلى قبيلة ودعاهم إلى الحق وتلا عليهم القرآن قام أبو لهب يكذبه ويصدهم عنه ويرميه بالإفك والعصيان . ثم قال : ولايخفى ماحصل بعده صلى الله عليه وآله وسلم للخلفاء الأربعة ، ووقع للحسين من ذلك زيادة أوجبت له الشهادة ، وبلوغ السعادة ، وكذلك لسائر العشرة رضي الله عنهم . وأُخْرِجَ ابن العباس رضي الله عنهما من مكة ، وقُتِلَ ابن الزبير ، وقيل إن ابن عمر مات مسموماً ، ثم ماوقع للتابعين بإحسان كأويس القرني ، والحسن البصري ، وسعيد ابن جبير ، وسعيد ابن المُسَيب وغيرهم مالايحتاج إلى بيان . وبعد ذلك لأكابر الأئمة من أهل البيت كزين العابدين وكذا على أئمة الدين وعلماء المسلمين كالأئمة الأربعة المجتهدين ، واحمد بن نصر ، وسفيان الثوري والبخاري وغيرهم حتى آذوهم ورموهم بالبدع ونحو ذلك . وأعظم منه ماوقع لأكابر الصوفية والأولياء العارفين ، كالجنيد وأبي يزيد وذي النون وسهل . ورموا الإمام الغزالي بالزندقة وحكموا بإحراق كتبه وخصوصا الإحياء . ولما ظهر الشيخ أبو الحسن الشاذلي ببلاد المغرب تحزبت الأعداء والحساد من كل جانب ورموه بالعظائم ، ومنعوا الناس من مجالسته ورموه بالزندقة والإفك . ولما أراد السفر إلى مصر بادروا وكتبوا إلى أهل مصر حتى السلطان وقالوا إنه يأتيكم رجل مغربي من صفته كذا وكذا فاحذروه ، فإنا أخرجناه من بلدنا لأنه فتان ، قد أفسد عقائد المسلمين وهو من كبار الملحدين ، ومعه إستخدامات من الجان . ورموا الشيخ عز الدين بن عبد السلام بالكفر وعقدوا له مجلساً لمجرد الحسد والعدوان . ولم يزل هذا شأن أهل الفضل والعلم وأئمة الدين

في كل زمان . وقد إشتهر في ذلك ماوقع لجماعة من سلفنا من أكابر العارفين كالقطب الغوث الفقيه محمد بن علي ، والشيخ سالم بن بصري ، والسيد علي بن علوي ، والشيخ عبد الرحمن السقاف وأولاده مثل : أبي بكر السكران ، وعمر المحضار ، والشيخ العيدروس وأخيه الشيخ علي ، والشيخ أبي بكر العدني ، والشيخ عبد الرحمن بن علي ، والشيخ شهاب الدين ، والشيخ أبوبكر بن سالم وغيرهم من أكابر الأولياء أهل العلوم والمعارف ، فقد جرى عليهم ماجرى من أهل أزمنتهم خصوصا القرابة والعشيرة والجيران ، حتى أن منهم من أقلقه ذلك وأزعجه عن الأوطان وذلك مشهور ، وفي مناقبهم منشور ، وكفى بهم أسوة . وفي ذلك أصح دليل على أن طعن الحاسدين وقدح الجاحدين زيادة لانقصان ، وربح لاخسران . قال الإمام الغزالي رضي الله عنه : واستحقر من لايحسد ولايقذف ، واستقصر من بالكفر والضلال لايعرف . إنتهى . وكم جعل الله أذى الحساد وامتحانهم لمن أراد أن يصطفيه سبباً لظهور قدره ، وعُلُوِّ أمره ، وانتشار ذكره وكمال تأييده ونصره ، وزيادة في أجره . فكان ذلك مقدمة الإجتهاد وإقامة للجهاد ، وحصول الإستعداد لمراتب الإمامة والإرشاد . وقد أخرجوه صلى الله عليه وآله وسلم من مكة وكان سبب الهجرة وظهور الإسلام والفتح التام . وكذلك ماورد في حق سائر الأنبياء مما قصه الله تعالى في كتابه العزيز فذلك من جملة مايتسلى ويعزى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كقوله تعالى { **وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ**

مِنْ أَنْبَاءِ الرُسُلِ مانُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ }[1] أي مما أذوا به وعُودُوا عليه ، وماحصل لهم من التأييد والنصرة وقمع الأعداء وظهور الدين والإيمان .

ولنأتي في هذا الموضع عند ذكر الناظم رضي الله عنه في هذا البيت : المناع المعتدي الأثيم والقالي الغالي اللئيم والحاسد الأثيم ، بعض ماحصل عليه مما ذكره وأثبته في السفينة المسماه (سفينة البضائع وضميمة الضوايع) فمنه أنه لما سار إلى وادي دوعن مستسقياً بعد أن أتاه خلق كثير والتمسوا منه الإستسقاء وقالوا له : إن الرجل يأتي إلى الأماكن ويتعب في إستخراج شيء من الشجر تأكله المواشي ولايجيء إلا بتعب وعنا ، فإذا أتى به وجد بقرته قد ماتت من الجوع وحماره كذلك ، فخرج جماعة وافتتح بزيارة الشيخ احمد بن سعيد بالوعار كما أتى برحلة هذه الزيارة في قصيدته المشهورة التي أولها : الحمد لله فزنا بالرضا والقبول . وفي مكاتبة لبعض علماء المدينة فيها تفصيل وبيان مافي هذه الزيارة من الكرامات والبشائر والعجائب والشعائر . قال : فلما حصل السقي والغيث العام في القُطْرِ جميعه كما قال ،

لما إنتهينا إليهم حاملين الثقول   بانت كراماتهم في الحال ماهي حلول

قال بعض الحساد من أهل الهجرين : حصل لنا السقي لما خرج من بلدنا السيد علي . قال : ومن جملة ما مَنَّ الله به عليَّ في بلاد الهجرين أن جعل أهل البيوت المستديرة ببيتي من أشد الناس عداوة لي ، حتى أن بعضهم قال في الظاهر والله مطلع على السرائر من المنسوبين

[1] الآية : ١٢٠ هود

إلى الخير حتى إذا رأيته قلت هذا من الذين سيماهم في وجوههم من أثر السجود ، ومن حملة القرآن ومن الأقوام الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد ، ومن الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، ومن ضعفاء المساكين ومن العميان المنورين ، ومن المعلمين الذين هم خيار العالمين ، ولكنه لما كان من جيراني كنت أرى منه غاية القبض والحقد الذي هو منع الود ، الذي هو الدليل على البغض ، حتى أني لما إبتدأت في تسويس داري أخرجت من الطريق بعض الأحجار الكبار التي تؤذي المار ، فَمَرَّ يوما في الطريق وأنا جالس بالقرب من موضع الحجارة التي كانت على الطريق ، فلما أحس بالحجارة مالت عن الطريق وعلم بأني الذي أخذتها لقصد الإنتفاع بها في ساس الدار ، قال في نفسه بحيث أسمعه : لاحول ولاقوة إلا بالله مَيَّلوُ الحصاة من الطريق . كراهة الإنتفاع بها وإن زالت مضرة بسببها . فسبحان من قَسَّمَ الأخلاق مثل ما قسم الأرزاق ، وقسم المحبة والشنئآن والإيمان والنفاق . ثم ساق أموراً مستغربة يُستبعد من أن تجري على أمثاله ولكنها تحقق له الوراثة بمحمد وآله أئمة الدين ، الذين إتبعوه على منواله .

وقال نفع الله به : (فائدة) حديث لايكون مؤمن إلى يوم القيامة إلا وله جارٌ يؤذيه ، صحيح مجرب . فإني كلما سكنت داراً في أي مكان كان ظهر لي فيها جيران سوء يؤذونني فاصبر على أذاهم ، وانتظر من الله شفاعة رسول الله كفاية عداوتهم واعتداهم ، إقتداءً باهتداء من انقذهم الله به وهداهم . فقال له { **ولاتُطِعْ الكافرين والمنافقين وَدَعْ أذاهم وَتَوَكَّل على**

الله وكفى باللهِ وكيلا } [1] . ثم أورد بعد إيراد تلك العجائب التي لاتنكر من الإنسان المتقدم في أحوال ذات غرائب هذه القصيدة وهي :

تعجبت ياناس حـــد العجب ... من الكون ذي بالعجائب ملان

كثير المكاره قليل الطـــرب ... كثير المساوي قليل الحسان

متى ماطلع ذا على ذا غـرب ... ومهما بَعُدْ ذا ترى ذاك دان

بتقدير من قد علا واحتجب ... وقَدَّر ودبـــر وماشاه كان

وساعات بالعسرتأتي الكـرب [1] ... وساعات باليسر يأتي الأمان

جعل فتنة البعض من بعض صب ... ليعلم بها صبرنا يافـــلان

وكم من صديق عـــدو إنقلب ... وكم من عـــدو قسى ثم لان

فَجُلْ في تصاريف حال العرب ... وَفَنِّدْ وسلم تهون الحـــزان

ولاتجعل إن حد لنفسه وهب ... ولافادها من قضى الله كنان

ومارأته عينك من الله وجب ... من الزين والشين في كل شان

خلق لك شواني وفـيهم كلب ... يريدون ضرك عـلى كل أوان

يودون لوكنت وسـط اللهب ... ويرضون لوتندرج في الدمان

وسوَّا محبين فيهم حـــدب ... وفيهم لك المعـــرفة والحنان

يعدون لقـــياك كل الطلب ... وتمناتهم وأنسهم حين حـــان

ترى في عدوك ومن كان حب ... مشابه جهـــنم ومثل الجنان

وشأنيك يشنا ولالــه سبب ... فسبحان خالـق محباً وشان

---

[1] الأية : ٤٨ الأحزاب

[1] هذا البيت فيه إشكال قوله : بالعسر تأتي الكرب وباليسر يأتي الأمان ، لعل الصحيح : باليسر تأتي الكرب وبالعسر يأتي الأمان والله أعلم .

وقوماً يقـــولون فيك العتب وقوماً يقــولون قطب الزمـان
وقومـــا أذاهم عليك إنتصب وقوماً يعينك إذا الخل خـــان
هدايا المعادي ذ لوق الحــرب ونشر المساوي ودفـن الزيان
ومن حب والا ومـالا وطب وبَدًّا بمـــــاله وبالحال مـان
ولو كان يقدر قــريب النسب يوالي قـريـبه رضي واستكان
ولكن إذا الله علـــيهم غلب غـدوا يطعنونك بحد السنان
يودون من غـيظهم والغضب عدمك أومسيرك إلى ابعد مكان
بلا جرم قدكان منك أوطلب عليهم بـــيدك ولا باللسـان
فسلم لمــــولاك فيما كتب عليه توكلت فما ثَم ثـــان
وقل حسبي الله مولى ورب وصن منك الناس حتى تصان
ومنه الرهب وإليه الــرغب هو الحي قيوم والكل فـــان
وصَلَّى إلهي عـــلى المنتخب محمــــد رفيع الثنا في المثان
وآله ومن في حـــياته صحب ومن هو على دينه الحـق دان

ثم أتى بجملة اخرى يحكي فيها حال من إنخلع عن مودة أود الله وتَعَرى ، ورماهم بواسطة الحسد بماهم بريئون عنه وتَجَرى . ثم أورد بعدها القصيدة التي مرت وتكرر ذكرها وهي التي مطلعها :

قل للنجيب المستجيب الشادي عبد الإله الصادق الميعادي

إلى أن قال في اثنائها يصف حال الحساد :

وخرجت من بلدي فــــراراً مِنهمُ فوجدتهم خُلِقوا بكل بـــــلادي
يستكثرون لنا القليل من الـهـــبا ويغمهم فينا إزدياد الـــــــزادِ
قوت البهائم والوحوش ومن عصى لله بالطغيان والإلـــــــحاد

عجبا لهم يستعظمون محـــــــــقراً   دون الجناح من البعوض الغادي

ثم ذكر أعني في السفينة جُمَلاً أخرى فصل فيها حال آخرين كانوا قوما عادين ، وأثبت بعدها القصيدة التي أوردناها في الباب الأول وهي قوله :

بني مغراه قلبي وحل ياهل المعاني   وصبري من شغوبي كمل والجسم ضاني

إلى آخرها . وهذا باب واسع الأكناف والمجال ، ولايمكن إستقصاء وقائعه وماورد فيه بحال ، ويكفي العاقل اللبيب ماورد عن الله تعالى من آيات الكتاب العزيز ومافيها من التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمته ، ففي ذلك لمن صبر فوائد عظيمة وعوائد جسيمة . ونحن الآن نعد منها ماحضر وإلا فهي أكثر من أن تحصر ، ثم عد منها نحو أربع وخمسين فائدة للمحسود قال : فمنها أن كون ذلك من شعار الأنبياء وعلامات الأولياء في كل زمان ، فيدل على تحقيق الوراثة وصدق الإتباع لهم . ومنها أن ذلك دليل على وجود الصدق في إيضاح الحث والبيان ، لمخالفة أهل الهوى وأبناء الدنيا وأعوان الشيطان . ومنها الشهادة بالكمال كما قيل : لازلت محسود على نعمة ، وإنما الكامل من يحسد . ثم سرد الفوائد إلى آخرها . وعد منها أن أويس القرني كان في أول التابعين وقد أوذي مع شدة خموله ، وذلك دليل على خصوصيته ووراثته . إلى آخر ماذكره سيدي الحبيب عبد الرحمن نفعناالله تعالى به .

وقد حكى اليافعي في روضه كثيرا من أخباره ومن ذلك : أنه قيل له كيف أصبحت أوكيف أمسيت ؟ قال : أصبحت أحب الله وأمسيت أحمد الله ، وما تسأل عن حال رجل إذا أصبح ظن أنه لايمسي ، وإذا

أمسى ظن أنه لايصبح ، إن الموت وذكره لم يدع لمؤمن فرحا ، وإن حق الله في مال المسلم لم يدع في ماله فضة ولاذهبا ، وإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يدع للمؤمن صديقا ، نأمرهم بالمعروف ويشتمون أعراضنا ويجدون على ذلك أعوانا من الفاسقين حتى والله لقد رموني بالعظائم ، وآيم الله لا أدع أن أقوم فيهم بحقه . إنتهى من الروض .

وأقول وقد أطلت النقل في هذا المبحث ليعلم منه أولا كمال هذا الإمام وماهو عليه من الوراثة لجده صلى الله عليه وآله وسلم ولخواص سلفه رضي الله عنهم . وما أبداه في هذه المنظومة من إتباعه لطريقهم ليطابق المقال الحال ، وانه كان من الخلفاء المتصفين بكمال العبودية والولاية لصبره على الأذى والجفا ، مع أنه من أهل البيت النبوي والمنصب العلوي الذي يستحق به من جميع المسلمين أن يوالى ولايعادى ويواصل ويطاع ، ولكنه كان في زمان غلبت فيه الأهوى ورجحت الدنيا على الأخرى ، وكان يحب للمؤمنين مايحب لنفسه ، أظهر التأسف نظماً ونثراً كما قدمنا بعض ذلك وكما هو مشهور عنه ، كما ذكر ذلك في مقدمة السفينة له مما جرى له مع الحساد والبعداء والأضداد ، فصبر ورضي وذلك هو مقامه ، وماظهر منه من الشكوى والتأثر إنما هو ليتأسى به من جرى له مثل ذلك كما تأسى هو بمن سبقه من سلفه وغيرهم . وما نقلته هنا من كتابي المذكور جمعته مع طول التأسي لي ولغيري ممن إبتلى بالإيذاء ومعاناة الحساد والأعداء . اللهم إنا نسألك اللطف والصبر واليقين ، والرضا والتسليم ، والسلامة في الدين ، والغنى عن المخلوقين يارب العالمين .

ثم قال الناظم رضي الله عنه منثنياً عن الإلتفات إلى مايقع من الأعداء وأهل البغضاء ، إلى ذكر الأحباب والتوسل بهم تسلياً واستنجاداً لهممهم العلية ، وتوجهاتهم العلوية ، فقال رضي الله عنه :

فياعمر العمائر والزوايا وزينات المزايا والمعالي

ناداه ونوَّهَ باسمه أولاً ثم بلقبه في قوله في البيت الآتي : ويا عطاس ثانيا ليزول الإشتباه ويتأكد الإنتباه ، وإضافة العَلَمْ الذي هو عمر إلى العمائر ، لأن عمر يأتي في تصريف فعله إسم فاعل كعامر ، واسم المفعول كمعمور ، واسم تكثير كعمار ، ويجمع ذلك العمائر لإتصافه بها وهي جمع عمارة ، والمراد عمارة الباطن بالتحلية والتخلية اللتين هما شرطان لسلوك طريق الصوفية فيتطهر السر ويتنور القلب حتى يصير فيه من الهدى والعلم والمعرفة بالله سراج يزهر ، وعمارة الظاهر بالإتباع وكمال الإستقامة ، وذلك مشروح في مؤلفاتهم كالإحياء وغيره . وأما قوله : والزوايا، جمع زاوية وهي الجانب من كل شيء ، والمراد به جوانب القلب الذي وسع الرب ، فإنه إذا كان معموراً سرت العمارة إلى سائر أركانه إذ هو المضغة الذي إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله كما في الحديث . ويحتمل أن المراد كل ماينسب إليه ويتعلق به ، إذ القطب عامر برعايته وعنايته لجميع الكون السفلي خلافة ونيابة عن الحق تعالى كما ذلك معروف من مقام القطب والغوث ، فليطلب من محاله . وقوله : وزينات المزايا . الزينات جمع زينة ، وحقيقتها أن يتخلق الإنسان بما لايشينه في شيء من أحواله الدنيوية والأخروية ، فالزينة بمعنى الحسنة . والمزايا جمع مزية وهي تمام الفضائل في كل شأن من الشئون الظاهرة

والباطنة . والمعالي جمع علو ، وهو مستعمل في كل محمود ، ويكون صاحبه علي القدر ، فقد جمع في هذا البيت من الأوصاف العلية والخصال القدسية ماهو من حقيقة هذا القطب الذي لو أرسل الأكياس الحواس في الإحاطة باليسير منها أوعلى ما أثبته الناظم نفع الله به في القرطاس لم يأت من فضائله ومعارفه ومعاملاته وأعماله ومقاماته وأحواله إلا على النزر اليسير منها ، إذ العارف المتخلق بأسماء الله وصفاته الجلالية والجمالية فهي لاتتناهى . ثم قال الناظم رضي الله تعالى عنه :

فياعطاس ياراس الرواسي　　　من السادات قادات الرجال

الراس من كل شيء أعلاه ، والرواسي الجبال العالية وصفت بالرواسي أي الثابتة الراسخة ، إذ كل من ثبت قدمه ورسخ إرتفع رأسه . والسادات جمع سيد وهو من إرتفعت درجته لاسيما بالمقامات الدينية فساد قومه أي فضلهم ، والقادات جمع قائد وهو المتبوع المقتدى به ، والرجال هم الكاملون في الرجولية المعنيين في قول سيدنا الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في قصيدته التي يمدح فيها الشيخ عبد الله العيدروس نفع الله به :

الرجال الفحول من كل صدر　　　وإمام في الفعل والأعمال

وقال في الأخرى :

رجال الله من كل ذي قلب منور　　　مصفى من جميع الدنس طَيِّب مطهر

قال المناوي : ورجال الله في طريق الصوفية هم المُسمُّون بعالم الأنفاس وهو اسم يعمهم وهم على طبقات كثيرة وأحوال مختلفة . وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد قدس الله روحه في كتابه المسمى (

إتحاف السائل) في شرح قصيدة الشيخ أبي بكرالعيدروس العدني بعد ذكره طريق السلوك على قوله : فالإقتداء ثم الإهتدى أوالإصطفاء حال فوق حال . إلى أن قال : هذه علوم محققة رجالها نعم الرجال . قال رضي الله عنه : ثم أثنى الشيخ على المتحققين بهذا العلم من أهل الله تعالى فقال : رجالها من نعم الرجال . فإن الرجل من قَهَرَ نفسه واستولى عليها ونَقَّاها وزكاها من خبائث الأخلاق وحلاها بمكارمها ، وقطع عن قلبه علائق الأكوان واستقبل الحضرة الإلهية بوجهه الباطن والظاهر ، وأقام القالب في مواطن الخدمة لله تعالى التي هي شأن العبد ، وهذا وصف الصوفي المحقق ، والصوفية هم الرجال الموصوفين بهذه الأوصاف الذين لم يخالط يقينهم ريب ولاشك ، ولم يمازج هديهم الذي هو علومهم وأعمالهم ضلال ولاميل عن الحق ولاركون إلى الباطل مما لم يقنع الصوفية من إيمانهم ويقينهم بدونه ، ولأجله كلفوا نفوسهم الرياضات وحملوها تلك المجاهدات حتى صفت ولطف جوهرها ، فأدركت ماغاب عنها من العلوم الغيبية التي تعبدهم الشرع بالإيمان بها ، فصارت لذلك علومهم وأعمالهم بعيدة عن الجهالة ، سالمة من الضلالة ، لأنهم أخذوها من موطنها واقتبسوها من معدنها ، وماوصلوا إلى ذلك إلا بعد ما تأدبوا بآداب الشرع ، وعلموا من علوم الإيمان والإسلام مالابد منه ، ثم أخذوا في العمل بماعلموا ، وشمروا في ذلك وأقبلوا على مجاهدة النفوس وتهذيب أخلاقها بأنواع الرياضات . وقد قيل : معرفة الولي أصعب من معرفة الحق تعالى ، إذ الحق دالة على وجوده مخلوقاته فيستدل بالباري تعالى على الموجودات لاسيما من النباتات . إنتهى كلام الشيخ عبد الله نفع الله به .

وقد شَبَّهَ الناظم مقام هذا القطب ورسوخه وثباته بالرواسي ، والمراد بها الجبال الثابتة . نُقِلَ عن ابن عربي رضي الله عنه قال : رأيت رجلا من الأوتاد بمدينة فاس إسمه ابن جعدون ينخل الحِنا بالأجرة ، وهم أربعة لايزيدون ولاينقصون أحدهم يحفظ الله به المشرق وولايته فيه ، والآخر المغرب ، والآخر الجنوب ، والآخر الشمال . ويعبر عنهم بالجبال فحكمهم في العالم حكم الجبال في الأرض ، وألقابهم في كل زمن : عبد الحي ، وعبد العليم ، وعبد القادر ، وعبد المريد . إنتهى . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

سليل المرسلين جليل قدر تَلَيْتَ وقد تلى لك رُبَّ تالي

السليل هو الولد ، لأنه مُسْتَلٌّ من أبيه ، والمرسلين جمع رسول وهو من البشر من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه ، وذلك لأنه سليل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سليل المرسلين . قال الله تعالى { **وتقلبك في الساجِدِين** } والجليل العظيم ، والقدر الرفعة ، وكل من له قدر على مقامه وحاله . قدر ، أي حد محدود . وقوله : تليت ، أي تبعت من سبقك بوضع القدم على أقدامهم حتى لحقت بهم علما وعملا وذوقاً ، مع سائر ما اتصف به من المعالي . تلى لك ، أي تبع واقتدى وتأسى بك . رُبَّ تالي ، أي تابع لك في تلك الحقائق الربانية والرسوم الصوفية . ثم قال رضي الله عنه :

أجر جار الوجاروإن تجرّى وقم بالله ياحامي الحمى لي

أي إمنع جار الوجار وهو الجحر الذي يكتن فيه كل حيوان ويلجاء إليه مما يؤذيه ، فكأنه استعار ذلك للإلتجاء إلى الحصن المنيع والحِمَى الرفيع ،

أي كن جاره ومصاحبه من سطوة الأعداء . قال في نهاية ابن الأثير : والجحر إنحجار الضب في جحرها ، والضب في وجارها هو جحرها الذي تأوي إليه . وفي القاموس : إن الوجار مأوى الضبع وغيرها من الحيوان . ثم قال في النهاية : ومنه حديث أنس فوجرته بالسيف وجراً . أي طعنته ، والمعروف في الطعن أوجرته الريح لعله لغة قديمة . إنتهى . فعلى هذا يحتمل أنه أراد بقوله : أجر جار الوجار ، الطعن بالسيف كَنَّى بالحسي عن المعنوي الذي هو طعن اللسان وبذائها وإطلاقها في التنقيص والإمتهان من كل حسد وشنئآن كما استعاذ بالله من ذلك في بعض قصائده التي يقول فيها :

تربعنا برب السماء من كل شاني وبالهادي محمد وبالسبع المثاني

إلى آخرها . وإن تجرى لعدم إستقامته على القدم الذي كنت عليه ، وقم بالله لأنك عبده المحض وَوَليهِ الذي صار لك سمعًا وبصراً ويداً وموئداً فيه ، ياحامي الحِمى لي ، تبطش من عدى فيَّ وهم لي بسوء عليَّ ، أن يلهمك الله أنه لايتوب ولايرجع عن حسده وعداوته ، فالمصر على المعصية من إخوان الشياطين لاسيما إن كان مبتدعاً وغير متبع ، لأن من شأنه ذلك لايستعتب ولايرجع وهو ضال مضل لايقال ولايقيل . ثم قال رضي الله عنه

فلي رحم ولي حسب حسيب ومحسوب ومنسوب موالي

فلي رحم أي قرابة منكم ، وحسب أي شرف وكرم بكم وبالإنتماء إليكم ، فأنا حسيب عليكم أي معدود منكم وفيكم ، ومنسوب إليكم بالأبوة والأمومة الجسمية والروحية ، فأنا مواليكم لذلك أي ناصركم باتباع طريقتكم

وإشاعة مظهرها بالدعوة إليها والإستقامة عليها ، فبذلك يستحق عليكم النصرة على الأعداء فضلا وكرمًا بما تقتضيه محاسن أخلاقكم الموروثة عن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم وسلفكم الكرام ، فإنهم وشأنهم كما قال في بعض قصائده نفع الله به مشيراً إلى هذه المزية ومافيها من الخصوصية :

ونرعَى لمن يـرعَى الوداد ودادهُ　　　ولانترك العاني ولو كان يتركـنا
ولانسأم العهد القديم وإن قصَى　　　وشطت بنا الأوطان وانتزح المغنا
نـزيد على بُعْدِ المزار تشوقاً　　　وحفظاً وتأنيساً مدى الدهر لايفنى
بعاجـلة الدنيا وآجلة البقا　　　ويوم اللقا في حضرة المقعد الأسنا
وإن مَلَّنا المحبـوب مستبدلا بنا　　　سوانا حبيـباً ثانياً ماتـبدلنا
ونضمرللمغتاض في القلب رحمـةً　　　وإن كان قصداً بالقطيعة يهـجرنا
ونحتسب المولى لمن مـال أوبغَى　　　عليه به لذنا علـيه توكلنا
ونصبر للمؤذي جميلا مؤبـداً　　　بآيات قـرآن على الصابرين أثنى

إلى آخرها . والموالاة للأودَّا من شأن الكرام . قال الله تعالى { **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالذِينَ مَعَهُ أشداء عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم** }[1] أي وأنتم ممن شملته هذه المعية وتحققتم بفضلها ودخلتم في دائرة أهلها . ثم قال رضي الله عنه :

فياحامي الحِمَا أحْمِ حمانا　　　حماك الله من طول المطالي

فياحامي الحِمَا أي مانع منه مايضره . قال في القاموس : الحِمىَ كَيَا ، ويُمَد ، والحمية ماحمي من شيء أي منع منه ، والحامية الرجل يحمي

[1] الآية : ٢٩ الفتح

أصحابه . إنتهى . وقوله : أحم حمانا ، أي إمنع من جانبنا كل مايلم بنا من الحسيات والمعنويات . وقوله : حماك الله بمعنى صانك الله من طول المطال ، أي التراخي والإمهال في النصرة والقيام بالحمية ، لاسيما في حق من ينتمي إليك ويجب حقه فضلا عليك ، لأن المسارعة إلى إنقاذه للمنتسب إليك من المتعين عليك . أوحماك الله هنا بمعنى حاشاك إذ أنت ممن إذا شاء شيئاً شاء الله كما مر في المقدمة وكما سيأتي قريبا كما قيل في سلفك ، وهم الشيخ علوي وولده الشيخ علي والشيخ عمر المحضار نفع الله بهم إنها لاتزال خيلهم مسرجة ملجمة ، يعني للنصرة والإعانة لمن إستغاث بهم والتجا إلى حماهم ، وغيرهم من آبائهم وأبنائهم لهم هذه العناية بالمنسوب إليهم المحسوب عليهم . ثم قال نفع الله به :

فأنت الفارس الضرغام حقاً　　مروي البيض والسمر العسالي

أي أنت راكب الفرس الجواد المضمر المعد لقتال الأعداء ، الضرغام الأسد العادي الذي ليس من سائر الوحوش الضاريات . قوله : مروي البيض ، البيض جمع أبيض ، وهو من أسماء السيف كناية عن الحال الذي هو أسرع إلى النصرة والقطع من السيوف المرهفة والرماح النافذة السنينة . وقوله : يروي ، كناية عن أنه يرويه من دماء الأعداء تشبيها له بأنه ظمئآن فأرواه منها ، والسمر الرماح ، والعسالي جمع عسال أوعسول ، إسم للرمح إذا اشتد إهتزازه ، استعار الفارس وكونه ضرغاما لكمال شجاعته وشدة بأسه ، والآلة التي بيده ماضية كل ذلك تشبيه واستعارة لحال سيدنا الحبيب عمر نفع الله به ونفوذ تصرفه في الأكوان . ثم قال رضي الله عنه :

تحاماك المصاليت إذا تصالت وصالت واصطلت صل المصالي

قوله : تحاماك أي تحذر بأسك وبطشك وانتقامك المصاليت لما أولاك الله به ومكنك به من الحال الذي هو أسرع قطعا من السيوف السنينة والرماح القاطعة ، فتسطوا به على أعداء الدين بإذن الله تعالى بعد أن يلهمك الله أنهم لايرجعون عما إبتلوا به من دخيلة الحقد وذميم الحسد ، إذ عداوة الحساد بعيدة الزوال والنفاد إلا إذا شاء المولى وأراد ، فهو الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء . والمصاليت ، قال بعض شراح مقامات الحريري : المصاليت الشجعان الماضين في الحروب ، واحدهم مصلات ، أي تخافك الشجعان إذا تصالت أي عند صولتها وصيالها ، أي تعديها وسطوتها ، وصالت أي قدرت على التعدي ومدت إليه أياديها وآلات حربها ، واصطلت أي أوقدت نار السطوة والعدوان وذلك بنار سم الصِلِّ الذي هو من الحيات ذات السموم القاتلة الذي لدغه يتعب ويؤلم المصالي له ، أي المعالج له . شبَّهَ حال سيدنا الحبيب القطب جده عمر بن عبد الرحمن بأن ذوي الشجاعة والسطوة وذوات السموم تحاما سطوة مامكنه الله به من قوة الحال والتصرف بكلمة كن ، بقدرة ذي القدرة والجلال . وفي هذه الأبيات مالايخفى على أهل البيان من الإستعارات والجِناس والكنايات المستعملة عند أرباب الأدب واللسان .
ثم قال رضي الله عنه :

ومن يقدم عليك بعزم كِبْرٍ وكُفْرٍ ذاق ذا الداء العضال

أي يتوجه إلى حماك المنيع أيها الجبل الراسخ والعَلَم الباذخ بعزم كِبْرٍ ، أي يريد أن يتعاظم على ما أولاك الله من المعرفة به والدعوة إليه ، قياما

بوظيفة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، وماكان عليه سلفك الكرام من الإتباع لمرشدهم ومشرفهم عليه الصلاة والسلام . وكفر ، أي يجحد هذه النعمة التي عم نفعها الخاص والعام ويسترها . ذاق ، أي لاقا المتكبر على أولياء الله تعالى وخاصته وجاحد نعمة ما أولوه من العطايا الداء العضال ، وهو الذي أعيا الأطباء علاجه . قال تعالى في وصف إبليس { **أبى واستَكْبَرَ وكان مِنَ الكافرين** }[1] وفي الحديث (الكِبْرُ بَطر الحق وغمط الناس) أي إحتقارهم . والمتكبر بعيد الرجوع والفيئة إلى الحق ، ثم أنه ينتج أي الكبر وتترتب عليه كثير من الأخلاق الذميمة والخبائث المشؤمة ، وذلك كالحسد لأنه إذا رأى من يضاهيه أويشاركه فيما هو فيه حسده ، والحسد أيضا داء عضال وعثرة لاتقال ، إذا الحاسد ينازع القدرة ولايزال يعذب قلبه وسمعه وبصره ، إذ كلما رأى أوسمع بنعمة على المحسود كرهها وحزن لحلولها عليه وأحب زوالها ، فهو لايزال في عذاب أليم وظلم عظيم كما قال الناظم رضي الله عنه في قصيدته التي على حروف المعجم التي يقول في أثنائها :

طاب الصفا هل من فتى مصافي ... يأتي مؤاتي معتني مــوافي

ينال من هـــــذا نصيب وافي ... ولايغره كل جِلف جـافي

عامي من المعروف ليس يشهد

ظالم لنفسه بالحسد مكـــــدر ... ينازع الباري وليس يقـدر

من ذا يراجع قـدرة المقـــدر ... شبيه ناقة من بعيد تـهـدر

---

[1] الآية : ٣٤ البقرة

والشمس وقت الظهر ليس تجحد

عان الله الحاسد على عـــذابه نفسه بحكمة ربها مـذابه

ولا لها قـدرة ترد ذبا بـــــه إلا بترك الحول وانجـذابه

إلى قضا التسليم خير مقصد

غنيمة ابن آدم بنزع الأغـــلال ورأس ماله في سلامة البال

ورد الأشياء كلها إلى الـــوال الخالق الرازق مديم الإفضال

هو ذي حكم واشقى وهو ذي أسعد

ومن نتائج الكبر المرآه والتصنع للخلق ، إذ لايحب المتكبر أن يطلع منه على نقص أو وصمة ، ولذا كان الشيخ الحبيب عمر المذكور نفع الله به ، بل وسائر السادة الصوفية يأمرون بالخمول وإيثار التباعد عن الناس والإعتزال منهم ، فكان يقول : الخمول الخمول ، والدفن الدفن ، والتراب التراب . أي إلزموا ذلك فإنه محصن لدينكم وإيمانكم ، ومخلص لأعمالكم عن مايحبطها . وكان هذا من حاله نفع الله به وماهو مشهور عنه . نعم كان له نفع الله به مظهر في دعوة الخواص والعوام إلى الله وإلى دينه . حكي عن الشيخ عبد الله بن علوي الحداد قدس الله روحه أنه قال : وادي عمد لم يفتحه إلا الشيخ عمر العطاس . أي بدعوة أهله وإرشادهم إلى طرق الهدى وبيان التوحيد والسنن والأحكام ، وكان يبري ماتحكم فيهم وغلب عليهم من الداء العضال المذكور في الأبيات السابقة للحبيب علي بن حسن العطاس، وأنه يفسد الدين ويفسد طريق النجاة والفوز بالسعادة في الدار الآخرة التي هي خير وأبقى ، ونعيمها وثوابها وسرورها دائم لاينقطع ولاينقضي ، وعقابها وعذابها كذلك . وقول الناظم رضي الله عنه : ذا

الداء العضال . يشير إلى أنه يعذب في الدنيا بداء عضال يعيي الأطباء . ثم قال رضي الله عنه :

ونال الخزي في دار الخزايا وفي الأخرى يرى قبح الفعال

أي أن المعادي لأولياء الله والكافر نعمة الله بعدم موالاتهم وودهم ينال الخزي أي هوان ، في دارالخزايا ، جمع خزي وهومن أنواع الهوان والذل ، وفي الأخرى يرى قبح الفعال ، أي يظهر قبح أفعاله التي رآها في الدنيا حسنة فيجازي على قبيح أعماله السيئة التي آذى بها الله ورسوله وأهل بيته ، وهو العذاب الأليم في نار جهنم . ومافي هذا البيت مقتبس من قوله تعالى { **لَهُم في الدُنيا خِزْيٌ وَلَهُم في الآخرَةِ عَذَابٌ عظيم** }[1] ثم إلتفت الناظم رضي الله عنه إلى الإستنجاد بباقي سلفه رضي الله عنهم والإنتصار بهم الذين هم حزب الله ، فقال :

ويا آل النبي بالله قوموا معي فيما معي ياخير آل

آل النبي يجمع عشائر بني هاشم وبني المطلب ، يقوم لقيامهم أهل السموات والأرض ، إذ الكل لهم تابع في جميع الأقطار والمرابع ، فهم نعم النصرة إذالله معهم بالحول والقوة والقدرة ، مهما استقاموا وعلى ماكان عليه سلفهم داموا ، فدعاؤهم مقبول ، إذهم آل خير كل نبي ورسول . وقوله : فيما معي أي فيما أنا معانيه من ظلم الحساد ومعاداة الأضداد . ثم قال رضي الله عنه :

على فقراء من الأديان ضلوا وكان مرادهم صرم الحبال

[1] الآية : ١١٤ البقرة

أي قوموا معي بالنصرة على مقتضى الحَمية التي هي من شأنكم ، على فقراء من الأديان ، الفقراء جمع فقير وهو العادم للشيء من مال أودين أوغير ذلك من الأخلاق والصفات الحميدة أوالذميمة ، ولهذا يقال لمستحق الزكاة فقير لأنه عادم المال والذي ليس له نقد ومامعه الا غلات فقير العرايا ، ويقال للصوفي فقير لأنه زاهد في الدنيا وغير مكتسب ولاراغب في شيء من المال . وهؤلاء لما كانوا غير موالين لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولامحبين لهم كانوا فقراء . من الأديان ، جمع دين وهو مايدان الله تعالى به من الأعمال الصالحة والإتباع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أمر به ودعا إليه ، ومن ذلك حب آل بيته واحترامهم وموالاتهم مع إعتبار ما مر في المقدمة . ومن صد عن سبيل ذلك وأعرض عنه فهو فقير من الدين ومتعرض لمقت رب العالمين ، إذ لم يرفع لما أمر الله به وندب إليه رأسا ، ولم يوصل له أساسا ، وقد أضاع الحقوق ، وكان قرين أهل الكفر والعصيان والفسوق . فهذا هو الفقر المذموم ، والمتصف به من كل خير محروم ، يأتي يوم القيامة مفلس وليس له شفيع ولانصير، إذ الأنبياء والأولياء والعلماء لايشفعون لمن حارب الله ورسوله وأهل بيته ، بل يكونون له أعداء ، فهؤلاء فقراء الأديان لأنهم لم يعملوا بحقائق الإسلام والإيمان . وأما تسمية السادة الصوفية بالفقراء فذلك إسم شريف وقع على معنى لطيف ، لأن أولئك صرموا الحبال وتقطعت بهم الأسباب والأوصال ، وهؤلاء فقراء شدوا الوثاق وقاموا بالعهد والميثاق ، فهم أشراف العالم وخواص البشر من بني آدم ، لأنهم جمعوا بين العلم والعمل والإخلاص ورفض الدنيا والزهد فيها ، فأطلق

عليهم هذا الإسم لعلو مقاماتاهم وارتفاع مكانتهم ، وهم طبقات أولاهم وأولهم أهل الصفة بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكانوا أربعمائة . روى أبوداود رحمه الله عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جلست في عصابة من ضعفاء المهاجرين وأن بعضهم ليستتر ببعض من العرى وقاريٌ يقرأ علينا ، إذ جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سكت القاري فسلم ، ثم قال : ماكنتم تصنعون ؟ قلنا يارسول الله كان القاري يقرأ علينا القرآن فكنا نستمع إلى كتاب الله تعالى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرت أن أصبِّرَ نفسي معهم . قال : فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسطنا ليعدل بنفسه الكريمة فينا قال بيده هكذا ! فتحلقوا وبرزت وجوههم له ، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرف منهم أحداً غيري ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أبشروا صعاليك المهاجرين بالنور التام ، يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة . فهؤلاء سادات العالم وأصفيائه كما قال الشيخ شعيب أبومدين رضي الله عنه :

مالذة العيش إلا صحبة الفقراء ... هم السلاطين والسادات والأمراء
فاصحبهمُ وتأدب في مجالسهم ... وخل حظك مهما قدموك ورى

قال الشيخ علي بن عبد الله باراس رضي الله عنه في شرح هذه القصيدة المسمى بـ (الروضة الخضراء والدرة الزهراء في كشف معاني مالذة العيش إلآ صحبة الفقراء) قال : والفقراء إسم عام المراد به لغة خلواليد عما تحتاج إليه ، ولذا تفاوتت حاجات الناس بتفاوت فقرهم ، فلذا

ورد التغاير في الفقر . قال صلى الله عليه وآله وسلم (الفقر فخري وبه أفتخر) ولإطلاق لفظه وتفاوت مقاماته كان المراد بتعريفهم ، لأن مراده أكابر الأولياء وخواص الأصفياء . إذا علمت ذلك فالفقراء المشار إليهم المتلاشون بلمعان أنوار الذات ، المتمكنين من حقائق الأسماء والصفات ، لهم في كل موطن من مواطن الطريق وعلم من عوالم التحقيق القدم الراسخ ، لايحجبهم فرق عن جمع ، ولاجمع عن فرق ، ولاحق عن الخلق ، ولاخلق عن الحق . فهم أعرف الرجال بأنساب الحقائق ، وأوثق الخلق بحفظ الأحوال ومعرفة الطرائق ، وأقوم الرجال بمعالم الشرائع وأبعد الخلق عن الطامات والخوارق . وبصحبة هؤلاء لامحالة يستقيم حال المصحوب ، وتهب نفحات القرب من المحبوب ، الذي هو نهاية الأرب والمطلوب . فيعيش العيشة الراضية الأثيرة في رياض النعم السامية ، لأن من تخلق بحالة لم يخل ضرورة منها . وقد علمت ماهم عليه من لذيذ العيش الهني التام الخلافة السني ، فلاجرم أن ترشح من زواخر تلك البحور في صفحات الوجوه وغيوب الصدور ، ماهم عليه من الهناء والحبور وذلك أثر الصحبة ، إذ للصحبة تأثير في الكثيف فكيف لايتأثر بها اللطيف ، إذ النفوس ألطف من الهوى والأجسام ، والهوى بمصاحبة المسك يعبق سائر جوانب البيت الذي هو فيه ، فكذلك صحبة الفقراء الذين تبوؤا حضرة القدس ، وأناخت مطاياهم في مواطن الأنس ، فبصحبتهم تكتسب الفضائل وتنال أسنى الوسائل ، لكونه وَصَفهم أي الفقراء بكونهم سلاطين وسادات وأمراء ، أما كونهم سلاطين لَمَّا تمكنوا من قهر الأعداء وتسلطوا عليهم بغاية القهر وانقهرت لهم النفوس واستعبدوا الأهوى ، وانهزم عنهم

العدو اللعين وجنوده ، فثبتت لهم السلطنة القسرية والرئاسة الشامخة والعزة السرمدية ، ونفذ تصرفهم في سائر العوالم ، وذلك لغناهم عن مشاهدهم وبقاهم بربهم ، وكونهم سادات لِمَا عليهم من وفور العلم وسِعَةِ دائرة الفهم . والسادة هم العلماء . وكونهم أمراء لِماَ قاموا به من الخلافة ، فهم الخلفاء الراشدون ، والأئمة الهادون المهديون ، بهذا الإعتبار صاروا أمرأ حق ونواب صدق ، يمشون بين الناس بالنصيحة ، ويحببون عباده إليه ويحببون الله إلى عباده ، تُسَلِّم عليهم أقطار الأرض وتبكي لفقدهم السماء كما ورد قريبا من هذا في وصفهم . ولي في ذلك شعراً :

إن الفقير له علم يقـــــوم به   في كل فعل وحال مقتفي الأثرا
وفي المعالي كشمس يستضاء به   فانٍ عن الكون ما يشهد له أثرا

فإذا علمت ذلك علمت أن الفقراء المشار إليهم سادات العارفين وأئمة المحققين ، وعلمت أن لذة العيش في محبتهم ونيل غايات السعادة في صحبتهم . ولكن من أراد السلوك على منهجهم والتعلق بطريقتهم فليطلب الآداب ويستعمل خالص الأعمال . إنتهى .

وقد ذكرت في كتاب فيض الأسرار المار ذكره فيما يتعلق بالفقر والفقراء المراد من هنا مباحث ونقولات واسعة عند قول سيدي وشيخي الحبيب الإمام عمر بن عبد الرحمن البار الأخير نفع الله به :

قال الفقيرالمرتجي للعـــفوِ   والكون في أهل المقام العلوي
عمر أسير الكسب للأوزار   البار راجي رحمة الغـــفاري

ومر أيضا عند ذكر أبيات الناظم في القصيدة التي مطلعها :

مسقط النور ياجوهر وقع في الدبيات

عند قوله رضي الله عنه :

ماهن الآ سوى حوطة مشايخ وسادات

تعريف الحوطة ومافيها مما يتعلق بشأن الفقراء . وقوله في هذا البيت فكان مراده صرم الحبال ، أي قطع الحبال التي هي وثائق وصلات لبقاء الإيمان ودوامه والعروة الوثقى له ، وذلك كحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته وسائر العلماء والأولياء والصالحين الذين هم أولياء الله تعالى وأحباؤه . ثم قال رضي الله عنه ونفع به مبيناً حال الفقراء من الأديان ومايقصدونه من الإمتحان والإفتتان والإمتهان :

يريدوا يطفئوا نور الهدى والنـ ـــــبوة والرسالة باحتيال

هذا البيت فيه إقتباس من قوله تعالى { **يُرِيدُونَ أَنْ يُطفئوا نورَ اللهِ بأفواهِهِم ويَأبى اللهُ إلآ أن يُتم نُورَهُ ولوكَرِهَ الكافرون** }[1] ونور الله هو نور الهدى المذكور هنا . قال تعالى { **ذلك هُدى اللهِ يهدي به من يشاء من عباده** }[2] وقال تعالى { **أفَمن شَرَحَ اللهُ صدرَهُ للإسلامِ فهو على نورٍ من ربهِ** }[3] وهو مستمد عنه تعالى ومنبث في أنبيائه ورسله صلوات الله وسلامه عليهم ، وهو مجموع في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو منبث منه في آله وأصحابه ، وهم واسطته في بثه وإشراقه في الأمة كالقمر مستمد نوره من نور الشمس التام ثم يبثه في سائر الأجرام ، فما لهؤلاء القوم لايكادون يهتدون سبيلا . وقوله باحتيال ، أي بتحيلهم في انطماس ذلك

[1] الآية : ٣٢ التوبة

[2] الآبة : ٨٨ الأنعام

[3] الآية : ٢٢ الزمر

النور الذي يريد الله أن يظهره ، فما يعودون إلآ خاسرين خاسئين ، يعني أنه لاحيلة لهم في إطفاء نور الهدى الذي هو دين الإسلام الذي أبى الله أن يُطفىَ ، وأن لايظهر غيره من الأديان عليه ، كما ان النبوة والرسالة اللتين هما سبب ظهور الدين لاحيلة في إطفائها ، وكذلك وُراث النبوة والرسالة الذين هم آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاحيلة في إطفاء نورهم بحال من الأحوال وإن صال أهل الحسد والضلال ، لأن نورهم من نور الله الذي هو الهدى والدين ونور سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، ففي إقتباس هذا البيت من الآية المذكورة آنفاً فهو متضمن للجواب في قوله : يريدوا يطفئوا ، ماذكر باحتيالهم أي فلايقدرون عليه بالمعنى المار وتقرير النبوة والرسالة معروف في محله ، نعوذ بالله ممن هذا حاله ، مما يتفوه به مقاله . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

فردوا دا المودة ذال يوذا مع دعوى عليات المعالي

أي أنهم لغلوهم في العداوة والحسد أبدلوا دال المودة المهملة بذال الإيذاء المعجمة الذي يشمل من العامل به أي الإيذا إيذاء اللسان وعدوان الأركان وحقد الجَنَان ، نعوذ بالله من موجبات الخذلان والإفتتان والهوان ، ومع ماهم فيه من الهبوط والنقصان لفرط جهلهم وعماهم يَدَّعون عليات المعالي ظانين أن المجد بدعوى اللسان . والمعالي جمع علو وهو الرفعة في الأحوال السنية والمقامات العلية . وهم لتعاظمهم برئاسة دنيوية بجاه مردي ، أومال مطغي هاوين من الهوى في أسفل السافلين ، وهم كما وصفهم الله المستكبرين عن طاعته وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله {

كأنهم حُمُرٌ مُسْتَنفرة * فَرتْ مِنْ قَسورة }[1] إلى آخر الآيات . وهم أيضا ممن إتخذ إلَهَهُ هَواه ، وممن أخلد إلى الأرض واتبع هواه . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

يرومون المزايا بالرزايا ويبغون الحقائق بالمحال

يرومون أي يريدون . المزايا ، جمع مزية وهي مايتميز به الإنسان على غيره من الرفعة والشرف الذي يحصل بالتقوى . بالرزايا ، جمع رزية وهي النقص والخساسة . وحينئذ يصدق عليهم قول القائل ولله دره من قائل :

أنت بالدهـر والذي فيه أدرى وبما ضمنوه خـــيراً وشرا
فـتأمل ورُدَّ حِسك فـــيهم هل ترى أورأيت في الناس حُرَّا
يحفظ العهد من مـــروءته بل يجعل الله والصنائع ذخـــرا
كلهم كالحمير في الجهل غـــرقى فإذا قستهم فأحقر قـــدرا
وعلى ذا فـــيدعون كمالاً تَعِسوا ماالكمال خُـــبزاً وتمرا
خـــير مافيهمُ ولاخير فيهم إن مغتابهم يقـــدم أجرا
فأقلهم جمـــلة ولاتحتفلهم وعلى الله فاعـــتمد مستمرا

وضد هؤلاء الخساس من تقدم وصفهم عن الشيخ علي بن عبد الله باراس ، الموصوفون بأنهم السلاطين والسادات الأكياس ، من ذكرهم القائل في هذه الأنفاس بقوله :

تنافس أهل الجود في طلب المجد وحثوا مطايا الشوق في مخلص القصد
وداموا بعزم السير في طلب العلا فطابوا بطيب الوصل من دوحتي نجد

---

[1] الآية : ٥٠ المدثر

هم القوم هاموا فاستقاموا على السوى　　لهم همم تسموا إلى العَلَم الفـــــرد
إذا مادعوا يوما لكشف ملـمةٍ　　رأيت الفتى النشوان كالأسد الـــورد
بحار الحيا والعلم والحلم والتـقى　　دثار السخا والعـــز والشكر والحمد
كنوز الصفا والعشق والصدق والولا　　لهم من بحار الغيب وردا عـلى ورد
عليهم سـلام الله ماهبت الصَـبا　　قبيل إبتسام الصبح في طالـع السعد

وقد بينت حال الفريقين وسالكي الطريقين في وصيةٍ سميتها (جالية الأكدار ، وجالبة المسار ، بإشراق الأنوار ، في قلوب الإخوان المؤمنين الأخيار) وفي رسالة أخرى (لمحة اللحاظ ومنحة الإيقاظ) وفي أخرى تسمى (كشح المذام الرعونية عن طغام الديار الدوعنية ومن شاركهم في هذه الرزية) وكلها لم تزايل سكنها ولم ترتحل عن وطنها لعدم إشاعتها والتوجه إلى إذاعتها ، وبعضها إنتقلت لاسيما التي هي بإشارة سيدي الإنسان الكامل ، العارف الواصل الحبيب الإمام احمد بن القطب عمر بن زين بن سميط باعلوي أوغيره من سادتنا نفعنا الله بهم ولاجعل ببركتهم حظنا من ذلك البقاق ، أوداعية الرياء والنفاق . ثم قال الناظم رضي الله عنه :

ويعتقدون حب الله بغضاً　　لآل محمد في كل حالِ

أي يعتقدون لفرط جهلهم وغاية حسدهم أن التقرب إلى الله تعالى والتحبب إليه في بغض آل محمد ، فهذا هو البهتان العظيم والإفك الشديد ، إذ من طوائف الكفر من يعتقد أن موالاة آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحبهم من المحبوبات المطلوبات المنجيات المرغوبات ، وقد خالفوا بذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية حملهم شدة حسدهم على

مخالفتهما ،وعلامة أن الباعث على ذلك ماانطووا عليه من شدة الحسد
قوله رضي الله عنه :

خصوصاً من رأوه بدا بنفع   لخلق الله من فعل وقالِ

أي وذلك لما مر أن كل ذي نعمة محسود ، ولاسيما من ظهر بالخير العام لأهل دوائر الإسلام فيكثر أعداؤه ويقل أولياؤه كما في حق الرسل صلوات الله وسلامه عليهم وورثتهم من العلماء والأولياء كما قال نفع الله به في القصيدة المار ذكرها :

كثرت خصال الخير عندي فاقتضت   لي في زمـــــاني كثرة الحسادِ

ثم قال رضي الله عنه :

خصوص الجار في عصر ومصر   وقذف المبعدين وفي الخوالي

أي إن الحسد والبغضاء يشتد ضررهما ويتطاير شررهما أكثر مايكون من الجيران والقرابة والمعاصرين وأهل البلد والمعارف ، كما ذكر ذلك الحجة الغزالي في البداية وغيرها قال فيها : ألا ترى الشر إلآ ممن تعرفه فاقلل من المعارف جهدك . إلى آخر ماذكره فيها . وفي العزلة سلامة من الوقوع في المهالك الناشئة عن المخالطة ولكن لها شروط مذكورة في محالها ، فإن كنت من أهل الدين والعلم والعمل فاطلبها وفرق بين خيرالخيرين وشرالشرين ، واعمل على مقتضى العلم تسلم وتغنم . ثم لما تَحير نفع الله به في شأن الحساد وأعياه علاجهم وأمتد إليه إيذاؤهم واشتدت عداوتهم خرج من بينهم حسا من القرى والبلد ، وانفرد عنهم في حوطة المشهد بعد إذن إلهي إلهامي كما مر معنا بسط ذلك ، ثم إنه إلتجاء إلى مولاه مع ذلك واستعاذ وتحصن به وبأهل محبته وخاصته في أن يكفيه شرحسدهم

وعداوتهم وبغضهم ، وان لايصلوه بأذاء يكون سببا في نقص دينه وآخرته ، أودنياه المعينة على ذلك ، فقال رضي الله عنه :

تعوذنا بحول الله منهم ولذنا بالجلالة والجلال

أي تحصنا بحول الله أي تمام قوته ، منهم أي من هؤلاء الحساد والأعداء الظالمين لنا في ذلك ، ولذنا أي لجأنا ، بالجلالة أي الإسم الجامع لجميع الأسماء والصفات ، والجلال أي القهر والبطش الشديد بأن يمنعهم منا ويرد شرهم عنا بالجلالة التي هي إسمه الأعظم الجامعة لصفات الجلال والجمال والكمال ، وخص أسماء الجلال دون غيرها لأنها للإنتقام والمقام مقام إستعاذة من الأعداء الذين غلب على الظن عدم توبتهم ورجوعهم عن البغضاء والعداوة لتمكن ذلك من قلوبهم وسرائرهم ، وتحصنا بذلك عنهم . ثم قال رضي الله عنه :

وقدمنا رسول الله عوناً على حزب الضلالة والضلال

أي جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم برزخاً بيننا وبين ضررهم وإيذائهم ، وحصنا حصينا من وصول شرهم إلينا ، إذ هو الأب الرءوف الرحيم بنا خاصة وسائر المؤمنين كافة ، وأكرم الشفعاء على الله المقبولين عند الله تعالى ، إذ هو الواسطة العظمى بين الله وبين عباده ووسيلتهم إليه . ثم قال رضي الله عنه :

وحيدر والمقدم والمكنى بسقاف العلا ليث القتالِ

وذاك العيدروس وتابعيه وبن سالم وعترته الموالي

العيدروس هو شمس الشموس شيخ الشيوخ عبد الله العيدروس بن الشيخ أبي بكر السكران بن الشيخ عبد الرحمن السقاف

، وتابعيه يعني أهل دائرته كأخيه الشيخ علي ابن أبي بكر وابنه أبي بكر العيدروس وغيرهم ، وقد ترجمناهم في الكتاب المذكور . ثم قال رضي الله عنه :

مع عطاسنا المحضار مفني رسوم الحاسدين على عجالِ
وحداد القلوب وابن زينِ الملا والبار سادات النزالِ

فهؤلاء بعد أن أنزل حاجته على الله الذي له الحول والقوة والقدرة ولايرجى سواه ، جعلهم وسيلة إليه تعالى وحاملي عرش نجواه وبث شكواه ، إذ هم ثمانية كحاملي العرش العظيم والمؤهلين لما في ذلك من المعنى الجسيم ، وقد ترجمت لهؤلاء في كتاب فيض الأسرار . أما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ففي قول سيدنا وشيخنا الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار نفع الله به وبهم في السلسلة المبرورة المسماة (الروضة الأنيقة بنظم أسماء أرباب الطريقة) عن النبي عن إله العالمين بو اسطة شاووش حضرته الأمين ، وأما أمير المؤمنين سيدنا علي ابن أبي طالب رضي الله عنه ففي قوله :

عن ابن أبي طالب علي المرتضى إمام أهل الصدق رأس أهل الرضا

وأما سيدنا الأستاذ الأعظم الفقيه المقدم محمد بن علي ففي قوله :

عن الإمام غوث أهل الدائرة حاوي العلوم الباطنة والظاهرة
مقدم القوم محمد بن علي شيخ المشايخ الولي ابن الولي

وأما الشيخ عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة ففي قوله :

كذاوجيه دين الله سقاف العلا عن والده سلطان أرباب الولا

وأماالشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس ففي قوله :

عن عمر العطاس رأس الطائفه وغيره ممن رزق عواطـفه

ومرت له الترجمة تامة عند قول سيدنا الحبيب علي بن حسن : عطا عطاسنا غطا العطايا . إلى آخره . وأما الشيخ عبد الله بن علوي الحداد ففي قوله :

عبد الله المشهور بالحـدادِ الغوث شيخ الفتح والإرشـاد

وأما الشيخ الحبيب احمد بن زين الحبشي فقد تكرر ذكره في هذا المؤلف وفي فيض الأسرار أيضا ، إذ لم يذكر في السلسلة إلا إبنه الحبيب جعفر بن احمد وبعض اخباره ورموز أسراره وعلومه وآثاره ، في قرة العين في مناقب الشيخ الحبيب احمد بن زين . وأما الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن البار ففي قول شيخنا المذكور في السلسلة في ذكر أخذه عن عمه الحسن ، وأخذه عن والده المذكور قوله :

وأخذه عن معدن الحـقائق الوارث الجد الخِضم الدافــق

وقد تكرر ذكره ايضا في هذا المؤلف أحلنا على تراجمهم في كتابنا وغيره من المؤلفات المعقودة لتراجمهم وذكر أحوالهم إختصاراً ، إذ لو أثبتنا ذلك هنا لخرج بنا الحال إلى الطول الممل ، ويكون في هذا الزمان معرضا للإعراض ممن يطالع هذا المؤلف أويحصل .

ثم بين سيدي الحبيب علي بن حسن قدس الله روحه توسله بهؤلاء الليوث المدركين لما عناه من أولئك الأعداء المتهالكين ، فقال رضي الله عنه :

دعوناهم لدعوى كل عاتٍ بغارات شديدات المحـالِ

دعـوناهم أي ناديناهم واستغثنا بهم لدعوى كل عات ، أي لإستطالة العاتي وعدوانه ، وهو العدو المتمرد من الإنس والجن ، بغارات أي إدراكات ، شديدات أي قويات متمكنات في الأخذ التي لايفلت صاحبها كما في الحديث (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) وهو معنى آية { **فَأَخذناهم أَخْذَعَزيزٍ مُقتَدِر** } [1] والمراد بالمحال الحول وهو شدة القوة لايدعوهم لذلك ، وهم الذين يقول قائلهم وهو الشيخ عمر المحضار :

ومن جانا وبا يخضع حمانا　　نكثر في بلده الصائبات

وقول الآخر وهو الشيخ أبوبكر بن عبد الله العيدروس :

وكل أحد مقصوده أذانا　　من كل عات

نرميه باسهمنا ولايرانا　　الصائبات

أبطال تحمي بالقنا حمانا　　والمرهفات

من كان له بالموت صدق مقصد　　يقدم لنا

وقال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد في القصيدة التي أولها :

يا آخذاً مني بأذيالي　　في بُكري أيضاً وآصالي

ياعاذلي دع عنك زخرفة　　اتعبت فيها بالك البالي

هل أنت مني حين أكرمني　　ربي قريبا ، أيها الخالي

إلى أن قال :

مت أن تشأ غيظاً فليس إلى　　قطعي سبيل قد تجلّى لي

وقد حمى أطراف مملكتي　　بالقهر جَلَّ القاهر الوالي

---

[1] الاية : ٤٢ القمر

وقال شيخنا الإمام العارف بالله تعالى الحبيب عمر بن سقاق السقاف باعلوي نفع الله به :

الحمــــــد لله السرور بادي   والقصـــــد شانبلغه والوسيله
مخذول من قد ثار في عنادي   وحيلته في المكر مستحيـله
مــن ذا يحاربنا ومن يعـادي   والنصرأهل الفضل والفضيله
أسلافنا من حـاضرٍ وبادي   حاشـا وكَلا مالهم مثـــيله
أهل العُلا والنور والرشادي   بيت الندى والجـود والجميله
غاراتهم ذي تهزم المعـــادي   قبيلتي يانعم من قبــــــيله
وإن رماني بالجفا معــــادي   ناديتهم كي يقطـــعوا سبيله
لَبَّا لساني الحــــال للمنادي   جاءت خيول النصرفي صهيله
أهل الرماح الشُجَّر الحـدادِ   باعي بهم أضحى هي الطويله
لولاهم سارع إلى فســــادي   عاصي وجاني حالتي مهــيله

ثم عاد إلى نفسه يؤدبها ويعاتبها . وماورد عنه من هذا القبيل كثير لايحصى ، وذلك إنما يرد عليهم بعد موت نفوسهم وفنائها بربهم ، لافخراً ولاتعززاً ولا إستناداً إليها ولا إعتماداً عليها ، بل ترد عليهم هواتف ربانية إلهامية عند تجليه عليهم سبحانه وتعالى بصفاته العلية ، فيفنون فيه عندها ، ويتحدثون بما أنعم الله عليهم منها ، فكأنهم ينطقون على لسان الحق فهي حق من حق بحق ، كما ذكر ذلك علماء هذا الشأن فيما نقل عن مثل هؤلاء كالشيخ عبد القادر الجيلاني ، وابن عربي ، وابن الفارض ، والشيخ ابي بكر العيدروس ، والشيخ أبي بكر بن سالم ، وغيرهم من

سادتنا آل أبي علوي رضوان الله عليهم أجمعين . ثم قال سيدي الناظم الحبيب علي بن حسن نفع الله به :

حططنا عند بابكم القضايا　　ونعم الباب في حط الرحال

وكنا من غزية لاسواهـا　　فلم نقصد سواكم يامـــوالي

أي أنكم لما عُرفتم بإكرام النازلين وحفظ الذمار للأقربين والأبعدين وحماية الجار ، لاسيما إذا كان من الأهل والبنين حططنا عند أبوابكم لاغيرها ، القضايا أي المطالب التي لنا في النفع والدفع والتفرقة والجمع ، إذ أنتم موالينا وأصولنا ، والأقربون منكم أولى بمعروفكم كما قال الشيخ عبد الله بن علوي الحداد بعد ذكر سلفه وماكانوا عليه من البر والتقوى وكرم السجايا ، وحسن الشمائل والمزايا قال في آخرها أي القصيدة :

أولئك ورَّاث النبي ورهـطه　　وأولاده بالرغم للمـتعامي

إلى أن قال :

وكم حِكمة فيهم وحُكمٍ وكم وكم　　نواميس قهر للطـــغاة روامي

يريدون أن يطفوا بأفواه زورهم　　مصابيح نور قد محت لظلامي

وقد تحدث أيضا فيها بالنعمة العظيمة والمنزلة الجسيمة التي لاتسامى ولاتضاهى إلا من طهر نفسه وزكاها ، واتبع سبيلهم واقتفى رعيلهم فقال :

مواريثهم فينا وفيـنا علومهم　　وأسرارهم فليسأل المـترامي

إلى أن قال :

وإنـــا على آثارهم وسبـيلهم　　ومانحن عن حقٍ لهم بقـيامي

مقرين بالتقصير عن شأومجدهم　　وحسن مساعيهم بكل مـقامِ

ولكنهم آباؤنا وأصولـــــنا　　وأسلافنا ممـن مضى بسـلام

وقد لمح هذا المعنى سيدي الناظم الحبيب علي بن حسن قدس الله روحه في قوله :

فإن جدتم لنا فضلا فأهل وأما المنع في عدل إعتدال

أي فإن جدتم لنا بالإعانة والنصرة والرعاية فذلك فضل من الله ثم منكم ، وأنتم أهل لذلك بما أهَّلكم الله به من الأحوال السنية والمقامات العلية ، فقد صارت أقوالكم وأفعالكم بملاحظة المولى القادر القوي مرعية ، يشير إلى ذلك مافي الحديث القدسي (مازال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل) إلى آخره . وأما المنع منا بتقصيرنا عن حفظ حقوقكم والإتباع لكم بما كنتم عليه من الرفعة والعزائم ومعالي الهمم في كمال الإتباع لمشرفكم ، فإن ذلك المنع عدل منكم في حقنا لاجور فيه ، إذ أنتم متصرفون ونائبون في ذلك عن أيادي الحَكم العدل الذي لاظلم ولاجور في أفعاله ، وذلك أيضا إعتدال وهو الأخذ بالوسط الذي لا إفراط فيه ولاتفريط . ثم استدرك بعد ذلك فقال رضي الله عنه :

ولكن منكم حاشا وكَلا وفي الله الرجا والإتكال

أي لكن حاشا أي معاذ الله ، وكلا أي لا والله أن يكون منكم إعراضا عنا وعدم النصرة لنا أوالتفقد لحالنا ، إذ أنتم أشفق علينا وأرحم بنا من أنفسنا . ثم قال : وفي الله الرجا والإتكال ، أي الإستناد في جميع الأمور إليه تعالى والإعتماد عليه ، وكل شيء جارٍ بحكمه وواقع بقضائه وقدره ، ماشاء الله كان ومالم يشاء لم يكن . وفي هذا إحتراز وتحقيق للتوحيد والتفريد والتجريد ورد الأشياء إليه تعالى ، كما إحترز سيدي الحبيب عبد الله بن علوي الحداد في كثير من قصائده ، ومنها ماذكره في

قوله بعد توسله بجماعة من سلفه : فضل من ربكم والأمر لله توحيد . كما مر بيان ذلك في المقدمة في مبحث الكرامات . ثم ختم هذه القصيدة الفريدة بما هو الوسيلة إلى القبول فيما عرض به من التوسلات المؤذنة بتحصيل المأمول فقال رضي الله عنه :

وصلَّى ربنا في كل حين على هادي الهداة من الضلال

الصلاة من الله هي الرحمة المقرونة بالتعظيم ، وهي وصلة المصلين إلى نيل رضا رب العالمين ، وقد أمر الله تعالى المؤمنين بها وأخبر أن أهل حضرة قدس الملائكة يصلون عليه صلى الله عليه وآله وسلم ، أي أنهم دائبون في الإستمرار على الصلاة عليه كما تدل على ذلك صيغة المضارع ، وقوله على هادي الهداة ، أي الذين اهتدوا إلى طريق الصلاح والفلاح ، ثم دعوا غيرهم إلى ذلك فسُموا هداة أيضاً كما قال صلى الله عليه وآله وسلم (علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل) وذلك أنه بث علومه الخفية في آله وأصحابه ، وهم بثوها فيمن بعدهم كالقمر يتلقى نوره من الشمس ثم يلقيه في سائر الأجرام وهَلُمَّ جر إلى آخر الدنيا ، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم (لاتزال طائفة من أمتي قائمين بالحق إلى يوم القيامة لايضرهم من ناواهم) صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ، وتابعيهم من فريق الهدى وحزبه ، صلاة وسلاما دائمين متقارنين إلى يوم الدين آمين .

الخاتمة في نزر يسير من كلامه تبركا به في هذا المؤلف وإلا فهو قد شاع وانتشر وذاع ، ونبا على الأسماع ، وذلك كلام كل عارف ينبئ عن حاله ومقامه كما هو مقرر عن أئمة هذا الشأن وأعلامه كما مر ذكره في المقدمة . وقد حكي أنه سئل نفع الله به عن قول صاحب الحِكم العطائية : كل كلام يبرز وعليه كسوة القلب الذي برز منه . فأجاب بقوله : كُل كلامه كماه . وقد نظم شيخنا الشيخ الصوفي العارف عبد الله بن احمد باقيس نفع الله به ذلك في أبيات يقول في أولها :

وكل كلام برز من شفاه   وجدنا لكلٍ كلامه كماه

قال رضي الله عنه : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله مطلع السيادة ، في أخبار السادة ، في أفلاك السعادة ، للإفادة والإستفادة ، بعد غروبها في غرب الغربة ، والكاشف بها عن أهلها من أهلها كسوف الكربة ، والمشفي برحيقها غلائل صديقها فيالها من شربة ، لقد فاقت مزاج التسنيم وأفواج النسيم بالنعيم إذ رفعت عذاب البعد الأليم باقتراب القربة ، فصارت الشدة المصبور عليها نعمة مشكور عليها بجميع عصائب العصبة ، ومراتب الرتبة . فالحمد لمن هو أهله ، إذ فاض علينا فضله ، وانكشف بالخصب محله . ونشهد أن لآ إله إلا الله جامع الشتات ، ومظهر الآيات ، وحافظ من في أقطار الأرض والسموات ، الذي بيده المبتدأ وإليه منتهى الغايات . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وحبيبه وخليله الذي أرضي وأعطي سؤله ومأموله ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، وصحبه الظاهرين ، وأتباعهم بإحسان إلى يوم العرض على أسرع الحاسبين ، واجتماع الأولين والآخرين . وقال رضي الله عنه :

قل لعبد الله يا نجل الكرام هل مع الله لعبد الله كلام
أنت عبد الله أم لا فاحك لي فإذا قلت نعم قلت السلام
العبودية تقاضي حقها وعلى العبد الرضا والإحتكام
الرضا فيها فريضة لازمة والسخط في حكمة المولى حرام

وقال رضي الله عنه : واعلم أن هذه العوائد الدانية الدنيوية قد أفضت بغالب الناس إلى فساد الدين ، فذهب الدين وغيره كما أشار إليه بعض سلفنا . وقال أيضاً : أمور الدنيا تابعة لأمور الدين إتباع الظل للشاخص فاجتهد فيما ينفعك ، وأما محبك فلا يرى الحق إلا عليه ولا التقصير إلا عنده في جميع الحقوق ومن جميع الشقوق .

وقال رضي الله عنه في أثناء مكاتبة : وكتابكم لايقطعنا وأن قطعتم ماقطعنا ، فمن عرفنا وعرفناه لوتركنا ماتركناه ، والحق اللازم سمحنا به واستسمحناه ، وماقدرنا عليه من ذلك فعلناه ، وماجاء من المحب إرتضيناه وماقاله رضيناه ، وجزاكم على الله ورسوله والسلف الصالح أحلناه ، فهم ذخرنا وكنزنا ويحملون ماحملناه .

وسئل رضي الله عنه في قوله تعالى { **إنَّ الإنسانَ لِربه لَكَنُود** }[1] فقال : فأما الكنود فهو الكفور ، وكند النعمة كفرها ، أي لم يشكرنعمة الله عليه في إيجاده باستعمال نعم الله في طاعته ، وعند العرب إن الكنود هو الشرود وهو معنى الكنود ، ولذلك لما خرج جد كِندة عن طاعة والده

[1] الآية : ٦ العاديات

سموه العرب كندة ، وفي البغوي كنود كفور . ثم نقل عن العلماء في ذلك أقوالا جَمة .

وقال في أخرى عند ماشكى عليه جريان سيل جرف نخلا وغَيَّر في معالي الوادي : وذكرتم أنه حصل منه غيار في معالي الوادي الحي الذي فاق حَيه كل حي ، وصار قرة عين كل حي ، وذكر من الآيات والدلالات الواردة فيما تجريه القدرة في الأرض والسموات ، ثم قال : وتعرف أن جهات الكسور كلها ركبها الحكيم على هذه الدوعين ، الدوع الأيمن والدوع الأيسر ، وربما قد رأيت فيها من سِعة الجيلان وطول الميلان أترى ربك ركبها مع عظم كوكبها ليسقي بها الرباط والخريبة وعُوره وحلبون أم الهجرين وماورآء ها إلى علقون وشجعون ؟ إذا علمت ذلك فمن جلس على الطريق فليصبر على التدحيق ، ومن حجا المضيق جاءه مالا يطيق ، والحاصل إن اللطف حاصل والنور متواصل ، ولاتخشى على أهل دوعن من ذلك فإن فيه إشارة من السلف أنه الوادي المأثور وأن لايزال بالحياء معمور ، ومن راحت عليه نخلة كتب له من الثواب كمن مات له ولد صغير . وقال رضي الله عنه : واعلم أيضا أن سلعة الله غالية وهي عند الناس رخيصة ، ولذلك تراهم إذا منعهم من فعل الخير المجرد لوجه الله أدنى مانع تركوه وقالوا بلغناه بالنية ، وإذا منعهم مانع من طلب الدنيا دفعوه ولو قُتلوا دونه لماامتنعوا ، فانظر إلى هذا الفرق ومن هنا أفلس من الخير معظم الناس حتى قال حبيبنا الشيخ أبوبكر العيدروس رضي الله عنه

فما أكثر الأصحاب حين تعدهم وماقَلَّهم إن حاولتك النوائب

وقال أيضا :

عين الحقيقة مالها مشاهد   سوى من السبعين ألف واحد

ولما مدح الله بعض أنبيائه في كتابه المبين قال { **إنه من عِبادِنا المُخْلَصين** } فلا تغرنك التماويه والتزاويق بغير تحقيق ولاتصديق ، ومهلا الإحالة على الأقدار فإن تلك حالة أهل الإغترار ، فلاتطمع في نيل المقصود بغير بذل المجهود ، كما لاتطمع في السلعة بغير بذل ثمنها المعقود ، ولا في التزويج بغير المدود للنقود ، فافهم واعلم .

وقال رضي الله عنه : والله الله في ملازمة صلوات الجماعة في المسجد ، وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، ولازم تلاوة القرآن قال الله تعالى { **وأتلُ ماأوحي إليكَ مِنْ كِتابِ ربك لامُبَدلَ لكلماته ولن تَجِدَ مِن دونه مُلتَحَدا * واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغَداةِ والعشي يريدون وجهه ولاتَعْدُ عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطِعْ مَنْ أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرطا** } [1]. وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن أردتم عيش السعداء ، وموت الشهداء ، والنجاة يوم الحشر ، والظل يوم الحرور ، والهدى من الضلال ، فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن ، وحرز حريز من الشيطان ، ورجحان في الميزان) وقد قال الله تعالى { **وَنُنزلُ من القرآنِ ماهو شِفاءٌ ورحمة للمؤمنين** }[1] وقال عَزَّ من قائل { **قُلْ هُوَ للذين آمنوا هدىً وشفاء** } [2]أي من الأوجاع . ذكره الواحدي رضي الله عنه والله الموفق .

---

[1] الآيات : ٢٧ – ٢٨ الكهف

[1] الآية : ٨٢ الإسراء

[2] الآية : ٤٤ فصلت

وقال قدس الله روحه : ثم الذي أوصيك به ملازمة ذكر الله آناء الليل والنهار ، وتلاوة كتابه مع تفكر واعتبار ، وكثرة الإستغفار بالأسحار ، وكثرة الصلاة على نبيك المختار ، وتأدية المكتوبات أوائل الأوقات بالخشوع والإنكسار ، ومصاحبة الطائعين والأخيار ، ومجانبة الغافلين والفجار ، وحضور الحضرات والموالد والأذكار ، والقصد في حالة الغنى والإقتار ، والعدل في حالة الغضب والإختيار ، وخشية الله في السر والإجهار . وإذا أذنبت فاستغفر ، وللنعمة فاشكر ، وللنقمة فاصبر ، وفي الطاعة فاشهد مِنة الجبار ، ولازم الدار وانقبض من الأدوار ، وكن في أهلك وأرحامك بار ، ولهم قهار ، وعليهم تِحْمَا وتغار ، وعلمهم الأدب ، وحثهم على القُرَبْ ، { **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** }[3] وأعرض عن الجاهلين ، ولاتمازح العاقل ، ولا تركن إلى الغافل ، ولاتنسى حقوق الجار ، واصفح للجاني وتغافل عن العيوب ، وتجاوز عن زلات الناس وأقل العثار ، وتوكل على الله تعالى وتبتل إليه ، واستعن به وابتهل إليه أن يجعلك من الأبرار ، ويدخلك جنات تجري من تحتها الأنهار .

وقال نفع الله به : الله الله في لزوم صحبة أهل الخير والصلاح ، ولزوم الصمت ولزوم الصدق في الكلام كله ، والحذر الدعوى ، والحذر تستأمن على من لاتختبر حاله لأن أهل الزمان ماعليهم أمان .

ومن بعض ماكتبه لبعض محبيه قال رضي الله عنه : ونحن نطلب من الله ثم منكم إذا سمعتم فينا أوفيكم بكلمة حفية أن لاتبلغوها إلينا ،

[3] الآية : ٦ التحريم

ولاتكشفوا عورة قائلها إلينا ، فإنها مثل الخرية الذي يطرحها مولاها في خدود والذي يبلغها وينقلها مثل من يشلها بيده ويبلغها إلى من قالها فيه ، فما بلغ المكروه إلا من نقل . واعلموا أنا جعلنا كل قائل في حِلْ ، وتصدقنا بعروضنا لله على من إشتهاها :

واستوى عندي المادح ومن كان يعذل   يهذي أوبايجور أويسكت أوبايضول
مامعي فرق بين الخل واللي يخلل   والذي قد رضي فعلي ومن هو مشهول
والمناصر ومن عادى وقادى يخذل   لابذا افرح ولانا بالمنازع مُعول
غير جمله قطعنا البيع والله يجمل   صافي الصدر ماعندي على من غلا غل

وقال رضي الله عنه : وفي الحديث : أنصر أخاك ظالماً أومظلوما ، قال يارسول الله كيف أنصر أخي وهو ظالم ؟ قال : ترده عن الظلم . قلت أنا العبد الفقير علي بن حسن العطاس ويظهر لي في قوله عليه الصلاة والسلام : أنصر اخاك ظالما أومظلوما معنىً آخر وهو : أنها إذا وقعت لأخيك نائبة واحتاج فيها إلى النصرة فانصره وإن كنت قبل ذلك ظالما أومظلوما منه ، فاترك الآن مابينك وبينه وقم في صفه بالعقل والعرف والشرع والمروءة والوفا والحشمة ، ومايشد مباني الرئاسة من عدم المعصية والبطر التي تزيل النعم وتعقب النقم ، هذا مايظهر لنا في معنى الحديث . وكلام النبوة كثير المعاني غزير المباني ، مستمد من السبع المثاني ، { **وماينطق عن الهوى * إن هو إلا وحيُ يوحى * عَلَّمَهُ شديد القُوَى * ذومِرة فاستوى * وهو بالأفق الأعلى** }[1] إنتهى .

[1] الآيات : ٣ – ٧ النجم

(قلت) ويدل لكلامه في هذا المعنى ماذكره أئمة الحديث أن رواية الحديث بالمعنى لاتصح عند أكثرهم ، وقالوا إن تحت كلام النبوة أسرار وأغوار لايعقلها إلا العالمون ، فنطق الأحاديث باللفظ الذي أدَّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حامليه من الصحابة رضي الله عنهم ، ثم إلى المتلقين عنهم من التابعين كذلك . ولذا ورد في الحديث (فرب مُبَلغ أوعى للحديث من المُبَلغ) والله أعلم .

وقال قدس الله روحه : نشكر الله الذي قال { **لئن شكرتم لأزيدنكم** } ونسأله أن يجعلنا من الذاكرين الشاكرين العاملين شكراً عملاً ونية وقولا . { **إعملوا آل داود شكراً** } الآية . ثم قال وقليل الجدوى من قال الحمد لله على النعمة ولم يقم بحقوقها ويزكيها بهمة لايقال أنه من أهل الشكر ، ومن قال أستغفر الله لايحكم له منها بالطهر ، ومن قال لآ إله إلا الله وهو يعبد هواه لايُعَد له ذلك من نافعات مخلصات الذكر ، وماقال : فويل للمصلين ، وطاعة معروفة ولم تقولون مالاتفعلون ، كَبُرَ مقتاً عند الله أن تقولوا مالاتفعلون ، يقولون بأفواههم ماليس في قلوبهم ، إلا زجراً عن قول اللسان بلا موافقة جَنَان ، القليل الجدوى في كل شأن .

وقال رضي الله عنه : الحذر تدخل الصدقة دارك فإنها الحالقة حالقة الدين والدنيا ، وقليل من يفلح مع ولايتها بل هي نار الله المؤقدة التي تطلع على الأفئدة ، وهي على من يستحلها مؤصدة في عمدٍ ممدة ، وإن تشككت فانظر إلى مباشريها والواقعين فيها فإنك تراهم هالكين وللفقر مالكين ، وفي الظلمات حالكين ، وكنا ننصحهم منها بما يخافون من عذاب الآخرة فربما يقولون الله غفور رحيم وقد رك إيمانهم بسبب القساوة والنفور

عن السمع والطاعة ، وربما نحذرهم مايحل بهم في الحال من تحول الحال ومحق المال وفساد العيال .

وقال رضي الله عنه : الله الله في الملازمة والتشمير لطاعة الله ، وإدمان ذكرالله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ، أذكروا الله يذكركم واشكروا نِعَمه يزدكم ، وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ، إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح ، والحذر يغركم إغترار العامة بالله وإعراضهم عن عبادة الله ، وأمانهم من مكر الله ، وكفرانهم بنعم الله ، فإنهم في غرور وما أسرع حصادهم وأقرب معادهم ، وقربهم من ميعادهم واحتياجهم إلى زادهم ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلي العظيم . اللهم وفر حظنا من التوفيق ، واهدنا إلى طريق التحقيق ، واملاء قلوبنا من الإيمان والإيقان والتصديق ، ياشفيق يارفيق . اللهم اجعلنا من ضنائنك الذين تحييهم في عافية ، وتميتهم في عافية ، وتعصمهم من مضلات الفتن ، وتحفظهم من آفات الزمن ، وتسلمهم من مصائب الدين والبدن ، ولاتشتت همنا في أودية الدنيا ، وحبب إلينا كلما تحبه يابر ياوصول بحرمة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . ولازموا هذا الدعاء بعد الفرائض .

وقد مر أن كلامه نفع الله به وكلام أمثاله من كلمات الله التي تنفد البحار لوكانت مدادها ، ويستعصي على الأفهام الذكية مرادها . وأما نسجه الأشعار ، وتفننه فيها ونحته لها فيما شاء لماشاء من الأوطار والأطوار ، وجمعها للحكم والمواعظ والأخبار والآثار ، والثناء على ذوي المعالي والمقامات والأخطار ، الجامعين للأسرار وفيضان الأنوار ، وهجاء المخالفين والفساق والعصاة الأشرار ، فقد ملاء بذلك الأسفار ، واشتهر

ذلك عنه إشتهار الشمس في رابعة النهار ، وسارت به الركبان إلى جميع الأقطار ، واستحلاها واستملحها الأئمة الكبار ، وأهل القصور من العبيد والأحرار ، لاسيما بعض قصائد استوعب فيها مليحات محاسن الحكم والتذكير ، بما عَمَّ به المنعم على عباده من فائضات الجود والكرم ، ومايقيدها ويزيدها من شكر المنعم والقيام بطاعته ، ومايؤرث الإستعداد بها للموت وفضاعته ، والبرزخ ووحشته ، وناره وجنته ، ومابعده من البعث والحشر وغير ذلك مما تهز له الأعطاف ، وترق له القلوب البعيدة عن الجفاء والإجفاف ، والعداوة والإجحاف ، ولاسيما القصيدة التي مطلعها : ياساجي الناظر مضت الأعمار في قيلٍ وقال . والقصيدة التي أولها : إذا دخل الآدمي في السن شد . والقصيدة التي مستهلها : الحمد لله راح الشر وافتك العسر . ويقول بومريم . وعليها شرح لأخينا وصاحبنا الشيخ احمد بن محمد باشميل . وكذا : ألا مافي لقاء الناس خير ، ولا فيهم لذي طمع نوال . والقصيدة الفريدة المسماة المختصر في نظم سيرة سيد البشر ، وذكر ماشاع بعده من وقائع الخلفاء واشتهر . وقد أعرضها على الإمام الحبر البحر الحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه باعلوي نفع الله بهما فاستجادها غاية الإستجادة ، وأثنى على مافيها من الجمعية والإفادة . والقصيدة المسماة : عزيز المنال وفتح باب الوصال يمتدح بها جده الشيخ عظيم الحال أستاذ الأكابر الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس وتلميذه العارف بالله الشيخ علي بن عبد الله باراس ، وأشار فيها إلى مدح شرح الراتب له قدس الله أرواحهم . ومن المستجادات الجامعة للتوسل والتوحيد والتوكل ، والحمد والشكر على الفيض والتفضل القصيدة التي

أولها : الحمدلله فزنا بالرضا والقبول . وقد مر أنه قال إن الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار نفع الله به يحب إنشادها وسماعها مع القصيدة التي أولها : أذادخل الآدمي في السن شد . ومنها : ياراقد الليل إنتبه . والقصيدة الجامعه للتوسلات والترسلات المقتبسة من عالم التنزلات وهي : ياذا الجلال والإكرام . ومافي القصيدة من المدح والثناء والعظات لجده الحبيب عمر نفع الله بهما والتي أولها : سلام من الله فيه السلام ، ورضوانه طيب النفحات . وتأمل مافي قوله : عجبت وتأتي في الزمان عجائب ، ومافيها من التنفسات وماتفضل الله به عليه من النعم والخصوصيات . وحكى لي بعض خواص أصحابه ممن حصل له بعض إقتباسات من أحواله أنه أنشد القصيدة التي يقول فيها : من لامعه ذه ولاذه مافلح في الزواج ، في مدينة زبيد مع إجتماع علمائها المتفننين في العلوم فأعجبوا بها ، وانبسطوا غاية الإنبساط لما فيها من التعرض بحال أهل الزمان وكراهتهم للفقر والفقراء ، ومايشير إليه حديث ماقاله الصحابة وهم عنده صلى الله عليه وآله وسلم عند ماطلع عليهم بعض الناس فقال لهم : ماتقولون في هذا ؟ فقالوا : هذا حريٌ إن خطب أن ينكح ، وإن طلع أن يفرح بطلعته . فجاء رجل آخر فقال لهم مابالكم في هذا ؟ فقالوا هذا حريٌ إن خطب أن لاينكح ، وإن طلع أن لايفرح بطلعته . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا خير من ملاء الأرض من مثل ذلك . هذا معنى الحديث . ثم إن الرجل الراوي للحكاية إلتمس منه العلماء الحاضرون حالتئذ أن ينشد ثانية ، قال : فأتيت بقصيدة لسيدي الحبيب علي وعظية ، فبكى جميعهم . ومن الوعظيات التي هُنَّ في قالب خطاب العوام القصيدة التي أولها قوله : يااحمد إسمح

بوادي عمد واتركه لأهله . وقوله : سلام يازين الحلق والنسع . وقوله : ألا ياالله يارازق السلطان والمير . وقوله : ياساجي الناظر العظم الصليب إندخل . وقوله : ألا ياصاح شاوصيك دع قيلا وقالِ . وقوله : ياابن المناصب والرجال الصُبَّرا . وكذا الذي في سند سلسلته ، وأخرى بعدها في التوسل بهم . وقوله : يقول خو علوي . إلى آخرها . وقوله : يقول خو سالم . إلى آخرها . والحاصل أن تتبع هذا الشأن والجريان في هذا الميدان ، من الديوان المسمى (قلائد الحسان وفرائد اللسان) بحر ليس له ساحل ، والإشارة إليه بلاوقوف عليه شغل ليس تحته طائل . ومن أراد العجب العجاب ، يقف على ساحل ذلك العباب ، ليستخرج الدر والمرجان ، والمسك الأذفر والعنبر وسائر أنواع الجواهر والأطياب . وهذه قصيدة وعظية عجيبة المنوال ، بليغة الأقوال ، أحببنا إيرادها في زيادة شرح الحال ، والعمل للموت ومابعده من البرازخ والقبور والبعث والنشور . قال رضي الله عنه :

ياأهل الربط والمشاخص والفوط والقروش
والزنقله والزخارف والزها والنقوش

والجمع والمنع واسراف البناء والخروش
والبخل والشح في أهل المسكنه والطروش

تحربوا للمدارج والحنط والنعوش
وراح ذباح الأرواح الغوالي يهوش

مايلتهي باللفالف والزقر والقشوش

واري جري غير عند الذبح ماهـو بشوش

يبطي يحقق على محله ويبـــطي يكـــوش

وإلا الكِبَر والهَرَجْ والمخــرفه والغشـــــوش

والدانيه فانيه مَــــلاّ زبدها يفـــــــوش

والطيبات الحوالي عــــائدتها الحشـــوش

وتالية صفوها واللهـــو حسره وشــــوش

كم شفت عربان فيها من رزوم العشوش

ماتوا وخلوا الخمايل خاويه على العروش

وعاليات المباني خاليه للوحـــــــــوش

لوجئتها في الدياجي بات جوفك يحـوش

وقلت ياليتنا درويش جــــيز الـدروش

قوله (جيز) بالجيم والياء المثناة من تحت والزاي ، أي بينهم ومعهم ، والطروش المراد بهم المتنقلين من محل إلى محل آخر من الفقراء والسياحين . وفي أول الأبيات تذكرة بالموت وما الإنسان صائر إليه ، وعَرَّض بذكر الأحوال التي تشغل عن ذكره والإستعداد له كما حقق ذلك الإمام الغزالي في مواضع من الإحياء وغيره . ومنه ماذكره في كتاب عجائب القلب مما يغوي به الشيطان الإنسان ويفتنه به ، قال : ومن أبوابه العظيمة ، أي الشيطان أنه لايزال يزين للإنسان حب التزين في الثياب والأثاث والدار ، فإذا رأى ذلك غالباً على قلبه باض وفَرخَ فيه ، فلايزال يدعوه وينقله من شيء إلى شيء ، ويسخره فيه طول عمره في ذلك ، فإذا أوقعه في مثل ذلك إستغنى عن معاودته ، ولم يزل يؤديه من شيء إلى شيء

حتى يساق إليه أجله فيموت وهو في سبيل الشيطان واتباع الهوى . ومن ذلك يخشى عليه سوء الخاتمة بالكفر والعياذ بالله تعالى . إنتهى .

وكذا ذَكَرَ أن الذي يكون متبعا للشهوات واللذات ومنهمكا فيها ، تعود عليه حسرات وندامات وكَيَّات ولدغات ، وكل مازاد رغدها وطاب عيشها كانت عاقبتها أَشد وأقبح ،كما أن في الدنيا تكون عذرتها أعفن وأذيتها أكثر ، كما قال رضي الله عنه في بعض قصائده :

ولاتحزن على مافات	ولاتفرح بماتحوى
فعقبى كلما ذقته	من اللذات والحلوى
تحاسب عنه في الأخرى	وتسأل عنه في البدوى
منين أتاك حين أتاك	وقلبك فيه كيف أنوى

إلى آخرها . وفي آخر الأبيات أشار إلى حال الدراويش ، أي الفقراء المُخِفُّون الذين يحبون لقاء الله ويحب الله لقاهم ، وذلك أنهم زهدوا في الدنيا وتقللوا منها ولم يأخذوا من متاعها القليل إلآ مثل زاد الراكب ، أداموا ذكر الموت وأحبوا لقاء الله تعالى . قال بعض العارفين : إن النفس إذا أحبت الموت أنِسَت بربها ورسخ يقينها في قلبها ، وإذا نفرت نفر المرء عن طلب منازل المتقين ، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاه وعكسه بعكسه ، ومن لم يقذف الله في قلبه نور الإيمان ويشرح صدره تجافى عن دار الغرور وأناب إلى دار الخلود ، واستعد للموت قبل نزوله ؛ فليكرر النظر ويتأمل ماورد في الكتاب والسنة وأقوال السلف فيما يبعث على الإستعداد للموت والفرح بنزوله . وأكثر الناس غافلون عن النقلة ومايوصل إلى النجاة ويبلغ إلى الفوز في الدار الآخرة وسعادة الأبد فيها ،

وذلك لإشتغال القلوب بالعاجل الفاني ، اما للشك في الآخرة وهو كفر ، أوبطول الأمل في الدنيا ونسيان الموت ، أوبالجهل عما في الآخرة من الجزاء ، أما بجزيل الثواب والنعيم المخلد ، أووبيل العقاب المؤبد . نسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين ، وأن يلحقنا بالصالحين . وقد أطلت النقل في هذا المعنى وأسبابه وبواعثه ودواعيه في الوصية المسماة (جالية الأكدار ، وجالبة المسار ، بشروق الأنوار ، في قلوب الإخوان المؤمنين الأخيار) ورسالة اخرى تسمى (لمحة الُلحاظ ومنحة الإيقاظ) وغيرها . ونحو هذه الموعظة المرتبة المستعمل فيها حسن السياسة وجذب القلوب من الخساسة الدنيوية ، إلى الرئاسة الدينية الأخروية الجامعة للزجر والهجر ، وهي التي أنشأها سيدي الحبيب علي بن حسن العطاس في أهل وادي عمد ، ونشر فيها ماهم عليه من العمومية وكثرة الجهل ، والإعراض عن العلم والعمل والإستعداد للموت قبل حلول الأجل ، فقال رضي الله عنه :

ياحمد إسمح بوادي عمد واتركه لأهله ... فر منه ومهلا يافتى لاتحله

وإن بدا لك غرض عارض وقد جئت لأجله ... خذه واخرج من الوادي بحركه وعجله

فإنك إن سرت بطنه واختبرته تمله ... بل يضيق بصدرك فيه كربه وذله

المحله في الوادي مكوده ورذله ... من جميع الحجج ماقط تعجبك خصله

لا لدينه ولادنيا به مستقله ... ما هو ألا معطل ميل في الأمر كله

عَمَّه الجهل حتى صار تحسبه ظله ... والذي فيه من سكان عقده وحله

ليس حد منهم ينشد على الدين واصله ... لا ولا معتني بالعلم سلاك سبله

محتسب يقصد الشارد إلى سنح ظله ... يدكر به ويسبح في غميضات نقله

ما هم ألا كذادهلوا بذا الحال دهله　　　من نجب من شبابه وابصر أعضاه جزله
راح رَبَّى على راسه كما عذق الإثله　　　واكتسى نصف شقه مايقع ثوب سقله
واعتجر فوقها بالغِرو ذي زان غزله　　　واظهر الساق بل يظهر من الفخذ جمله
وإن سرح للخلا عينت مصحفه جبله　　　والقدوم القلم مايعرف إلا يشله
وإن بحثته وذاكرته تعيـــنه صمله　　　وإن فتح با يساول قال بنشدك مسله
ثم خلاك من لقياه في شد وحـــله　　　هذه أوصافهم ياصاح من غير زله
لكن ابلغ وصاتي شل ذا الخط واتله　　　خلهم يسمعونه فالنصيحه مـــدله
خير مايستفيد الخل من قرب خله　　　قل لهم كلهم الوسط علوه وسفله
مالكم في عمى دائم وحيره وغفـــله　　　مالحد منكم تفكير في قرب نقله
يترك اللهو قبل الموت ينزل بنصله　　　فإنه إن حان وقته جاه مسرع لقتله
لا يمادي ولا يمهل إذا قال مهـــله　　　بل ينجزه في لحظه ويسقيه نهله
واختطف روحه الغالي وبادر بحمله　　　من يحبه من أصحابه ومن في المحله
واسرعوا في بحيث القبر دخله بدخله　　　ثم جفوه والقوا له من الطين كهله
وانثنوا يقسمون المال ذي كان جمله　　　شطفروا به وكل ساروا اقفى بحتله
مايقولون بانوهبه شيء يستـحلــه　　　غير من قد عرف قسمه سرح يستغله
والشقي مكتبل في القبر يزفر بسله　　　يسمع الزجر من منكر وهو زجر يبله
حين يقبل يروع المـرء زيه وشكله　　　من نظر في صورهم غاب مكنون عقله
وإن تكلم خلع جوفه يبا يستزله　　　بالكلام الذي يترك في القلب شعله
لكن الله يوفقنا بلطفه وفضـــــله　　　بركة المصطفى وآله ومن سار سبله

فقد علمت مافي هذه القصيدة الأولى من التنبيه للأغنياء المترفين ، والأغبياء الغافلين ، باشتغالهم بالدنيا والترفه فيها واتباع شهواتها

والتنافس في زينتها ، ومايلهي من ذلك عن الدار الآخرة والعمل لها ، والإستعداد بالزاد لها الذي هو التقوى . وفي الثانية الزجر والتنفير عن الخصلة التي هي أقبح وأذم الخصال الذميمة ، المؤقعة في كل إثم ورذيلة وهي الجهل . ولايخفى ماورد فيه وفي ذمه وتقبيحه من الآيات والأخبار والآثار ، وقد قيل : لو إجتمع أعداء الجاهل ان يضروه بما يضر به نفسه لاسيما في دينه وآخرته لم يقدروا على ذلك . وقد مرت الإشارة إلى مراد سيدي الحبيب علي بالحث على هجرهم وقِلاهم مجرد الزجر والتنبيه لهم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الواجبين على أمثاله . ويحتمل أن مراده رضي الله عنه الهجر الحقيقي عند مارأى منهم الإعراض وعدم القبول كما مر عن الشيخ عبد الله بن علوي الحداد في مكاتبته للعارف بالله تعالى الحبيب عيسى بن محمد الحبشي نفعنا الله بهم ؛ وحاصل ماكتب إليه أنه إذا رجى إنتفاعهم بالوعظ والتعليم وقبولهم لذلك صبر عليهم لذلك ويتلطف بهم ، مع الإحتراز من الوقوع في محرم ، كالغيبة أوضياع الوقت ، فإن أيس من قبولهم وعدم إنتفاعهم تركهم وماهم عليه .

ثم إن سيدي الحبيب علي نفعنا الله به المتيقن من عمله وحاله أنه لم يرد بقوله : ياأحمد إسمح بوادي عمد واتركه لأهله . إلا مجرد الزجر لا الهجر والقِلا لهم ، لأن المعروف عنه أنه لم يزال مترددا إلى وادي عمد داعياً أهله لعبادة الله وتوحيده إلى أن توفى ، تابعا في ذلك أثر جده الحبيب عمر ، فإنه كان أعني سيدنا الحبيب عمر بن الرحمن العطاس يرحل إلى بلدان وادي عمد لهذا الغرض بنفسه تارة ، وتارةً يرسل إليه الشيخ علي بن عبد الله باراس قبل أن يأمره بالمسير إلى دوعن لغرض

الدعوة إلى الله تعالى أيضاً ، وكذلك من نوابه في ذلك الوادي الحبيب عيسى بن محمد الحبشي وولده الحبيب الحسين وأولاده ، واستمرت الدعوة في خلفائهم إلى الآن ، فإن من خلفائهم القاطنين به والمترددين إليه من أولاد سيدنا الشيخ الحبيب عمر وولده الشيخ الحسين قدس الله أرواحهم ونفعنا بهم . وقد أثرت الدعوة في هذه الأوقات ولانت القلوب وأصغت إلى المواعظ وقبولها مع مايعضد ذلك تيسر الحلال وعدم المعاملات الفاسدة أوقلتها ، ووجود الإقتصاد في المأكل والملبس والفراش والأثاث ، وغير ذلك من التعلقات التي تؤرث الديون والحزون والمجون ، وتسلط الأشرار وكثرة الغبون . فكل ذلك واقع في وادي عمد عكس ماكان عليه أهله في سالف الزمن ، وبهذا الإعتبار الذي عرضنا به في وادي عمد المذكور وردت أبيات توافق أبيات سيدي الحبيب علي من وجه ، وتعارضها من آخر ، وتبين أنه رضي الله عنه مراده بماسلكه في أبياته الزجر لا الهجر كما قدمنا ذلك تكريراً وتقريراً ، ولكل درجات مماعملوا ، وقد علم كل أناسٍ مشربهم ، ولم نثبت الأبيات المشار إليها هنا خشية الطول الممل . واعلم أن سيدي الحبيب علي وأمثاله من أهل الله لاتقع منهم هذه الرحمات والتعطفات والملاحظات والعنايات بعباد الله تعالى إلا بعد أن تصفوا نفوسهم عن الكدورات البشرية وتستغرق بكليتها بأوامرالله تعالى والفكر والذكر والإستغراق فيه .

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه في الأربعين الأصل : ولكن هذا الإستغراق أولا كبرق خاطف قَلَّ مايثبت ويدوم ، فإن دام ذلك صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة ، فإذا صار كذلك عرج به إلى العالم الأعلى فطالع

الوجود الحقيقي الأصفا ، وانطبع له فيه نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت ، وأول ماتتمثل له جواهر الملائكة وأرواح الأنبياء والأولياء في صور جميلة تفيض إليه بواسطة بعض الحقائق ، وذلك في البداية إلى أن يعلو درجة عن المثال فيكافح بصريح الحق من كل شيء ، وذلك حقيقة الهدى ، فإذا رُد إلى هذا العالم الحادث الذي هو كالظلال نظر إلى الخلق نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حضرة القدس ، وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم الخيال ، فيكون معهم حاضراً بشخصه غائباً بقلبه ، يتعجب هو من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته . إنتهى كلام الغزالي رضي الله عنه . وهو بعض ماذكره من نتائج الذكر الموصل إلى هذا الحال المسمى بمقام الفنا . ثم إذا أراد الله بهم النفع العام لعباد الله أرجعهم وردهم من الفنا إلى البقا ، وهو مقام الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، فإنهم حينئذ يكونون وراثهم في الدعوة إلى الله تعالى وإلى توحيده وإرشاد عبيده ، ويرحمونهم بما فيهم ومعهم من التقصير والقصور والنقص عن مابلغوه من الدرجات العُلى من معرفة الله تعالى واللذة بذكره وطاعته ، وبهذه الرحمة والتخلق بأسماء الله تعالى الجمالية يبالغون في نصيحتهم ، ويحبون أن يبلغوا مابلغوه من الدرجة فيحثونهم على الطاعة ويزجرونهم عن المعاصي ، ويزهدونهم في الدنيا ويرغبونهم في الآخرة ، ويحذرونهم عن مكائد الشيطان وتلبيسه وتزويره ومحبته للخلق الضلال والفتنة وذلك لكمال إيمانهم أيضا ، فإنهم يعملون بما في قوله صلى الله عليه وآله وسلم (لايؤمن أحدكم) أي الإيمان الكامل (حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه) فتأمل مافي ديوان هذا الإمام المدعو بالإنسان الكامل وكتبه

وكتب سلفه وماكان عليه جده الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس ، والشيخ عبد الله بن علوي الحداد وغيرهم من أولياء الله الراسخين في العلم الثابتة أقدامهم في الولاية نفعنا الله بهم ، وطالع في كتبهم بإنصاف تجد ذلك أمراً واضحا من سني أحوالهم وعليِّ أقوالهم فيما نالوه وأوضحوه ودعوا إليه العباد ، وهذه عبارة شاهدة لما أشرنا إليه مما بينوه وأثبتوه ودعوا إليه من كتاب الفصول العلمية لمجدد الدين ، ورسوم الأئمة الصوفية في وقته الشيخ عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به ، فإنه قال : أكرم الناس وأرفعهم وأعزهم وأفضلهم في الدنيا والآخرة أهل العلم والمعرفة بالله ، وأهل الطاعة والتقوى لله تعالى ، وذلك ظاهرا لاخفاء به ولانزاع فيه لوضوحه ومعرفة الخاص والعام به ، ولكن لما كانت ملازمة الطاعة لله والتقوى له سبحانه شاقة على النفس ومخالفة لهواها ومشوشة عليها شهواتها التي فيها حظها وقضا أوطارها الفانية ، أعرض أكثر الناس عن ملازمة الطاعة والتقوى ، وإن كانوا يعرفون ويعلمون مافي الطاعة والتقوى من العز والكرامة والشرف والرفعة في الدنيا والآخرة ، ومالوا إلى الشهوات واللذات بل وإلى المحرمات والمخالفات لما فيها من ملائمة النفس وحصول شهوتها ، وإن كانوا يعرفون ويعلمون مافيها من الذل والمهانة والضِعَةِ إيثاراً لموافقة الطبع في نيل الحظ العاجل الخسيس .

ثم ذكر نفع الله به بعد ذلك ماحاصله قال : إعلم أنه لو لم يكن لأهل دين الله والمعرفة بالله المشتغلين بطاعة الله إلا العز والشرف والكرامة في الدنيا لكفاهم ذلك فخراً ، فكيف لا ولهم في الآخرة من الكرامة والسرور والنعيم الدائم الباقي مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على

قلب بشر ، وأما الذين قصر نظرهم على العاجلة الفانية واشتغلوا بها عن الآجلة الباقية فأمرهم مخطر وحالهم مشكل ، فلو لم يكن للمشتغلين الغافلين بالدنيا عن الله تعالى وعن الدار الآخرة إلا مايلقونه من الذل والمهانة والتعب والنصب لكفاهم ذلك خزياً وهوناً ، فكيف لا ولهم في الآخرة من الخزي الوبيل والعقاب الأليم الدائم ، نعوذ بالله من سوء القضا ودرك الشقا .

وكلام سيدي الحبيب علي بن حسن نفع الله به ورضي عنه نظماً ونثراً دائر على هذه المعاني متضمن لدعوة العباد إلى الله تعالى ، لكنه رضي الله عنه بسط المعنى ووسع المجال وكثر المبنى ، وفصل الإجمال وطريقة العدل والإنصاف ، التي هي وسط بين التفريط والإجحاف ، ماذكره الحكيم في قوله :

وما الناس إلا واحد من ثلاثة ... شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف حقه ... وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي مثلي فإن زلَّ أوهفا ... تفضلت إن الفضل بالحر حاكم

وأما الذي دوني فإن قال صنت من ... مقالته عِرضي وإن لام لائم

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب ... وإن كثرت منه عليّ الجرائم

(قلت) وقد نال هذا المقام العال ، وتحقق به من بين النظراء والأمثال ، حفيد صاحب المناقب ووارثه في المنازل والمراتب ، المذكور في مواضع من هذا المؤلف وهو الحبيب هادون بن هود ابن الحبيب علي نفع الله بهم فإنه يعامل الثلاثة المذكورين في الأبيات بحسب أحوالهم ، وكان جده الحبيب علي له في هذا المقام تأسيس وإمام ، لايتأتى لِمُدَّعي غيره

ولايرام ، وأما صونه العرض عن من هو دونه فقد كان له حِليةً وزينة ، وإذا أردت تحقيق ذلك عنه وتدوينه ، فانظر إلى ماذكره في كتابه السفينة ، في أخبار البلدين ، حريضة والهجرين ، وماورد عنه وحكاه في السفينة أيضا وغيرها من مدح البلدين ، واجتماع مافيها من الفريقين ، فذلك يحقق وراثته لجده المختار صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنه ورد في أهل المدينة فضل ، بل لايحصى ولايكاد يحصر ويستقصى . وقد ورد بذلك القرآن قال تعالى { **والَّذِينَ تَبَوءوا الدَّارَ وَالايْمَانَ مِنْ قَبْلِهِم يُحبونَ مَنْ هَاجَرَ إلِيهِم وَلايَجِدُونَ فِي صُدُورِهِم حَاجَةً مِمآ أوتُوا وَيُؤثِرُونَ عَلَى أنفُسِهِم وَلَوْ كانَ بِهِم خَصَاصَةٌ** }[1] الآية . مع أنها إحتوت على المؤمنين والمنافقين ، وورد فيه أيضا ذم كثير ورد في المنافقين كما يدل ذلك كلام سيدي الحبيب علي نفع الله به في الحاسدين والمستكثرين ، قال تعالى { **ومِمن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم** }[2] الآية . فافهم القياس ، وكِلْ أمور الناس إلى من خلقهم وركب الأخلاق والطبائع فيهم من الأساس إلى الراس ، كما شرح هذا المعنى في القصيدة المارة قريبا ، فكن أيها الأخ من خير الفريقين تظفر بشهادة الدارين . وقد قدمنا في المقدمة أن من أحب قوما كان معهم .

ومن كلامه لما نفر أولئك النفر الموسومين بالهجر والرين ، الحاملين من معاداته أشد الأمر وأثقل الدين فقال : لما آذوه وأضاعوه ، وأرخصوا مايحبونه من نفيس ثمره اليانع وباعوه ، وكان قد قال في نفسه : لو من الله

[1] الآية : ٩ الحشر

[2] الآية : ١٠١ التوبة

عليَّ بما مَنَّ به على سلفي من الأذى وإطلاق الألسنة الحداد بالفحش والبذاء ! فلما كان صبح تلك الليلة التي ورد عليه ذلك الخاطر أصبحت شعائره ، أي الأذى على جماعة لائحة ، ومشاعره وشعاره لديهم واضحة ، وألسنتهم بتعاطي منكر القول وزوره بائحة صائحة ، وأهويتهم نسيان الجميل وكتمان الفضل غادية ورائحة ، وأحقادهم وأحسادهم وأكبادهم وأعنادهم وأضدادهم بأن تصبكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ناطحة ، وصدق عليهم معنى قولي في بعض القصائد مخاطباً بها الولد الفقيه الصوفي ، الصفوة النبيه العفيف اللطيف ، عبد الله بن عفيف بن الفقيه عمر بن الشيخ عبد الله بن عفيف الهجراني ، التي مطلعها :

قل للنجيب المستجيب الشادي	عبد الإله الصادق الميعادي

إلى أن قلت :

واعلم بأني قد خصصت بمحنة	فيها الثواب ونيل كل مرادي
كثرت خصال الدين عندي فاقتضت	لي في زماني كثرة الحسادي
فغدا عدوي كل شأني خصلةٍ	منها فلم أحصيهمُ بعدادِ
هذا وقد سبقت بهذا سنة	لله في الأسلاف والأجدادِ
قالوا بذا سر النبوة هكذا	فإذن فكم ذا في الأنام أعادي
قد عاصروا ماناصروا فتقاصروا	قصداً على الهجران والإبعادِ
فخرجت من بلدي فراراً منهمُ	فوجدتهم خُلِقوا بكل بلادي

إلى آخرها وهي مثبوتة في الديوان ، مبتوتة بها أعناق ذوي البهتان . وقال رضي الله عنه في الذين تظاهروا بالعداوة : أنهم من النفر نحو الخمسة عشر ، ظهر منهم من نفر واستقر ونكر ، وفَكَّرَ فقدر ، فقتل

كيف قدر ، ثم نظر ثم عبس وبسر ، ثم أدبرواستكبر ، ودخلهم مايدخل شرار البشر ، من مجازات الخير بالشر ، كما إنتشر من أسلافهم بأسلافنا ماانتشر . إلى آخر ماذكر .

وقال رضي الله عنه في إمرأة خانت ومانت ، وكانت لإمرأتَي نوح ولوط وارثة فيما عاملته به ودانت . قال رضي الله عنه وأسهب في ذلك في فصل مستقل خلاف ماحكاه في متفرقات كلامه من النظم والنثر قال في فهرسته : فصل فيه تعزية وتسلية وتولية وتقوية لمن إبتلى بعقوق أصحابه ، وبجدان الحقوق من أضداده وحساده ، ونسيان الجميل وإظهار القبيح من جيرانه وأهل بلاده ، اللهم يا من أظهر الجميل وستر القبيح ، نعوذبك ممن ستر الجميل وأظهر القبيح .

ومن كلامه رضي الله عنه عند ماذكر إشارة جده الحبيب عمر بن عبد الرحمن نفع الله بهما في قالب الكرامة عند ذكر البوري الذي هو من آلات شارب التنباك ، قال رضي الله عنه : والبوري عند أهل اللغة من أسماء الذئب ، فلاشك أنه أستعير لبوري التنباك لأنه من الذئاب المهلكة لجسد شاربه ، ويضعف سمعه وبصره وقوة بائه ، وجميع حواسه الباطنة والظاهرة ، بحيث انه لو إحتاج إلى الخبب مدا قهوة وخب تَلِف ، وهذا ظاهر مشاهد صحيح مجرب وذلك معاين ، فترى غالب المدمنين عليه قد ضعفت أجسادهم ، وقد آل ببعضهم إلى العمى والموت بأدنى مرض أوحُمى ، والعجب كل العجب ممن يتقرب إليه إبتداءً ويتعلمه مع أنها لا تلجيه إليه ضرورة جوع ولاظماء ، أما من أدمن عليه ورمى بذلك المرمى فقد تعسر تركه عليه وطما ، أعاذنا الله منه وصاننا وذوينا عنه وحما . آمين . ثم قال رضي الله عنه : وقد تكاثر الإختلاف في أمر التنباك وقال قوم بتحريمه وهم من جملة الأئمة وعلماء الأمة من أهل العلم الظاهر والباطن وأهل الحقيقة والطريقة ، لايحصى أعدادهم ولاتهزم أجنادهم ، ولايكذب إشهادهم ، ولايخفى نصحهم للمسلمين ووددادهم ، وصحة أقوالهم بتحريمه ظاهرة لضرورة مزيزه المتظاهرة ، فلايشك فيها ذو بصيرة باصرة ، من أهل الدنيا والآخرة . والحاصل أن مَزازته كثير ، ولكن ليس منهم من هو عالم نحرير ولاولي شهير ، لا من السادة أهل البيت النبوي من بني علوي ، ولامن المشايخ الظاهرين أهل المقام العلوي . وأنت تسمع بشيوخنا الظاهرين من المتقدمين والمتأخرين .

(قلت) ذكر بعد هذا جماعة من سادتنا آل أبي علوي وغيرهم ، أولهم سيدنا الفقيه المقدم وآخرهم الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي ، وذلك على المبالغة والتنفير عن هذا الشراب الوبيل المبير ، وإلا فهو لم يحدث وينتشر إلا بعد القرن العاشر ولعله قريب من زمن الشيخ الحسين بن القطب الشيخ أبي بكر بن سالم ، وقد نقل عنه أنه كان يبالغ في ذم شاربه ويقول أن من لم يتب منه قبل موته بأربعين يوماً خِيفَ عليه سوء الخاتمة والعياذ بالله . ولما بلغ الإمام الشيخ محمد بن علان البكري تشنيع الشيخ الحسين بن أبي بكر على شاربه صَنف في تحريمه رسالتين كما ذكر ذلك في المشرع الروي . ودليل أنه لم يحدث إلا قريب ذلك الزمن ماذكره الشيخ احمد بن عبد الكريم الشجار عن الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في كتابه (تثبيت الفؤاد من كلام القطب الحداد) فإنه نقل عن الحبيب عبد الله الجزم بتحريمه وتشديد النكير على شاربه وقال : إن تاريخ سنة ظهوره (بغي) يعني سنة إثني عشر بعد الألف ، فتأمل ذلك تعلم أن سيدي الحبيب علي نفع الله به إنما ذكرالفقيه المقدم والسقاف والعيدروس نفعنا الله بهم زيادة في التنفير عنه والذم له ، ثم بعد ذكره لأولئك الجحاجح ومايثقل به ميزانهم الراجح ، فهل قيل أنهم مَزوه أم قَزوه وأهانوه ، أم أعزوه ؟ فاعرف واعترف وانصف ولاتقترف ، فلا أقل من الإعتراف والإتصاف بقبيح الأوصاف وهَلك بلاخلاف ، وأنت يامن نزهه الله عنه ففر منه ولاتقربنه ، فإنه من أكبر المصائب ، وهو الداء الذي يشمت بك الأعداء ويغم الحبايب والأوداء ، فإن كنت تمزه فلا أعلم بعدوك معينا أضر منه عليك في هلاك جسمك ، ومن كذب جَرب (كح

كح) أيش الفائدة في نزل هذه المائدة { **فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم** }[1] { **إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم * كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم** }[1] . ثم قال في ترجمة جده الشيخ الحسين بن عمر قدس الله أرواحهم ونفعنا بهم :

(فائدة) إعلم إن جماعة من العلماء المتأخرين قطعوا بتحريم التنباك ، وإن لم يتحقق ضرورته أما إذا تحققت فبالأحرى ، فليعلم ذلك وليجتنبه وليبعد عنه من لم يطعمه ولم يبتلي بمحبته ، فإنه قليل المنفعة كثير الضرورة ، وغير لائق بأهل الطاعة ولا بأهل المروءة ، وغالب الذين يشربونه ويتعاطونه هم من لايؤبه لهم ولايقتدى بهم ، ومارأينا أحد ممن يقتدى به من أولياء الله من أهل العلم والعبادة يتعاطاه ، لامن سادتنا آل أبي علوي ولا من غيرهم من اهل الدين والعلم والفضل والنبل والمناصب المنظورة والزوايا المزورة ، وكلامنا هذا للمبعد عنه لئلا يقرب منه ، أما من إمتزج به مزاجه فيعسر عليه علاجه ، ويصعب من شبكته إستخراجه ، وقد تجلى له فيه رواجه ، واستحكم بين جنبيه مرتاجه . والله الهادي إلى سبيل الرشاد .

(قلت) والذي يظهر لي إن التنباك هو المشار إليه بقوله تعالى { **إنَّ شَجَرت الزَّقوم * طَعَامُ الأثيم *كالمُهْلِ يَغْلي في البُطونِ * كَغلي الحميم** }[2] . وهذا ظاهر في بطون الذين يشربون التنباك . وقد قال الغزالي في كتابه

---

[1] الآيات : ١٠- ١١ الدخان

[1] الايات : ٤٣ – ٤٦ الدخان

[2] الايات : ٤٣ – ٤٦ الدخان

التفسير المقنع الكبير : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (ياأباهريرة يأتي أقوام آخر الزمان يتوادون بالدخان ويقولون إنهم من أمتي وليس من أمتي) وفي بعض الأخبار : إنهم من الشمال وهي شجرة خلقت مرة من بول إبليس عليه لعنة الله حين قال الله له { **إنَّ عبادي لَيْسَ لَكَ عليهم سُلطان** }[1] الآية . وهم الذين لايشربون الدخان . قال : فلما قال الله لإبليس عليك اللعنة إلى يوم الدين . حار ودهش من أمر ربه عز وجل ، فصار سكراناً لم يدر مايقول ، فعند ذلك بال فخلقت تلك الشجرة من بوله ، فكيف من شرب من بول الشيطان هل يتيسر له الإيمان . إنتهى كلام المفسرين في معنى ذلك . وقال بعض العلماء أن شرب شجرة التنباك أشد من شرب الخمر فإن الخمرحلل في أول الإسلام إلى سبع مرات إلآ هذه فإنها لم تحل في الإسلام . إنتهى .

وقد أشبعت الكلام والنقل في شرح خطبة سيدي الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر باعلوي نفع الله به ، وفي كتابي فيض الأسرار المار ذكره في ترجمة الشيخ الحسين بن الشيخ أبي بكر نفع الله بهما في ذمه ومدحه القهوة ، ومنه رأيت ماصورته سؤال في التتن سئل عنها الشهاب القليوبي وهو هذا :

ماذا يقول الإمام العالم العلم ... في شرب قوم دخان هل هموا أثموا

به وهل هو حرام أم يباح لهم ... ما الحكم فيه أفيدونا فترحموا

الجواب :

[1] الآية : ٤٢ الحجر

بالحمـــد أبدا وبالتسليم أستلم ... إرضا لطالبـــــه الإفضال والنعم
إسمع جوابك يا من جاء يسألنا ... عن شرب نار غدا في النار يقتحم
فيحرم الشرب للدخان أجمعه ... أيضا وفيه خصال كلـــــها نقم
فيشغل القلب عن تسبيح خالقنا ... يسوِّد الدمع والأموال تنصـــــرم
ياويح شاربه يـوم الحساب إذا ... جاءت صحائفه مسودة عـــــدم
ما قال هذا حلال عالم أبـــداً ... قط من الإنس لاعــــرب ولاعجم
من قال هذا حلال جاهل أبداً ... أوقال هذا مـــــباح لم يصب حكم
من ردَّ قولي هذا ضل عن طرق ... أيضا عن الحـــــق في آذانه صمم
فنسأل الله رب العرش خالقنا ... بالخير يبدي وبالإيمان يختـــــتم

وهنا أيضا قصيدة فريدة للشيخ الذائق عبد الصمد باكثير رحمه الله تعالى في مدح القهوة وذم التنباك يقول في أثنائها :

عليك بقهوة البن إلزمنها ... فما أشفى وما أهنا وأبرك

إلى أن قال :

فقهوته إذا دارت رأيـــنا ... لأفواج السرور هناك معرك
فما عبرت بذي عقل ولب ... وشم ريحها إلا تحـــــرك
نفوس الأولياء طابت عليها ... فما عن شربه زيغ ومـــترك
إليها الشاذلي بالسر أومى ... فسـر في أثـــره لله درك

(قلت) وقد سمعت عن سيدي العارف بالله تعالى الحبيب جعفر بن محمد العطاس يقول : إن نار القهوة لاتخمد في مجلس سيدي الوالد الحبيب علي نفع الله بهما ، وذلك مما يؤكد ما أثنى به الصالحون على قهوة البن ، ثم قال : أعني باكثير في القصيدة المذكورة :

ولاتجنح إلى التنـــباك إني　　نصحتك إن فيه أشياء تضرك

هــو العارالذي يدني ويردي　　هو الداء الدفــين فلا يغرك

دخـــان منتن داءٌ عضالٌ　　فلا تتبع إليه فـــتىً يجــرك

شراب مهــلك لاتشتريه　　وضم إليك نقـدك في مَصَرك

وإن ناداك للتنـــباك داع　　فقل عني إليـك كفيت شرك

فعـــار أن يمر دخان هـذا　　بلحية عاقـل فعليك حذرك

وقد اخطا الذي يسعى إليه　　يمص لسانه في كـــل مبرك

أيتبع بدعة صارت إليـــنا　　دسيسة كافـــر بالله أشـرك

شراب من حمـــيم ليس فيه　　سوى مرض القلوب فلا يغرك

فأولـــــه سعال واصفرار　　*إلى سل يعــود فهات عـذرك*

لأية علة وَصَفُـــــوهُ حتى　　شددت إليه يامغرور ظهرك

تظـــــل عليه منحنياً مُكِبّاً　　أضعت سبهللا ظُهرك وعصرك

لئن قالــــوا وجدنا فيه نفعاً　　*لقـد قـــالوا محالا ليس يدرك*

إذا قعدوا على التنباك فانهض　　*لقهوتك الكميت يزول عسرك*

إلى آخر القصيدة .

ومن كلام سيدي الأستاذ الحبيب علي لما ورد حديث (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) قال : وبالجملة أولياء الله هم أهل لآ إله

إلا الله محمد رسول الله والمؤمنون بالله ، قال الله تعالى { **ألا إنَّ أولياء اللهِ لاخَوْفٌ عليهم ولاهُم يَحْزَنُون**} ثم بَيَّنهم فقال { **الذين آمنوا وكانوا يتقون** }[١] وقال { **اللهُ ولي الذينَ آمنوا يُخرجهم من الظُلماتِ إلى النور** }[٢] وقال { **ذلك بأنَّ اللهَ مولى الذين آمنوا وأنَّ الكافرين لامولى لهم** }[٣] . والحذر ثم الحذر من معاداة أحد من المسلمين فإن سر الله فيهم كمين ، فكم فيهم من الآمنين ، وقد قال رب العالمين لرسوله الأمين حين أراد دخول مكة بالمجاهدين ، ورده عنها بسبب من فيها من المؤمنين خافيين حتى كانوا هم السبب في سلامة الكافرين { **ولولا رِجَالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات لم تعلموهم أن تَطَئوُهم فتصيبكم منهم مَعَرة بغير عِلْم لِيُدخِلَ اللهُ في رحمته مَنْ يَشاءُ لو تَزَيلوُا لعذبنا الذين كَفَرُوا منهم عذاباً أَلِيما** }[٤] فانظر أيها العالم التقين والحالم من أهل اليقين ، كيف صان الكافرين عن قتال رسوله الأمين بسبب مجاورتهم لأوليائه المؤمنين الخافين المهضومين فيهم المظلومين ، فماظنك بالمجاورين للأولياء المكرمين ، ألاترى أنهم قالوا { **ربنا أخرجنا من هذه القريةِ الظالِمِ أهلُها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لَدُنكَ نصيرا** }[٥] . قوله : أيها العالم التقين ، فعيل بمعنى الفاعل أي المتقن لمعاني العلوم ، والمطلع على حقائقها وأغوارها .

---

[١] الآيات : ٦٢ – ٦٣ يونس

[٢] الآية : ٢٥٧ البقرة

[٣] الآية : ٢١ محمد

[٤] الآية : ٢٥ الفتح

[٥] الآية : ٧٥ النساء

وقال رضي الله عنه : ولاة الأمر إذا عدموا الهداية والتوفيق والعناية ممن بيده تصاريف الأمور فإنه يتولاهم الشيطان ، ويغرهم الغنى بالطغيان { **إن الإنسان ليطغى * أن رآه استغنى** } [1] فيحيق بهم الخذلان . قال أبوبكر الصديق رضي الله عنه : إذا تولى الأمر السلطان حقرالله في عينه مابيده من المال الكثير ورَغَّبَهُ فيما أيدي الناس من كل قليل وكثير ، فتراه يحسدهم ويستكثر لهم ما بأيديهم من فتيل ونقير وقطمير ، فإذا كان كذلك حاسبه الله وأقَلَّ عفوه . وقال بعضهم : إذا أخذ السلطان أموال الرعايا ليقيم بها ملكه فإنما مثله مثل من يهدم الساس ليبني به فوق الراس ، فلاشك أن ذلك البناء سوف يهتاس . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم (إذا تَجَرَا الوالي هلكت الرعية) .

وقال سيدي الحبيب علي بعد نقله حكاية عن جده الشيخ الحبيب عمر نفع الله بهما أنه أقدم على أخذ شيء لم يكن له أخذه في الظاهر ثم تبين بعد ذلك أنه يستحقه ، ثم بعدها أتى بحكايات ونظائر لتلك الواقعة . وقال بعده : فينبغي لنا التسليم للأولياء فيما أشكل كما قال سيدنا عبد الله الحداد :

وسلم لأهل الله في كل مشكل لديك لديهم واضح بالأدلة

وأما مايقوله بعض أهل العصر إذا علموا أن معاصرهم عمل عملا صالحا ، أونشرت له فضيلة وخافوا شهرته بها قالوا ماينبغي إلا التسليم لفلان ، فهذا التسليم هو لعدم التسليم . قال : ومثل قوة الإعتقاد في

[1] الآيات : ٦ – العلق

الأولياء الصالحين لاسيما أهل البيت الطيبين الطاهرين من ذرية سيد المرسلين ، كمثل قوة الضمير الذي يطلع الماء إلى الأرض من الوادي العظيم ، ومثل ضعف الضمير كماقال الشيخ محمد بن عبد الدائم الشهير بابن بنت الميلق الشاذلي رحمه الله تعالى :

وأنزل الشيخ في أعلى منازله واجعله قِبلة تعظيم وتنزيه

إلى آخره . وقال سيدي الحبيب علي فيما حكاه عن جده الشيخ الحبيب عمر بن عبد الرحمن قدس الله أرواحهم : أنه أتاه رجل بطعام فقال للشيخ علي بن عبد الله باراس لاتأكل منه فإنه حرام أتي به من مال الغير ، وآتاه آخر بشيء رأى عليه الشيخ علي ظلمة فقال له الحبيب عمر كل منه فإنه أتي به من مالنا ، قال : وإنما رأى عليه الشيخ علي ظلمة العدوان ، وإلا فهو حلال كما أخبره الحبيب عمر بذلك . وكل ذلك من الحبيب عمر نفع الله به على وجه الكشف .

وقال رضي الله عنه في قول الناس إذا جاء السيل (ياحولاه) وكذا إذا رأو صالحاً ومرادهم السيل أو إصلاح حال فيقولون (ياحولاه) له معنيان ، الأول : أنه تحول وقت العسر إلى اليسر ، والثاني : أنه تعجب من حول الله وقوته الذي أجرى الماء العذب على الأرض اليابسة وجاء بالخير بعد الشر ، فمعناه : ياطم حول وقوة لهذا الرب الغني القوي القادر العزيز ، الذي ينشر رحمته من بعد ماقنطوا ، وينزل الغيث بعد السنين . والله أعلم .

وقال رضي الله عنه : ينبغي للإنسان أن يراعي مايقيمه فيه الملك الجليل ، فإن كان ممن أقيم بين الخلق وكلف بالمقام بشأنهم الثقيل ،

فليراعيهم في كل كثير وقليل ، وإن كان له بالله شغل فليشتغل به تعالى ، أي بحسب الإقامة منه تعالى .

وقال رضي الله عنه : إن آل باعلوي رضي الله عنهم كلما دخل أحد منهم في السن زاد زهده في الدنيا ورغبته في الآخرة ، يعني أن هذه خصوصية فيهم كما خصهم الله بخصوصيات ومزايا ليست لغيرهم ، أي بخلاف غيرهم فإنه كلما دخل الإنسان في السن زاد حرصه على الدنيا كماقال في قصيدته الفريدة :

إذا دخل الآدمي في السن شد واحرص على دار الغرور واحشد

وشد في غارب قـلوصه الشد إلآ من الله إصـطفاه وارشد

أقبل على دار البقا تنشد

والحاصل أن ماأوتيه هذا الولي المكين ، والجوهر الثمين ، من العلوم والمعارف والتمكين ، والحال العظيم والنفع العميم ، أمر لايكيف ، ومقام لايكاد يحاط بكنهه ولايوصف ، إلا بعض رسوم وآثار ، وبروز بعض أسرار وإشراق أنوار ، إذ أولياء الله من كلمات الله تعالى التي تنفد البحار ولوكانت مداد قبل نفادها ، وذلك سر الهداية التي هي من ثمرات مخالفة النفوس وجهادها ، فهذا الغوث والغياث والغيث لأهل هذا الزمان القريب ، لاسيما لأهل هذا الوطن من هينن إلى دوعن ، أحد الخواص هم للحق مخلصون ، وحزب مفلحون ، معادن أنواره ، وهم الذين نعتهم بمدينة العلم ، ورسمهم من درر حكمه بذلك الحكم ، فقال رضي الله عنه في بعض مقالاته وهي حكمة جارية من زاخر صلاته ومتصلاته فقال فيمن شأنه العلم بالله والمعرفة به ، والعبادة له والخوف منه ، والإخلاص في عبوديته

وتوحيده : بهم يحفظ الله حجته ، هجم بهم العلم على حقيقة الأمر ، فباشروا روح اليقين فاستلانوا ماستوعر منه المترفون ، وأنسوا مما استوحش منه الغافلون ، صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى ، أولئك أولياء الله من خلقه ، وعماله في أرضه ، والدعاة إلى دينه . ثم قال : واشوقاه إلى رؤيتهم ، فهذا الإمام وآباؤه من الهداة الهادين المهتدين ، السالكين طريق الحق واليقين ، الداعين إليه بأقوالهم وأفعالهم وسائر أحوالهم ممن إشتاق إلى رؤيتهم ، بل هم أخص المرادين لذلك ، المتصفين به ، لأنهم سلكوا طريقةً صعبة المرقى ، علما وعملا وذوقا وتحققا ، عذبة الينبوع ؛ جارية من تيار بحر الشارع والمشروع ، فلامطمع في إستقصاء مقاماته وأحواله ، ولا الإحاطة بما أعطيه من الحكم والرقائق والمواعظ والحقائق في منثور ومنظوم أقواله ، ولا أملا ماشتهر من حميد مساعيه وأفعاله ، إذ هو كما قدمنا أنه من كلمات الله ، فهو من الذين هدى الله ، وأمر المهتدين بالإقتداء بهم في سبيله وهداه ، اللهم اجعلنا من المقتدين لهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهديهم ، الكارعين من شراب خالص شهدهم ، الممتلين من حبهم ، الداخلين في حزبهم .

قال مؤلفه الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن احمد بن عبد الله بن عبد الرحمن باسودان عفا الله عنه وغفر له ولوالديه وأولاده ومشايخه ومعلميه وإخوانه وذويه ، وقد إنتهى بنا الحال إلى هنا بنقلٍ يسير ، ونزرٍ حقير، من أخبار سيدنا ومولانا القطب الشهير ، العارف بالله الخبير ، الشيخ الكبير ، الحبيب علي بن حسن العطاس باعلوي ، نفعنا الله به

وبسـلفه ، مـن آثاره وعلومـه . وأمـا حقائقـه ورقائقـه ولطائفـه ومعارفـه فلاسـبيل إلى كشـفها وإيضـاحها ، إذ هي مـن السرـ المصـون ، والأمـر المكنون ، كما قال القطب الشيخ عمر بامخرمه : وينهم وينهم ماشافوا إلا سوادي . وأشار إليه سيدنا الشيخ الحبيب عبد الله بن علوي الحداد نفع الله به في قوله :

سافر إليه بهمة عـــــلوية	حتى تراه وقـل لنفسك موتي
واقبل عليه بكل قلبك قاصداً	محو الضـــلالة أشير للناسوتِ
بالشمس شمس الذات حتى لاترى	شيئا سوى متقدس اللاهـوتِ
فإذا إنتهيت إلى الذي عَرفته	شاهدت من عرش إلى بهموت
ورأيت سراً لم يجـز إفشاؤه	أهل الهدى والكشف والتثبيت
إنا لنعلمه ولم نحـــظى به	ذوقا لما معـــنا من التشتيت

وقيل : أولياء الله عـرائس ولايـرى العـرائس إلا المحرمـون . وقـالوا ايضاً : معرفة الولي أصعب من معرفـة الله تعـالى . وهـذا المبحـث طويـل الذيل ، وله كتب يطلب منها ، وقد ذكرت طرفا من ذلك في كتابي فـيض الأسرار المار ذكره .

وفي شرح خطبـة سـيدنا الحبيـب طـاهر بـن حسـين بـن طـاهر باعلوي نفعنا الله تعالى به . واعلم أني لم أنقل رقيقة ولاحقيقـة مـن عبـارات الأوليـاء والعلـماء ، وإشـارات الأصـفياء الحكـماء ، ولاسـيما مـن كـلام مـن رسمتهم في تسمية هذا المؤلف إلا ورأيت سيدي المترجم الحبيب علي بـن حسـن قـدس الله روحـه قـد سـبقني إلى ذلك أو إلى مـثله في كتبـه ، ولاسيما لجة القرطاس ، الكتاب الجامع للنفـائس والأنفـاس . وقـد فرغـت

من تأليفه يوم الخميس لست عشر خلون من شهر شوال المنخرط في شهور سنة ١٢٥١ إحدى وخمسين ومائتين وألف من الهجرة النبوية ، على مهاجرها أفضل الصلاة والسلام ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

كان الفراغ من نقل هذه النسخة سحر ليلة الجمعة ليلة السابع عشر من شهر صفر الخير سنة ١٤٢٢ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية . وقد تم نقلها من نسخة بقلم السيد علي بن حامد بن محسن العطاس تاريخها الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٤١ هجرية وتمت مقابلتها على نسخة ثانية بقلم الحبيب الفاضل سالم بن محمد بن عبد الله بن سالم بن عمر العطاس تاريخها ١٣٤٤/٨/٢ هجرية ونسخة ثالثة بقلم الحبيب حميد المكارم محسن بن سالم بن محمد بن سالم بن عمر العطاس وتاريخها اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٦ هجرية . فالحمد لله الذين بنعمته تتم الصالحات وتتنزل البركات ، والصلاة والسلام على أشرف البريات ، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه السادات القادات ، أسأل الله الكريم أن يجعل عملي فيها خالصا مخلصا لوجهه الكريم .

بقلم العبد الفقير إلى رب الناس احمد بن عمر بن احمد
بن عبد الله بن طالب العطاس غفر الله له ولوالديه
ولمن كان سببا في تحصيل ذلك وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم والحمد لله رب
العالمين

فهرست كتاب جواهر الأنفاس

بعون الله وتوفيقه تم الفراغ من مقابلة وفهرست الكتاب سحر ليلة الجمعة
سلخ ربيع الأول سنة ١٤٢٢ هجرية على صاحبها أفضل الصلاة
وأزكى التحية والحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
أعيدت المراجعة والتصحيح وكان الفراغ منها صباح يوم السبت الموافق : ٢٣
/١٠ /١٤٣١ هـ بمدينة الأحساء